العَرَبيّة والحَداثة

الدكتور
محمّد رشاد الحمزاوي

دار الغرب الإسلامي

العَرَبيّة والحَداثة

أو الفصَاحَة فصَاحَات

الدكتور
محمّد رشاد الحمزاوي



دار الغرب الإسلامي

صدر هذا المؤلف في طبعة أولى
عن المعهد القومي لعلوم التربية
بتونس سنة 1982
وهذه طبعة معدّلة ومزيدة ١٩٨٦

دار الغرب الإسلامي
ص.ب: ١١٣/٥٧٨٧
بيروت - لبنان

العربية والحداثة

أو الفصاحة فصاحات

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى «الفصاحة فصاحات»

1 – 1 إن الدراسات المقدّمة في هذا المؤلّف تهدف أساسًا إلى مقاربة مفهوم الفصاحة تنظيرًا وتطبيقًا سواء باعتبار معاييرها القديمة أو بالاستناد إلى ما اكتسبته من مفاهيم وأبعاد جديدة تستحق النظر وتعبّر عن تطوّر العربية وهي تسعى إلى مواكبة حاجات العصر.

فالمواضيع المطروحة هنا تنتسب إلى نظرة منهجية ونقدية الغاية منها بلورة معنى الفصاحة وبنائه على أُسس واضحة فضلاً عن جهود المحدثين في إنمَائه والتوسّع في عناصره ومظاهره المعجمية والنحوية والبلاغية. والفصاحة المعنية في هذا المؤلف تهتم بالخصوص بالمظهر المعجمي منها المتّصل اتّصالاً وثيقًا بالرّصيد اللغوي العربي. ولقد سبق للقدامى أن ضيّقوا مفهوم الفصاحة وحدوده وربطوه بالزمان والمكان وبأنواع معيّنة من المفردات المشتقة. وبالتالي اعتبروا كل ما خرج عن تلك الحدود مولدًا يكاد يكون دخيلاً عليها أو فصيحًا من درجة ثانية – وذلك تعسّف واضح.

2 – 1 فالفصاحة اليوم عملية تنموية جديدة تنشأ عن عملية لغوية توليدية لم يسبق لها مثيل في تاريخ العربية لأنها تعبّر عن مشاغل الإنسان العربي الحديثة. فهي مدعوّة إلى تزويده بمادّة متجددة أو جديدة تؤدّي وظيفة تبليغ وإبلاغ تختلف نوعية عن سابقتها في مستوى الفنون والعلوم العربية القديمة.

لذلك ركّزت النهضة العربية المعاصرة جهودها على النهوض بفصاحتها لفظًا ومصطلحًا لتستعيد اللغة شجاعتها كما عبّر عن ذلك ابن جني في

الخصائص. ولقد تدعمت فصاحة العربية بمَا أنشئ لها من مؤسسات تُعنى بقضاياها وتتعمّق في أبعادها وتضيف إليها.

إن المقاربات المدرجة في هذا المؤلف تسعى ألى أن تساهم في تلك الجهود مبرزة أهم محاولاتها ومشروعاتها وتساؤلاتها لبناء الفصاحة على التواصل والتجدّد. ولقد تنوّعت تلك المحاولات وتضاربت في بعض الأحيان حتى أصبح من العسير إدراك الرابط بين أجزائها وتحديد مقاصدها. لذلك ركّزنا مقاربتنا على ثلاثة محاور تأخذ بعين الاعتبار ولو قليلاً ما جدّ من نظريات لغوية حديثة.

1 – 3 إن المحور الأول يتناول قضية الفصاحة من الداخل باعتبار نظرة اللغويين القدامى مقابلة بنظرة المعاصرين لا سيّمَا وأن الأولين بنوها على النصوص القديمة وبناها المحدّثون على لغة الجرائد خاصة. وتلك مقاربة مقارنة تعتمد التاريخ وتتبع تطوّرها ؛ ممّا عساه أن يشهد بأن تعريف الفصاحة لا يستقيم إلا بالاستناد إلى تطوّره وما طرأ عليه من ملابسات وتجديد.

فالدراسات والبحوث التطبيقية المدرجة في هذا المحور الأول تشهد بذلك التفاعل القائم بين المفهوم القديم والمفاهيم الحديثة لها التي تظهر لنا خاصة في تطبيقاتها على الفنون والعلوم العصرية.

1 – 4 المحور الثاني يتعلّق بالفصاحة والتداخل اللغوي. وتلك معركة ما زالت قائمة تدل على كل حال على حيوية الفصاحة العربية في استقراء إمكاناتها وفراغاتها مقارنة بغيرها. ولذلك كانت القضية تدور حول مشكلية الأخذ والعطاء ومكانة الفصاحة منها ، وبالتالي فهي متعلقة بقدرتها أو بعجزها عن تأدية حضارة العصر مثلما تؤدّيها اللغات المتقدمة.

إن التداخل اللغوي كثيرًا ما يبدو في منظار الفصاحة تبعية أو مجرّد غزو مآله القضاء عليها. وللقضية جوانب تؤيّد ذلك. إلا أن المسألة تستحق نظرة أعمق ممّا هو معروف لإدراك ظاهرة التداخل وأسبابها لأنّها كثيرًا ما تعتبر ضرورة من ضرورات اللغة مثل الفصاحة نفسها إذ لا يمكن للغة من لغات الدنيا أن تتخلص منها. فالتداخل اللغوي يزوّد اللغة بتضمينات تُثريها وتوسع في فصاحتها.

1 – 5 في المحور الثالث سعينا إلى ربط الفصاحة بالتربية لأن الفصاحة لا تعني اللغة ومفرداتها فحسب بل الاستعداد لاستعمالها وتدريسها – لذلك سعينا الى

وصف مجهودات اللغويين في هذا الميدان. ولقد أشرنا إلى ما يجب أن يعتمد لتطبيق نظريات اللسانيات لتدريس فصاحة العربية وتبليغها.

إن الموضوع الذي نطرقه واسع وعجيب إلا أننا اكتفينا منه بالتركيز على أن الفصاحة إفصاح وأنها فصاحات باعتبار الميادين التي يمكن أن تعتمد فيها لتأدية وظائف مختلفة تفصح عن أنفسنا وحضارتنا بلسان عربي أساسه البيان.

د. محمد رشاد الحمزاوي
الجامعة التونسية

المحور الأول

الفصاحة وذاتها

الفصاحة فصاحات
أو
الدعوة إلى ضرورة مراجعة أصول الفصاحة

«قال الأصمعي : اختلف رجلان في الصقر. فقال أحدهما : بالصاد قال الآخر بالسين : فتراضيا بأوّل وارد عليهما ؛ فحكيا له ما هما فيه ؛ فقال : لا أقول ما قلتما إنما هو الزقر» (المزهر ، السيوطي ، ج263/1) .

تبدو الفصاحة لمن يدرسها أو يتتبع عناصرها مشكلاً من أهم المشاكل اللغوية وكان من المفروض أن تكون وسيلة عونا على حلّها وتيسيرها . إننا نلاحظ أنها تتميّز في هذا الصدد بمَا يلي :

1- الاستبداد بالتفكير اللغوي عند العرب قديمًا وحديثًا كلّمَا خاضوا في ضرورة تطوّر اللغة لمواكبة العصر والتعبير عن حاجياته ومتطلباته .

2- عرقلة جميع الجهود التي ترمي إلى تيسير اللغة وإحباط كل الحلول والإستنباطات التي تريد أن توفق بين ماضي اللغة وحاضرها .

3- اعتبار جميع التغيرات والتطوّرات التي تطرأ على الأصوات والأوزان والدلالات والتراكيب والأساليب المنقولة والمعربة والعامية حدثًا طارئًا وهباء منثورًا لا

يستقرّ له قرار أمام سلطان الفصاحة مهمَا كان شيوع تلك التطورات واطّرادها. فتظل واجمة تنتظر إذنًا من الفصاحة علّها تلتحق بمقام العربية.

4- اختلاف المتعلقين بها وعدم قرارهم على معايير قارة خاصة بها ممّا يجعلها آفة تتصوّر ولا تدرك تكاد أن تصبح غاية في حدّ ذاتها لا سيّمَا **إن اعتبرنا أنها لم تحظ إلى يومنا هذا بدراسة تعالجها من زاويتين: الزاوية التاريخية والزاوية الوصفية التحليلية. فأما التاريخية فإنها تعنى بتطور معانيها نظريًا وتطبيقيًّا إلى حدود القرن السابع عشر مرورًا بثلاث فترات كبرى من تاريخ اللغة العربية وهي فترة الشعر الجاهلي وفترة القرآن، وفترة النثر الفني، أما الزاوية الثانية فإنها تعنى بالفصاحة في العصور الحديثة آخذة بالنظر لغة الصحافة وما كان لها من أثر عميق على تطوّر العربية**. ولقد وافقت تلك الفترات مؤلفات كثيرة مرادها تهذيب لحن العامة وتصويب لحن الخاصة[1] وتشذيب لغة الجرائد[2]. **وهي عندنا شاهد على التطوّر بمَا فيه من خطأ لو خصص له ما خصّص للتخطئة من عناية وشغف بها لغنمت منه اللغة ولأفادت منه الفصاحة في عناصرها ومعاييرها وإثبات تطوّرها**.

إن هذه الدراسة تعتبر من القضايا الملحّة لأن العربية، من اللغات القلائل التي مرت عليها قرون من دون أن توصف وأن تستقرأ بعد ما وصفها وقننها اللغويون القدامى وحفظها كتاب سيبويه. لأن كل ما وقع من دراسات بعد سيبويه لم يتجاوز وصف الجزئيات ولم يتعدّ محض الإجتهاد في المذهب دون السعي إلى نظرة وصفية شاملة تتناول وجوه العربية ونصوصها في عهدها الطويل وفي تطوراتها المختلفة المحققة التي كثيرًا ما نشعر بها دون أن يستوعبها كتاب جامع ويقرّها مثلما كان الشأن بالنسبة للفصاحة التي شملها كتاب سيبويه. إن هذا التوقيف المنهجي يحمل على الدارسين وليس في الحقيقة على اللغة وفصاحتها بل قل فصاحاتها التي تنتظر من يعبّر عنها ويصنّفها ويحتج لها.

---

1) رمضان عبد التواب: لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة 1967.

2) إبراهيم اليازجي: لغة الجرائد، القاهرة، (بدون تاريخ).

1- معنى الفصاحة عند القدماء :

وفي انتظار تلك الدراسات ، التي ستكون بدون شك طريفة وعسيرة ، فما عسى أن يكون مرادنا من هذا البحث؟ إننا نرمي من وراءه إلى المساهمة بقسط متواضع في استجلاء بعض مشاكل الفصاحة وذلك بتعريفها تعريفًا لغويًا وجيزًا ثم استقصاء معانيها بالإعتماد على نظرة القدماء إليها وعلى تصور المحدثين لها. ولقد استندنا في هذا الصدد إلى مزهر السيوطي بالنسبة للقدماء وإلى مؤلفات نقاد لغة الصحافة بالنسبة للمحدثين.

فالسيوطي يصورها لنا وهي تمر بأزمة بعد عزّة ويدافع عنها من الانقراض ويسعى إلى صوغها صوغًا تربويًا تعليميًا له غاية ثقافية وحضارية لا تنكر. وذلك مراد نقاد لغة الجرائد والصحف. ولذلك تبين لنا أن الهدفين جديرأن بالإعتبار فحصرنا فيهما الموضوع أمنا للبس وتأييدًا لصحة المنهج دون أن نهمل مواطن التطبيق الحديثة مثل المعجم الوسيط الذي سنستمد منه نصوصًا لنفس الغرض.

فالفصاحة من «فصح اللبن فصحا وفصاحة : خلص مما يشويه فأخذت عنه رغوته وبقي خالصه – وفصح الرجل ، انطلق لسانه بكلام صحيح واضح – ويقال فصح الأعجمي جادت لغته فلم يلحن. فهو فَصْحٌ»[3] أما الفصاحة فهي «البيان ، وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف»[4] إن هذا التعريف اللغوي العام الوارد في المعاجم لا يختلف عما أورده السيوطي في المزهر إذ يقول «قال فصح اللبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرى من الرغوة. قال الشاعر: وتحت الرغوة اللبن الفصيح.

ومنه استعير فصح الرجل : «جادت لغته وأفصح تكلم بالعربية وقيل العكس والأول أصح»[5]. ومن هذا التعريف تبرز معاني الفصاحة التالية : الخلوص ، والصحة والوضوح ، والجودة ، وانعدام اللحن ، والبيان والسلامة من الإبهام وسوء التأليف. **وهي أوصاف عامة في غالبها يمكن أن تطلق رغم غموض بعضها ، وترادف البعض الآخر على كل لغة أدبية كانت أو غير أدبية لأن المفهوم منها ليس القواعد**

---

3) المعجم الوسيط ، ج697/2.

4) نفس المصدر.

5) السيوطي : المزهر ، (بدون تاريخ) ، ج184/1.

المثالية المعينة بل المراد منها تحقيق التواصل الكلامي بين متكلم ومستمع ما دام يوجد بينهما اصطلاح مهما كانِ مستواه اللغوي لتأدية ما يقع بينهما من تخاطب. لأن اختيار معايير ما للغة ما مهما كانت درجتها المثالية وذلك لأسباب تربوية أو سياسية أو حضارية لا ينفي الفصاحة عن غيرها من اللغات ما دامت تتحقق فيها جميع الأوصاف السابقة بحسب قوانينها الخاصة بها. إن المتكلم بالعربية الفصحى فصيح إن اعتمد تلك الأوصاف الخاصة بها وبقوانينها كذلك الشأن بالنسبة للمتكلم بالعربية العامية. فالفرق بين الفصاحتين ينحصر في كون العرب قد اختاروا من العربية، العربية الفصحى وذلك لأسباب دينية وحضارية وتربوية وفضلوها على فتراتها الأخرى من ذلك عربية المولدين والعربية العامية باعتبار أن بعضهم لا يقر حتى لغة المولدين الفصحاء[6] فضلاً عن اللغة العامية.

وعلى هذا الأساس فما هي الفصاحة الفصحى حسب السيوطي؟ إن الآراء في شأنها قد أتت في المزهر متضاربة لا تعتمد على تصنيف ولا على منهج واضح. فلقد فصل الحديث عنها إلى فصلين: أولها «**معرفة الفصيح**»[7] وثانيهما (**معرفة الفصيح من العرب**»[8] ولذلك اعتمدنا منهجا معاكسًا فأصبح الفصل الثاني الأول والأول الثاني لأن الحديث عن منبع الفصاحة وأصلها يستحق أن يسبق منطقا، يتلوه في ذلك اراء اللغويين فيها مع ذكر تقنينهم لها – ولقد سعينا في كل هذا إلى أن نستند إلى الترتيب الزمني وإلى محاور كبرى لندرك تطور تصورها عند من اعتنى بشأنها.

إن منبع الفصاحة يبدو دينيا لأن القرآن يعتبر مصدرها الأول ولأنه «قد أجمع الناس جميعًا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غير القرآن»[9]. إن نزول القرآن على الرسول جعل منه منبَعَ الفصاحة الثاني. فلقد روي عن الرسول أنه قال «حُقَّ لي فإنما أنزل القرآن عَلَيَّ بلسان عربي مبين»[10]. ولذلك يعتبر الرسول أفصح

---

6) رشاد الحمزاوي: مجمع القاهرة، ص 283.

7) السيوطي: المزهر، ج 184/1– 208.

8) نفس المصدر، ص 209 – 213.

9) نفس المصدر، ص 213.

10) نفس المصدر.

العرب إذ قال «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش»[11] إن العامل الديني هو الذي بوأ قريشًا أيضًا لتكون في درجة المنبع الثالث للفصاحة لأن «قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدًا ﷺ»[12].

ولا شك أن هذه الإعتبارات الدينية غنية عن التعليق اللغوي. إنها ليست من حجج اللغة ولعلها من العوامل التيّ ستعسر ولا تيسر كل تصور لتطور الفصاحة.

ولقد استدرك السيوطي على هذه التعليمات الدينية بتعليل لغوي برر فيه منزلة قريش من الفصاحة وذلك بأنْ ذكر رأي اللغويين، بما يلي: «لأنك لا تجد في كلامهم (أي قريش) عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا كسر أسد وقيس»[13] والملاحظ هنا أن هذه الأوصاف خصائص لغوية وليست ضرورة عيوبًا.

والفصاحة تبدو بدوية وليست حضرية إذ لم تؤخذ عن حضري قط ولا عمن يسكن أطراف البلاد من الأمم المجاورة لهم (العرب) «فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جُذَام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة، وغسان لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرية (كذا!) ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة»[14] فالفصاحة على هذا الرأي قبلية رغم ما في هذا النص من تكرار ومن خطأ ومن غرابة.

لكن السيوطي يورد من النصوص ما يعدل كل ما سبق أو يخالفه جزئيًا أو كليًا فنبدأ في استشفاف ضعف حجج ما رأينا. فلقد وردت رواية ثانية للحديث الشريف الثاني السابق ولفظها «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وإني نشأت في بني سعد بن

---

11) نفس المصدر.
12) نفس المصدر، ص 210.
13) نفس المصدر.
14) نفس المصدر، ص 212.

بكر»[15] . إن الحديث إن لم يكن موضوعًا ، فهو تبرير لمنزلة سعد بن بكر وذلك لأسباب دينية . مرّة أخرى لأن الرسول قد مضى صباه بينهم . فلا تستأثر عندئذ قريش وحدها بالفصاحة لا سيمَا أن اعتبرنا من يقول بالفصاحة لهوازن وهي القبائل العربية الشمالية التي حاربت قريشًا في عكاظ ودخلت الإسلام بعد وقعة حنين سنة 630 م . فلقد رُوي عن ابن عباس (688 م) أنه قال في هذا الشأن «نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العَجُزْ من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع (كذا !) منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف»[16] ويؤكد هذا الرأي ما روي عن أبي عمرو بن العلاء (679–770 م) أنه قال «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم»[17] وإن كان في رأيه ما يخالف ابن عباس ويزيد القضية إضرابا وغموضًا . وتزداد المنافسة شدة عندما يستحيل منبع الفصاحة إلى أصل سياسي يظهر في خلاف بين خليفتين من الخلفاء الراشدين . إذا أنه روى عن عمر أنه قال «لا يملين من مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف»[18] بينما روى عن عثمان أنه قال «اجعلوا المُمْلِيَّ من هذيل والكاتبَ من ثقيف»[19] . أما أبو نصر الفرابي فإنه وإن كان يعترف لقريش بفصاحتها ، فإنه يرى أن العربية لم تنقل عنها «والذين عنهم نقلت العربية وبهم أقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد»[20] .

إن الصفات اللغوية المحمودة التي فضلت بها قريش عن غيرها لا تظل ثابتة لها إذ أن من الروايات ما يقر لقريش عيبًا مثل عيوب غيرها وذلك ما عبر عنه بالتضجع فضلا عن الإضطراب الذي يلحق نسبة تلك الصفات إلى القبائل . فلقد نسبت في هذه الرواية العجرفية لضبّة ولا لقيس كما سبق والكشكشة لهوازن ولا لأسد . ولقد جاء

15) نفس المصدر ، ص 210 .
16) نفس المصدر.
17) نفس المصدر ، ص 211 .
18) نفس المصدر.
19) نفس المصدر.
20) نفس المصدر.
والتضجيع في الحركات مال بها في نطقها كما تمال الألف إلى الياء (المعجم الوسيط ، ج 530/1).

في رواية عن ثعلب (815–904) أنه قال «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء، وكسكسة ربيعة، وكشكشة هوازن، وضجع قريش، وعجرفية ضبة[21]. أما فيما يتعلق بلغات القبائل المتاخمة للحدود والتي لا تؤخذ عنها الفصاحة فهي لا محالة فصيحة لأن القرآن استعملها وأخذ منها «وقد جاءت لغات لأهل اليمن في القرآن معروفة»[22] ممّا أكدت عليه الرواية عن ابن عباس ونقلها السيوطي في الاتقان في علوم القرآن[23] – ولا يفوتنا في هذا النقد الداخلي لأصول الفصاحة أن نشير إلى بعض التناقضات والأخطاء التاريخية الواردة في النصوص والاراء السابقة التي تفيد أن النصارى كانوا يقرؤون بالعبرية فلم تؤخذ العربية من العرب المجاورين لهم. ولا شك أن في ذلك نظر لأنه يستبعد أن تكون العبرية لغة النصارى؛ ويدخل في هذا الإلتباس التاريخي ما آدعاه بهاء الدين السبكي (1319–1362م) من أن الفصاحة نابعة من العرب العرباء أو العاربة[24] وهم تسع قبائل غابرة «عاد وثمود وأميم، وعبيل وطسم، وجديس، وعِمْلِيق، وجُرهم، ووبار، وفيهم تعلم إسماعيل العربية»[25].

فما نستنتج من هذا القسم الأول من بحثنا الخاص بأصل الفصاحة ومنبعها إن استثنينا القرآن؟ إننا لا نستطيع أن نخرج بحجة ثابتة لصالح الفصاحة. فهي نابعة من أصل ديني وقبلي وبدوي بل ما قبل تاريخي. وفي ذلك اختلافات وروايات تعتبر كلها عناصر خارجية ليس للغة فيها نصيب. فعمن أخذت الفصاحة في حقيقة الأمر؟ ذلك ما يستوجب دراسة تنطلق من هذه التناقضات وتعنى بجميع عناصر الموضوع بحسب مناهج موضوعية. **وفي انتظار ما يخالف ذلك فإن الفصاحة لم تؤخذ من منبع واحد وعلى هذا الأساس يصح أن نقول إن الفصاحة فصاحات.**

إن هذه القضايا لا تمنعنا من أن نتطرق إلى الجزء الثاني من موضوعنا وهو يهم مشاكل أخرى من الفصاحة من ذلك تصورها مطبقة على اللغة العربية باعتبار ما جاء من اراء الأقدمين الذين استند إليهم السيوطي في مزهره – إن المحور الأول الذي بنوا

---

21) السيوطي : المزهر، ص 211.
22) نفس المصدر.
23) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن، القاهرة.
24) السيوطي : المزهر، ج 187/1.
25) نفس المصدر، ص 31.

عليه الفصاحة هو **كثرة الاستعمال** وأول من قال به هو أبو عمرو بن العلاء عندما سئل إن كانت العربية هي كلام العرب كله: «فقلت كيف نصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجّة فقال أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات»[26] وذلك ما يؤيده ثعلب في فصيحه إذ يعتبر أن فصاحة الكلمة تكمن في كثرة استعمال العرب لها[27] إلا أن جلال الدين الخطيب القزويني (1261–1338م) في كتاب الايضاح في علوم البلاغة وأحمد بن حسن الجاربردي (ت 1345م) في شرح شافية ابن الحاجب يعتبران أن الكلمة الفصيحة ما يكون «استعمالها عند العرب الموثوق بعربيتهم لها أكثر»[28] أو ما يكون «على السنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر»[29] وهؤلاء العرب هم عند بهاء الدين السبكي العرب العرباء الذين يستحيل إدراكهم والأخذ عنهم حتى في الحلم.

أما المحور الثاني الوارد في المزهر فهو يركز الفصاحة على **تنافر الحروف وتقاربها** ولقد كان للخيل بن أحمد (712 – 778 م) السبق في ذكره في مقدمة كتاب العين – ولقد نقل اراءه هذه ابن دريد (837 – 933م) في الجمهرة التي اعتمدها السيوطي في مزهره[30] مضيفا إليها تفاصيل أخرى في نفس الموضوع منقولة عن سر صناعة الإعراب لابن جني (ت 1002م) وعروس الأفراح للسبكي، وسر الفصاحة للخفاجي (ولد 1571م) وكلها تقر أن «التنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها»[31].

إن المحور الثالث قد شمل **الغرابة والابتذال** التي تكلم فيهما حازم القرطاجني (ت 1285م) في منهاج البلغاء، وجلال الدين القزويني وبهاء الدين السبكي في كتابيهما السابقين. ويستفاد من هذا أن «الغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فتحتاج في معرفتها إلى أن ينقّر عنها في كتب اللغة المبسوطة»[32]. أما الكلمة

26) نفس المصدر، ص 185.
27) نفس المصدر.
28) نفس المصدر، ص 187.
29) نفس المصدر.
30) نفس المصدر، ص 192–197.
31) نفس المصدر، ص 185.
32) نفس المصدر، ص 186.

فتكون مبتذلة «أما لتغيير العامة لها إلي غير أصل الوضع كالصَّرم للقطع جعلته للمحل المخصوص وأما لسخافتها في أصل الوضع كاللقالق. ولهذا عدل في التنزيل إلى قوله «فأوقد لي يا هامانُ على الطين «لسخافة لفظ الطوب»[33].

أما المحور الرابع والأخير الذي بنيت عليه معايير الفصاحة حسب السيوطي ومن اعتمد عليهم فهو يكمن في **مخالفة القياس والوقوع في الضرائر** فمخالفة القياس كما في قول الشاعر «الحمد لله العلي الأجللِ» والقياس الأجل بالادغام[34]. أما الضرائر فمنها «الزيادة المؤدية لما ليس أصلا في كلامهم كقولهم أدنو فانظور أي أنظر؟»[35] ولقد أهتم بهاتين القضيتين حازم القرطاجني والسبكي دون غيرهما. والملاحظ في كل هذه المحاور أن السيوطي لم يشر ولو إشارة بسيطة إلى كتاب سيبويه باعتباره أهم مرجع من مراجع الفصاحة المقننة والمقعدة بحسب ما استند إليه من كلام العرب. إن الأمثلة السابقة تشهد بأن معنى الفصاحة قد انحصر في الألفاظ صوتًا وأوزانًا ودلالات ولم يشمل من قرب أو من بعد الفصاحة من حيث النحو والبلاغة أو الأسلوب فلم يستثن من هذه المعايير إلا القرآن الذي يعتبر مهما كانت ألفاظه وتراكيبه الفصاحة الكبرى.

إن النقد الداخلي في هذا الجزء الثاني من البحث يدعونا أيضًا إلى اعتبار المحاور السابقة الواحد بعد الآخر كما فعلنا في الجزء الأول لندرك أهميتها في وضع أسس الفصاحة. فإن كان أبو عمرو بن العلا وثعلب قد أقرا مبدأ لغويًا هاما وهو إعتماد الإستعمال الشائع المطرد ولعلهما يعنيان به الإستعمال المقول والمكتوب معًا فإن المتأخرين ربما أرادوا الإستعمالين لكنهم قيدوهما وذلك شأن السبكي باستعمال العرب الموثوق بفصاحتهم وهم العرب العرباء. إن هذه الفصاحة التي تستمد أصولها من سلفية لغوية متطرفة وخيالية مستحيلة لأن تصورها مستحيل ولأنها تتجاوز القرآن نفسه ولا تجد من يؤيدها من المتأخرين المتفصحين لإستحالة ذلك «ورأى المتأخرون من أرباب علوم البلاغة أن كل أحد لا يمكنه الإطلاع على ذلك لتقادم العهد بزمان العرب. فحرروا لذلك ضابطًا يعرف بما أكثرت العرب من استعماله من غيره فقالوا الفصاحة في المفرد

---

33) نفس المصدر، ص 190.

34) نفس المصدر، ص 186.

35) نفس المصدر، ص 189.

خلوصه من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس اللغوي»[36] **وهذه حجة تيسر علينا التخلص من استعمال العرب الموثوق بفصاحتهم**.

والآن يصح لنا أن ننظر في المحور الثاني الذي يبدو من أقوم المعايير إلا أن ما اعتمده من قواعد لا يخلو من أخطاء في التطبيق. إن الخليل يميز الفصيح من الأعجمي بوجود حروف الذلاقة وانعدامها. وبهذا الاعتبار فإن الكلمات الرباعية التي ليست فيها حروف ذلاقة ليست عربية وهي بالتالي غير فصيحة. إلا أننا نجد من الكلمات الرباعية غير العربية المذكورة في القرآن ما يشمل حروف الذلاقة مثل قرآن. سورة، فردوس، جهنم، أساطير الخ.

إن المحور الثالث لا يخلو من اضطراب داخلي. فالإبتذال يبدو شيئًا نسبيًا وذوقيًا إذ أن حازم القرطاجني يرى «أن الإبتذال في الألفاظ، وما تدل عليه ليس وصفًا ذاتيًا ولا عرضًا لازمًا بل لاحقًا من اللواحق المتعلقة بالإستعمال في زمان دون زمان وصقع دون صقع»[37] كذلك الشأن بالنسبة لمخالفة القياس إذ أن بعضهم يرى على حق أنه «لا نُسَلِّم أن مخالفة القياس تخل بالفصاحة، ويستند هذا المنع بكثرة ما ورد منه في القرآن. بل مخالفة القياس مع قلة الإستعمال مجموعها هو المخل»[38].

إن نقدنا لأصول الفصاحة يزداد تدعيمًا بما نلحظه من ضعف في نصوص تدعو إلى الفصاحة وإلى تركيزها من ذلك أن فصيح ثعلب[39] الذي وضع للإحتجاج للفصاحة وتدعيمها قد كان موضوع نقد وتجريح ممّا يظهر في نقد إبراهيم بن السّريّ السراج عندما قال لثعلب «هذا أنت عملت كتاب الفصيح للمتعلم المبتدئ وهو عشرون ورقة، أخطأت في عشرة مواضع منه فقال لي أذكرها قلت له نعم»[40] من ذلك «وقلت رجل عزْبٌ وامرأة عَزْبَة، وهذا خطأ، إنما يقال رجل عزب وامرأة عزبٌ لأنه مصدر وصف به ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث»[41] والأمثلة من هذا كثيرة

---

36) نفس المصدر، ص 185.
37) نفس المصدر، ص 191.
38) نفس المصدر، ص 188.
39) نفس المصدر، ص 201 – 207.
40) نفس المصدر، ص 204.
41) نفس المصدر.

ممّا دعا بعضهم إلى ذكر أن ثعلبا أنكر كتابه الفصيح «وذكر طائفة أن الفصيح ليس تأليف ثعلب ، وإنما هو تأليف الحسن بن داود الرقي ، وقيل تأليف يعقوب بن السكيت»* . ولقد نسبوا كتاب العين لغير الخليل . والحجة كما يبدو غير مقنعة . فإن كان أهل الفصاحة يخطئون في تحديدها فما عسى أن تكون الفصاحة إن كان أمرها غريب حتى عند من تأهبوا لتركيزها وتدعيمها؟ والخلاصة إن هذا النقد الداخلي لأصول الفصاحة لا يعنى أننا لا **نقر للفصاحة منابع وقواعد بل إننا نروم إلى تخليصها ممّا يحيط بها من الخرافات الغامضة والمتناقضات المجحفة حتى نعود الى بنائها على أسس تعتمد الوصف والاستقراء والإستعمال والتأويل اللغوي الذي يركن إلى الحجة اللغوية قبل سواها والتي** سنسعى إلى استقصاء منزلتها في تصور الفصاحة عند المحدثين.

2 – معنى الفصاحة في العصر الحديث :

إننا نستطيع أن نستشف قضاياها من لغة الصحافة وفي المعاجم العربية الحديثة دون أن نخوض في تفاصيلها التي تحتاج إلى دراسة أخرى تتناولها بالخصوص. لقد كان للغة الصحافة أثر كبير على وضع قضيّة الفصاحة بصفة حادة. فلقد كان اليازجي أول من تنبه إلى نشأة فصاحة جديدة تعتمد من القواعد والمعايير والتراكيب ما يختلف عن منقول اللغة وفصاحتها. فهو يقول في «لغة الجرائد» التي خصصت لنقد لغة هذه الفصاحة الجديدة «لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظًا قد شذّت عن منقول اللغة فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها ، فجاءت العبارة بها مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ»(42) ولقد اعتمد طريقة «لا تقل بل قل» المعهودة لتصويب أخطاء الفصاحة. فتناول مستويات عدة فيها الدلالية والصرفية والنحوية والبلاغية. ولقد شاعت هذه الطريقة وتعدد المؤلفون فيها ممّا يدل على إهتمامهم بهذه الظاهرة اللغوية الجديدة التي تتمثل في لغة الصحافة وما لها من خصائص جديدة تعتبر صوابًا عند البعض وخطأ عنه البعض الآخر. وكان أسعد خليل داغر في «تذكرة الكاتب» من

---

*) المزهر ، 270/1 .

42) اليازجي : لغة الجرائد ، ص 3 .

الذين لا حظوا ما للغة الصحافة من أثر على اللغة داعيًا إلى «أن يظل كل ما يكتب فيها مستكملاً شروط الفصاحة والبلاغة وخاليًا من أثار السخف والضعف»(43) – أما صلاح الدين سعدى الزعبلاوي(44) ، فإنه يلاحظ تقريبًا نفس المشاكل إذ يقول «والذي عرضنا له في البابين جميعًا أوهام لغوية شاعت في الدواوين والصحف حتى كادت بانقيادها للكتاب وعلوقها بنفوسهم ، على حال استنكروا به لالفتها كل وجه ، وعافوا به لإيناسها كل صواب»(45) .

إن هذه اللغة المنتقدة تتسم بسمة ثانية هي الشيوع والإطراد عند كبار الكتاب . فالأخطاء التي ينتقدها هؤلاء النقاد هي استعمالات شائعة ومطردة عند «متقدمي الكتاب وذوي القدم الراسخة في اللغة ، والإنشاء»(46) .

مما يؤكد عليه أيضا أسعد خليل داغر : «إن هذه الألفاظ والتراكيب التي انتقدها مأخوذة كلها تقريبًا من أقوال الكتاب والشعراء الذين يشار إليهم بالبنان ولكني اجتنبت ذكر أسمائهم مخافة الإتهام بالحط منهم»(47) . فكأن الفصاحة استحالت على جميع الناس حتى على كبار الكتاب ولم تبق إلا من خصال قلة قليلة من أمثال نقادنا .

ولقد تميزت هذه الصحافة بعنصر ثالث وهو أنها تكون معجمًا خاصًا جديدًا لا صلة له بالمعجم القديم وألفاظه «وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة بها»(48) . إن هذه الألفاظ المعجمية التي تعتبر خارجة عن أصول اللغة قد استبدت باللغة وأصبح من المستحيل إستبدال هذه «الكلمات الكثيرة المستعملة الآن في غير ما وضعت له وليس في كتب اللغة ما يجوز أستعمالها هذا إلا على ضعف وتكلف . ولكنها شاعت وذاعت حتى بين بلغاء الكتاب وليس من السهل أن يستبدل لها كلمات أخرى فمنها هذه الأسماء «صادرات وواردات» و «تهوية» البيوت وما فيها من الأثاث و «تحليل»

---

43) اسعد خليل داغر : تذكرة الكاتب ، القاهرة 1933 ، ص 7 .

44) صلاح الدين سعدي الزعبلاوي : أخطاؤنا في الصحف والدواوين ، دمشق 1939 .

45) نفس المصدر ، ص 5 .

46) مكرر اليازجي : لغة الجرائد ، ص 3 .

47) أسعد خليل داغر : تذكرة الكاتب ، ص 8 .

48) اليازجي : لغة الجرائد ، ص 3 .

بمعناه العلمي والطبي و«تشريح» بمعناه الطبي و«تشريع» و«تقنين» و«مشروع» و«اعدام» و«محطة» و«تقرير» و«عمود»[49] فضلاً عن التراكيب والأساليب التي أشار إليها الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه الإشتقاق والتعريب.

فما كان رأي هؤلاء النقاد في لغة الجرائد؟ يمكن أن ننظر إليها من ناحيتين: المواقف المبدئية، والتصويبات العملية. — إن النقاد المذكورين الثلاثة ينطلقون للحكم على لغة الصحافة من خلال فصاحة ضمنية تعتمد «**منقول اللغة**» وتنكر «الكلمات الكثيرة المستعملة الآن في غير ما وضعت له» — إلّا أن إثنين منهما وهما اليازجي وداغر لا يذكران صراحة في مقدمتيهما ما هي مراجع اللغة المنقولة الفصيحة التي سيحكم بها على لغة الصحافة — ولا يمكن لنا أن نستشف ذلك إلا من خلال ما يحتجون به من نصوص لتصويب ما يعتبرونه خطأ. والملاحظ في هذا الشأن أن مراجعهما لا تعتمد دائمًا على حجج لغوية[50] أما الزعبلاوي فهو يركز معايير الفصاحة على المصادر القديمة تاركًا المصادر الحديثة.

فيقول «فالذي اعتمدنا نصوصه من معاجم اللغة وأسفارها ما قدمَ عهده منها كالصحاح والقاموس والأساس، ومقدمة الأدب، واللسان والتاج ومفردات الراغب، والنهاية والمزهر، والكشاف وأشباهما... ولم نحفل بما صنفه المتأخرون كمحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والمنجد والمعتمد وأضرابها»[51].

ولا شك أن هذا يستدعي بعض التعليقات:

— الفصاحة سلفية إذ أنها لا تعتمد إلا على المصادر القديمة.

— الفصاحة توقيفية لأنها مركزة على مصادر قديمة معيّنة دون غيرها رغم ما في تلك المصادر من هانات مثل القاموس الذي جرحه فارس الشدياق في «الجاسوس على القاموس».

— الفصاحة إسلامية لأن كل المعاجم الحديثة التي رفضها الزّعبلاوي هي من وضع عرب مسيحيين اعتمدوا أمهات الكتب عند وضعها.

---

49) أسعد خليل داغر: تذكرة الكاتب، ص 26.

50) نفس المصدر، ص 17.

51) الزعبلاوي: أخطاؤنا في الصحافة...، ص 11.

وتزداد القضية حدة عندما نلاحظ أن دعاة الفصاحة لا يقرون لبعضهم بعضًا بالفصاحة باسم الفصاحة التي يتصورها كل واحد بحسب رأيه فيها ممّا يجعلنا نشك في قيمة تصويباتهم. إن أسعد خليل داغر لا يقر آراء سابقيه في تقويم لغة الصحافة باسم الفصاحة فيقول «ورأيت فريقًا منهم يركبون أحيانًا متن الغلو في التلحين والتغليط فيجاوزون حد التنبيه على الخطأ الى تخطئة الصحيح وتفنيد الصواب»[52]. أما الزعبلاوي فلقد أنكر على جميع سابقيه[53] كل حق في التصويب إلا لنفسه. فهو يقول فيهم: «أما نهجهم في الحكم بالصحة والفساد فلا تكاد تقطع فيه بيقين أو ظنّ يميل إلى يقين – فالقوم لم يحفلوا به ولم يعتنوا بالكشف عنه»[54]. **مما يؤول بالفصاحة إلى مبدئ سفسطائي يقرأن ما تقيمه الحجة تفنده الحجّة. فيبدو لنا صوابها على قدر براعة المتكلمين فيها لا على قدر حُجَجِهم اللغوية.**

إننا نستنتج من كل هذه أن نكران فصاحة لغة الصحافة يعتمد على مصادر غير مفيدة لأنها وسائل نقد قديمة يُقر أصْحَابها أنها لا تشتمل على الإستعمالات الحديثة فلا يمكن أن تعتمد للنظر فيما لا صلة لها به لا سيمَا وأنه حدث في ظروف تختلف عن ظروفها وعن مؤثرات لم تخضع لها لغة المصادر.

ويبقى المشكل معلقًا إن اعتبرنا تهاون الناقدين بما تميزت به الألفاظ والتراكيب الجديدة من أطراد وشيوع يقر بعضهم أنه يستحيل استبدالها. ولا شك أن الإطراد والشيوع محكمان لأنهما ركيزتان من **ركائز الأكثر** الذي كان يقيس عليه أبو عمر وبن العلاء. إن التعصب للفصاحة القديمة شكلاً يفسد عليها أحيانا ذات حججها ويجعلها عرضة للظن لا سيّمَا إذا جرح الفصحاء في فصاحتهم ممّا يجعلنا نشك في تصويبهم الذي فرط علينا الوقوف على ما في لغة الصحافة من مصيب جديد ومن محدث خاطيء. فتصبح الفصاحة ضربًا من التفنن الذي لا صلة لها بالواقع اللغوي وتطوره. ويظهر لنا ذلك من مثال تطبيقي نأخذه من اليازجي الذي يمنع إستعمال «كلمة التحوير» بمعنى التنقيح والتعديل والتهذيب[55] لأن المعاجم لا تقر إلّا بمعنى التبييض

52) أسعد خليل داغر: تذكرة الكاتب، ص 9.

53) الزعبلاوي: أخطاؤنا...، ص 5–9.

54) نفس المصدر، ص 5.

55) اليازجي: لغة الجرائد ص 3.

وتجويد الدقيق – لكن لسان العرب يقر[56] معاني كثيرة منها معنى التحوير كذلك المعجم الوسيط خلافا للمنجد الذي لا يقر الكلمة اقتداءً باليازجي وإن كان يذكرها في مقدمته إذ يقول و«نبذل الجهد في تحقيق المعاني وتحوير المباني»[57]. إننا نشعر وكأن الفصاحة في دوامة من أهلها ومن مناهجهم. فإن لغة الصحافة تمثل تغيّرًا بالنسبة للفصحى الكلاسيكية. ولقد سبق أن غير القرآن لغة الشعر ووجد مخرجًا في التضمين لتبرير استعمالاته، إلا أن اللغويين المحدثين لم يجدوا إلى الآن حلاً مخرجًا للغة الصحافة ولكل ما طرأ عليها مثل اللغة العامية. إن المعجم الوسيط يفترض أن الفصاحة تقاس بما يطلبه قارئه أو مستهلكه من معلومات. فهو يتصوره أديبًا مثقفًا يتجنب الكلمات الجنسية البذيئة، والملاحنات والعامية أي كل المستويات اللغوية التي تكون دون مستوى ذلك المثقف المثالي. وهذا التصور لا يختلف عن تصور الفصاحة القديمة التي تنكر العامي والمبتذل بمعنى البذئ، كما رأينا ذلك عند السبكي[57]. إلّا أن المعجم الوسيط لا يستقر في التطبيق على تلك الفصاحة ويتجاوزها مناقضًا مواقفه المبدئية في مقدمته. فلقد أثبت المعجم الوسيط الكلمات العامية بعد الكلمات الفصيحة أو بمفردها من ذلك النعنوع، والنفناف، والنافوخ، والذم والمالح (للألح) والمرير (للمرار) والنصاب الخ وكلها من العامية المصرية. أما الكلمات البذيئة أو المبتذلة فلقد أتى منها كثير في المعجم الوسيط مثل الماخور والمنتن والمنشاص والمنطيق، والفرج، والفيشلة والقهبلس الخ.

فكأننا بالمعجم الوسيط يقر فصاحة في متنه ولا يقرها في مقدمته – وهو بهذه الطريقة يقر أيضًا وجود عدالة لغوية نسبية جدًا تؤيد مستويات لغوية مختلفة لا سيّمَا ما ذاع منها وأطرد. إنه يفتح باحتشام بابا جديدًا لفصاحات طبقات إجتماعية جديدة – ولعل كل هذا يجعلنا نعتقد أن قضية الفصاحة فتنة وليست رحمة للغة لما اكتنفها إلى الآن من اضطراب وتناقض ورثناهما عن القديم. فهي تحتاج ضرورة إلى وصف جديد علمي ييسر مصادرها ومعاييرها وما لحقها من تطور ويخلصها من مفاهيمها القديمة التي تربطها باللغة أكثر ممّا تربطها بالكلام لأن اللغة في المصطلح الحديث هي الرصيد المكنون في الأذهان والمعاجم والمتكون من كلمات واستعمالات مجمدة يستمد

---

56) ابن منظور: لسان العرب المحيط مادة حور.

57) المنجد: الطبعة الخامسة، (مقدمة).

منها الكلام مادته لا سيّمَا الحية منها يخضعها للتأليفات اللفظية والسياقات النظمية الشخصية التي تكون محرك التعبير والتغيير والتطوير. **فلو ربطت الفصاحة بالكلام المعاصر لها لاتضحت قضية الإستعمالات الحديثة وتبلورت منزلة العامية من الفصحى ولتمكنّا من أن نضع لكل كلام فصاحته الخاصة ولأصبحت الفصاحة فصاحات تمثل حلقًا من سلسلة فصاحات العربية. فندرك الفصاحة في منزلتها التاريخية الثرية وفي استعمالاتها الحية المتجددة من عصر إلى آخر. فتظهر لنا العربية الفصحى مرحلة من مراحل العربية وليست العربية كلها في كل زمان وفي كل مكان ممّا سيجنبنا كل المتناقضات السابقة وسيوفر لنا وضع معجم تاريخي يؤرخ للغة في جميع أطوارها ويحسم خلافات المتفصّحين - فتصبح الفصاحة أداة من أدوات تطوير اللغة وشاهدًا موضوعيًا يعينها على إدراك تطورها الذاتي من مرحلة إلى أخرى.**

فصاحة الحدث الصحفي
وأثرها الإجتماعي واللغوي

«ان الأسلوب السهل المشرف الذي وصلنا اليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية. لا يعود الفضل فيه إلى معلمي اللغة في المدارس والكليات. ولا يعود الفضل فيه الى الكتاب والأدباء القدامى، بل الفضل الأول في هذا الأسلوب يعود إلى الصحافة اليوم».

أديب مروة
الصحافة العربية نشأتها وتطورها
بيروت 1961، ص 111

1– تهدف هذه المقاربة أساسًا إلى وصف وتاريخ أثر فصاحة الحدث الصحفي في المجتمع العربي وخاصة تصور الذهنية العربية لها وتعاملها معها. وذلك من شأنه أن يثير مسألتين حضاريتين هامتين: أولها قابلية المجتمع العربي ومنهجه في استيعاب هذا الحدث الجارف وأمثاله في جميع المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية. أما المسألة الثانية فهي تتعلق «بالأزمة» اللغوية الإيجابية وبالتالي الفكرية التي تسبّب فيها، ممّا مكّن اللغة العربية من التخلّص من لغة الدواوين لتصبح لغة تفكير صحفي وعلمي تمت بأكثر من سبب إلى المعاصرة والحداثة.

1 – **التعريف**: المصطلحات الرئيسية التي روّجها الحدث الصحفي هي:

1 – الصَّحافة أو الصِّحافة

2 – الصّحيفة ج الصحف

3 – الصَّحفي أو الصُّحُفي

ولقد أتى هذا المفهوم في صيغة الجمع. في القرآن الكريم يذكر 7 مرات:

– ﴿أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى﴾ (طه، عـ 133 – دد)
– ﴿لم يُنبأ بما في صحف موسى﴾ (النجم، عـ 36 – دد)
– ﴿فمن شاء ذكره في صحف مكرمة﴾ (عبس، عـ 80 – دد)
– ﴿واذا الصحفُ نُشرت﴾ (التكوير، عـ 81 – دد)
– ﴿إنّ هذا لفي الصحف الأولى صُحف إبراهيم وموسى﴾ (الأعلى، عـ 18 – 19 – دد)
– ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفًا منشرة﴾ (المدثر، عـ 74 – دد)
– ﴿رسول من الله يتلو صُحفًا مطهرة﴾ (البينة، عـ 98 – دد)

وهي في أغلبها الكتب المنزلة المكونة من مجموعة من الصحف أو الأوراق.

أما في الحديث الشريف فلقد جاء في صيغة المفرد المؤنث «أتراني حاملاً إلى قومي كتابًا كصحيفة المتلمس». ويقال إن المصحف مشتق من الصحيفة ويعنى به الكتاب الذي جمعت فيه الصحف. وهي تفيد بدورها الأوراق والرسائل والوثائق الخ.

في لسان العرب لابن منظور: الصحف ج صحيفة والصحيفة هي التي يكتب فيها. أما في القاموس المحيط للفيروزابادي فهي الكتاب وجمعها صحائف، وصحف. وفي المصباح في غريب الشرح الكبير للرافعي: الصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه. فان نسب للصحف يقال الصَّحَفي لا الصُّحُفي لأن بعضهم يرى أن الاشتقاق من الجمع غير جائز. فلا يقال صُحُفي نسبة الى صحف – والصُّحفي من يخطئ في قراءة الصحيفة. والتصحيف الخطأ في الصحيفة. يقال: صَحَّفه فتَصَحَّف أي غَيَّره فتغيَّر حتى التبس المعنى: **فالصحافة تفيد اللحن والخروج عن القواعد المألوفة**.

والصُّحفي من يأخذ العلم من دون أن يدرس على المشائخ (autodidacte) وهو حسب المعجم الوسيط[1] «من يزاول حرفة الصحافة».

أما إسم المهنة فهي الصَّحافة والصِّحافة. ولقد سعى بعضهم إلى تخصيص المعنيين. فالصَّحافة تدل على المهنة الصَّحفية. وتقابل معنى (journalisme-journalism)، أي الصناعة والثانية تفيد الصِّحافة مجموع ما ينشر في الصحف ويقابل معنى (La Presse-The Press).

أما المعجم الوسيط[2] فهو لا يذكر الا الصَّحافة معرفًا إياها بما يلي:

«مهمة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة». ويعتبر هذه الكلمة مولدة أي أن معناها الحالي لم يكن معروفًا عند الفصحاء القدامى.

ولقد اطلقوا على الصحيفة والصحف والصحافة في أول الأمر اسم «الوقائع» في القرن التاسع عشر، ثم تلتها كلمة «جورنال» التي نجدها عند رفعت رفاعة الطهطاوي[3] وعند خليل الخوري صاحب «حديقة الأخبار» التي برزت سنة 1858.

أما كلمة «صحيفة» فيرى أديب مروة[4] ان مخترعها هو الكونت رشيد الدحداح. ولقد جاء في المعجم الوسيط[5] «والصحيفة ما يكتب فيه من ورق ونحوه، ويطلق على المكتوب فيها (ج) صحف... وهي أيضًا إضمامة من الصفحات تصدر يوميًا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك (ج) صحف وصحائف»[6].

ولقد استعمل فارس الشدياق «الجريدة» معاكسًا غريمه الدحداح. والجريدة. «سعفة طويلة تقشر من خوصها، والبقية من المال، وخيل لا رجّالة فيها... وصحيفة تنشر فيها أخبار ومقالات تصدر في أوقات معلومة ج جرائد»[7] (محدثة) وحداثتها

---

1) المعجم الوسيط، ج 510/1.
2) نفس المرجع.
3) الشيال: تاريخ الترجمة، ص 214.
4) أديب مروة: الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، بيروت 1961.
5) المعجم الوسيط، ج 510/1.
6) نفس المرجع.
7) نفس المرجع، 116/1.

باعتبار أنه كان يكتب في القديم بعض العبارات والآيات القرآنية على السعف عند دفن الميت. وتوضع الجرائد مكتوبة في قبره.

ولقد استعملت مصطلحات أخرى أيضًا في نفس المعنى منها:

«النشرة» وكذلك «المجلة». وقالوا إنها مشتقة من جَلَّ جَلالُه أي عظم واشتهر ولعلَها من جلا يجلو أي وضُحَ وبان.

لا شك أن كلمة الصَّحافة أو الصِّحافة غالبتان، اذ لا يوجد إسم حرفة أو صناعة مشتق من مجرد، كذلك كلمتي الصِّحفي والصُّحفي، وان كان بعضهم قد استعمل في المغرب مصطلح «الجرائدي».

فالنزاع القائم بين مصطلحي «صحيفة وجريدة» ج «صحف وجرائد» لا يمكن أن يحسم، إلا إذا توفرت لنا دراسة وصفية إحصائية لنتبيّن نسبة انتشار كل واحدة منها، ومناطق استعمالها حتى يمكن لنا أن نقر أكثرهما شيوعًا ونضبط معانيهما بحسب السياق والتوزيع الدلالي.

والملاحظ أن كل هذه المصطلحات تدل على أنها كلمات قديمة قد تطورت معانيها لاداء مفاهيم جديدة باعتماد الاستنباط أو التجاوز مثلها مثل كلمات سيارة، وذرة، ودبَّابة، وقنبلة الخ. وهي من أصناف المخترعات اللفظية والمعجمية التي ستروجها الصحافة وتلج بها جميع المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية الخ. **وليس من الغريب أن يكون الصُّحفي – وهو من يخطئ في قراءة الصحف وأخذ العلم من دون المشائخ – المخطئ في وضع معان جديدة سيكون لها أثر في تطور اللغة والتفكير عندنا.**

والملاحظ هنا أن أديب مروة قد ربط صحافة اليوم بوسائل الاعلام القديمة في العصرين الأموي والعباسي. «فديوان الرسائل» «وديوان الانشاء» «والرسائل الأدبية» كانت تتناول موضوعات صحافية وتهتم مثلاً برسائل البيعات للخلفاء، وأولياء العهد، وتأييد بعض المذاهب السياسية والدينية، والقصص، والسمر، والحكاية على ألسنة الحيوانات، فيقول في الرسائل الأدبية «واذا علمنا أن كل رسالة من تلك الرسائل كانت لا تتجاوز عشرين صفحة، وأن كل واحدة منها كانت ردًا على رسالة أخرى سبقتها، استطعنا أن نسمي ذلك نشاطًا صحافيًا، ... والرسالة الصغيرة

قامت قبل ظهور المطبعة مقام المجلة والجريدة»[8] ولا شك أن في هذا الرأي نظرًا ، لأنّ الصحافة «تشمل اليوم جميع الطرق التي تصل بواسطتها الأنباء والتعليقات عليها الى الجمهور ، وكل ما يجري في العالم مما يهم الجمهور ، وكل فكر ، وعمل ، ورأي تثيره تلك المجريات يكون المادة الأساسية للصحفي»[9].

2 – سلطان الصحافة وانتشارها بين الجماهير:

إن الصحافة تعتبر حدثًا تاريخيًا ، وثقافيًا ، وسياسيًا ، ولغويًا هامًا باعتبار قوته المادية وسلطته من حيث تكييف الآراء ، واختراع الطرق اللغوية والأساليب المعبرة عنها . وتظهر تلك السلطة أولاً في عدد الصحف وكثرتها وتعدد مشاريعها وأساليبها ، إن أخذنا بعين الاعتبار نسب توزيعها على القراء وذلك حسب استقراء وقع سنة 1964[10] . ففي الولايات المتحدة صدرت إذّاك 1736 صحيفة يومية وزعت منها 59,111,464 نسخة أي بنسبة 326 نسخة لكل ألف شخص ، وفي اليابان صدرت 157 صحيفة يومية وزعت منها 39,139,000 نسخة أي بنسبة 416 نسخة لكل ألف شخص ، وفي الصين الشعبية وجدت 392 صحيفة يومية وزعت منها 12,000,000 نسخة أي نسبة 20 نسخة لكل ألف شخص ، وفي مصر وجدت 37 صحيفة يومية وزعت منها 500,000 نسخة يومية أي بنسبة 20 نسخة لكل ألف شخص . وفي العراق 19 صحيفة يومية وزعت منها 66,000 نسخة أي بنسبة 10 نسخ لكل ألف شخص ، وفي تونس 4 صحف يومية وزعت منها 60,000 نسخة أي بنسبة 14 نسخة لكل ألف شخص ، وفي المغرب 9 صحف يومية وزعت منها 257,000 نسخة أي نسبة 22 نسخة لكل ألف شخص إلخ .

واليوم يستخدم الإرسال اللاسلكي في نقل طبعات الجرائد الكبرى عبر القارات حيث يعاد طبعها وتوزيعها ، من ذلك (New York Times) الأمريكية التي تطبع بهذه الطريقة في العواصم الكبرى . وكذلك الشأن بالنسبة للصحف اليابانية داخل

---

8) أديب مروة : الصحافة العربية المذكورة سابقًا ، ص 95 .

9) خليل صابات : الصحافة رسالة واستعداد ، دار المعارف 1967 ، ص 14 .

10) نفس المرجع ، ص 335 – 338 .

اليابان. [ولا توجد الى يومنا هذا صحيفة عربية تطبع بهذه الطريقة].

فالصحافة قوة ضاربة استبدت بجميع طرق الاعلام وبالتالي بطرق التثقيف والتفكير. ولقد تنبَّه السلطان عبد الحميد الى خطورتها على عالمه القديم فقال «لو عُدتُ الى يلدز لوضعت محرري الجرائد كلهم في أتون كبريت»[11]. أما أحمد شوقي فلقد اهتم بهذه القوة الجديدة واعتبرها آية زمانه، ولها القول الفصل. فقال فيها:

لكـل زمـان مضى آيـة
وآيـة هـذا الزمـان الصحف

لسان البلاد ونبض العبـاد
وكهف الحقوق وحرب الجنف

فيـا فتيـة الصحف صبرا اذا
نبـا الرزق فيهـا بكم واختلف

فـإن السعـادة غير الظهو
ر وغير الثراء وفير الترف

ولكنهـا في نواحي الضمي
ـر اذ هو بـاللؤم لم يكتنف[12]

ان هذه القوة وهذا السلطان قد اقرَّا لها مكانة ومنزلة خاصتين، اذ يقول في ذلك نور الدين طراف «الصحافة قوة ضخمة، عظيمة الأثر بالغة النفوذ، اكتسبت بل انتزعت من أصحاب السلطان لقب أصحاب السلطان فسموها «صاحبة الجلالة» ووقفت بقامتها الجديدة تفرض نفسها بين القوى الموجهة في كل بلد. فسميت السلطة الرابعة الى جانب السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية... حتى أنَّ كثيرًا من المفكرين يلقبون العصر الذي نعيش فيه بعصر الصحافة لأنها من أبرز القوى التي تعمل فيه»[13].

11) نفس المرجع، ص 17.
12) نفس المرجع، ص 16.
13) نفس المرجع، ص 15.

إن تلك القوة تنبع من كون الصحافة التي يهاجمها العالم القديم والسلطات الأخرى ، سواء في ميدان اللغة والأدب ، والسياسة ، والاجتماع ، وسيلة اعلام جماهيرية لا تتجه الى طبقة معينة أو إلى فئة محدودة بل تتجاوز كل تلك الحدود الضيقة لتبلغ الجمهور القومي أو العالمي. وبهذا الاعتبار فهي لا تخاطب جمهورًا واحدًا بل أنواعًا من الجماهير ثقافة وذوقًا وحاجات الخ.

فلو اعتبرنا الصحيفة في بلدنا كاتبًا أو شاعرًا لبدت أكبر كاتب وأكبر شاعر لأن جمهورها اليومي لا يكاد يحصى. فلم يكتب لمؤلف قديم أو حديث أن يفوز بعدد من النسخ ومن القراء يساوي قراء جريدة واحدة كبرى في يوم واحد «وواضح ان سر هذه القوة يكمن في جمهور الشعب ، أي جمهور القراء الذي يقف وراء الصحف يستقي منها التوجيه والارشاد. فالشعب الان هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في كل مكان ، وباسمه تحكم الأمم سواء في الحكم الديمقراطي أو الحكم الديكتاتوري ، أو الحكم الشيوعي ... وما دامت للصحافة هذه العلاقة الوثيقة بالشعب وهذا النفوذ البالغ الأثر عليه فلا يستغرب أن يكون لها ما تحدثنا عنه من قوة»[14].

ان الصحافة قد اهتمت بمختلف مجالات الفكر العلمية والثقافية والسياسية ، فتكيفت معها وتكيفت لغاتها وأساليبها. ان الصحف العربية الحديثة مختلفة متنوعة إذ فاق تنوعها أنواع كتب الأدب والعلوم التقليدية. فهي الكتب كلها مع الزيادة. وهي تكاد تكون المعبر عن الكتب التي استحالت مطالعتها لاختصاصها أو لطولها. فحلّت محل الكتب لأن عالمنا عالم سرعة يكتفي غالبًا بما تزوده به الصحف. وهذه الصحف منها ما يكون جامعًا سياسيًا واجتماعيًا ، وثقافيًا ، ومنها ما يكون مختصًا في الطب والعلوم ، والزراعة ، والتجارة ، والأطفال والنساء الخ ، ومنها ما يكون أدبيًا بحتًا يهم الأدباء والشعراء والفنانين. ومنها ما يكون هزليًا مسليًا يعتمد الحكايات والمضحكات والفكاهات مع كثرة الكاريكاتور والتخاطب ، ومن الصحف ما يهتم بالفنون كالغناء والرقص ، والسينما ، والموسيقى ، والنحت ، فلقد قال جرجي زيدان في هذا الشأن: «فلقد رأيت صدور المجلات ... الطبية والتاريخية. وهذه «الفتاة» نسائية ... وصدرت جريدة «المهندس» رياضية ، و«المنظوم» شعرية ، و«الشرائع والقضاء ، والاحكام

---

14) نفس المرجع.

المصرية» كلها قضائية و«الابتسام» فكاهية و«الروضة» زراعية و«اليانصيب» مالية و«مجلة الغرفة التجارية» تجارية، و«الأجيال» تصويرية، و«المنار» اسلامية عمرانية... ومجلة «التعاون الاقتصادية»[15]. ولا شك أنه سيكون لكل هذه الأنواع من الصحف آثارها الإجتماعية ولغاتها، ولهجاتها، وأساليبها التي ستتجاوز الأسلوب العربي التقليدي لتقرّ أساليب عربية متنوعة.

ولقد فرضت الصحافة العربية اتجاهات ومذهبيات لها أساليبها ولغاتها. فمن الصحف ما هو ملتزم اقتصادًا، واجتماعًا، وثقافة، ولغة، فالجريدة التي تكافح الاستعمار تدعو بطبيعة الحال إلى ثقافة قومية قوامها أحياء اللغة القومية سواء بالعودة الى لغة الماضي أو الى وضع أسس جديدة لها. وهناك صحف محايدة ليس لها مواقف واضحة من الثقافة واللغة مثلاً وان كانت تستعمل الفصحى. وهناك صحف الدولة أو الحكومة التي تكيف المواضيع بحسب إتجاهات الحكومة: اعتبر مثلاً قضية التعريب في الصحف الحكومية في المغرب والجزائر وتونس مثالاً لذلك وهو ما يستحق دراسة مقارنة. ومن الصحف من له اتجاه تجاري بحت يمكن أن يؤول الى متاجرة بالآراء والأفكار. ولهذه النزعة أساليب في اللغة.

3 – الفنيات الصحفية الجديدة: مصطلحاتها وأساليبها

من المعلوم أن الصحافة العربية المعاصرة قد تميزت بظاهرتين بارزتين وهما: الاستبداد بالضروب الأدبية المعروفة، وخلق ضروب أخرى لها لغتها وأساليبها. ان الصحافة قد أحيت جميع ضروب الأدب، وعبرت عنها بالفصحى، والعامية، وحتى باللغات الأجنبية. ومن الضروب الادبية التي أنشأتها الصحافة نذكر «الاقصوصة» و«المسرح» وخاصة «فن الخبر» وهو التقرير عن الأحداث والمواقف والأخبار[16] كذلك فن «المقال». وهو أهم فن من فنون الكتابة نظرًا لدوره في تطور العربية. يضاف الى ذلك الضروب الأدبية الجديدة مثل الاقصوصة. في المقال يقول أديب مروة: «هو عادة مجرد عرض أو تحليل لفكرة معينة يتلقفها الكاتب من

---

15) جرجي زيدان: تاريخ الآداب العربية، ج4/63، (بدون تاريخ).

16) أديب مروة: الصحافة العربية، ص 34.

بيئته فيعبر عنها بأسلوب سهل قريب الى الأذهان ، دون حاجة الى التمحيص أو النظام أو العمق بل يوشك المقال أن يكون حديثًا عاديًا سلسًا مختصرًا بين الكاتب وقرائه يشترط فيه الابتكار والتجدد والسرعة»[17].

أما الضرب الثالث الذي انشأته الصحافة فهو «الافتتاحية» (Editorila ؛ Column) . وهو يعبر عن رأي الصحيفة ويعتمد الشرح ، والتفسير ، والاقناع ولا يستند الى الوعظ والإرشاد ، فيكون بعيدًا عن الحشو والاستطراد اللغويين. ويمكن أن نلحق بالافتتاحية أو «السانحة» ، «التعليق السياسي» أو ما يعبر عنه أحيانًا «بالزاوية» أو «العمود» (Billet). فهو يعتمد النقد اللاذع العابر الذي يجسم الأفكار في حادثة معينة ، وهو كثيرًا ما يكون فكهًا متهكمًا «بأسلوب جذاب بعيد عن الترصن تستعمل فيه أحيانًا الثورية والتلاعب بالألفاظ... والبارعون فيه ندرة قلائل»[18].

ومن الضروب الباقية التي أنشأتها الصحافة نذكر «البحث الصحفي» (Reportage) والحديث (Interview) و«التحقيق» (Enquête) والنقد الأدبي والفني ، و«الاشهار» (Publicité) والكاريكاتور... والصور المتحركة التي لها لغاتها وأساليبها وكل ذلك ليس له صلة بالفنون القديمة قلبًا وقالبًا. ونحن في حاجة الى وضع قاموس صحفي واعلامي يشمل جميع المصطلحات التي اتت بها الصحافة للتعبير عن قضايا العصر ومجالات الفكر.

4 – الصحافة والفصاحة الجديدة :

لقد خلقت الصحافة حدثًا لغويًا ثالثًا بعد الحدث القرآني[19] وبعد حدث النثر الفني الذي وضعه أمراء البيان كما يسميهم محمد كرد علي. وأدخلت على العربية من التعبيرات والأساليب التي لا تقل أهمية عن التعابير والأساليب التي أدخلتها لغة القرآن على لغة الشعر بفصيحها ومعربها. ولقد امتزج الحدث الصحافي مثله مثل

---

17) نفس المرجع ص 37.

18) نفس المرجع.

19) عبد العال سالم مكرم : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1968 ، 378 ص.

الحدثين السابقين بظاهرة الازدواجية اللغوية ، فنشأ عن ذلك تطعيم لغوي قد أثّر في العربية وكان سببًا من أسباب تطورها ، فالحدث القرآني قد وضع قضيتي «الغَريب» و «التّضمين» ، وحدث النثر الفني قد وضع قضية تأثر النثر العربي بالنثر الفارسي. فلقد وضع ابن المقفع أصول الكتابة الفنية اعتمادًا على الكتابة الفارسية. فقال أبو الهلال العسكري في هذا الصدد : «استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي»[20].

أما الحدث الصحافي فهو يكاد يساوي في أثره الحدثين السابقين. فلقد قال فيه ابراهيم اليازجي : «اذا تفقدت الجرائد أنفسها وجدتها قد انتقلت الى طور جديد من الفصاحة وجزالة التعبير كما تبين ذلك من المقابلة بين حال الكثير من جرائدنا اليوم»[21]. - وقد اعتبر هذا الأثر خطرًا على اللغة مخلًا بفصاحتها اذ يضيف : «بيد اننا مع ذلك كله لا نزال نرى في بعض جرائدنا الفاظًا قد شذت عن منقول اللغة ، فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها... وأصبح كثير من الفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجمًا بحاله»[22].

ولا شك أن رد الفعل هذا يدل على اثر الصحافة في العربية. مثلما أشار إلى ذلك شوقي سابقًا. فهو يدل على موقف أصحاب نقابة الفصاحة القديمة من الفصاحة الجديدة مثلما كان شأن موقف الشعر الجاهلي من القرآن الذي يمكن أن يعتمده نقاد الصحافة قائلين «والصحافيون يتبعهم الغاوون يقولون ولا يجيدون».

فما هي الوضعية التي انشأت هذه الفصاحة الجديدة؟ ان لغة الصحافة تعتبر لغة جديدة تختلف عن لغة الأدب والعلم. فاللغة الأدبية هي لغة ذاتية تعبر عن لغة الكاتب وعن أحاسيسه ، الغاية منها البحث عن القيم الجمَالية سواء في المستوى المعنوي أو الفني. فهي لغة تضمينية خالقة للمعاني الجافة. ويعني بالتضمين إيقاع لفظ موقع لفظ آخر ومعاملته بالمثل لتضمنه معناه واشتماله عليه. أما لغة العلماء ، فهي وان كانت غير أدبية فهي لا تخلو من أنانية وتمتاز باختصاصها وتعمقها في المواضيع العلمية.

20) أديب مروه : الصحافة العربيّة ، ص 96.

21) إبراهيم اليازجي : لغة الجرائد ، مطبعة مطر بمصر ، (بدون تاريخ) ، ص 2.

22) نفس المرجع ، ص 3.

وبالتالي فان لغة الصحافة تعبر عن أحداث عامة غير ذاتية لا سيّمَا في المقال العام اذ أن تعبير الصحافي «عنها لا يشترط فيه جمال الأدب الخالص ولا دقة العلم الخالص. لأنه يعبر بلغة الحياة اليومية بكل ما في هذه اللغة من إلفة وبساطة ووضوح وحيوية»[23]. فلغته موجهة الى جمهور من الناس تختلف مستوياته الذهنية والاجتماعية والثقافية. فهي لغة وسط تسعى الى تبليغ مضمونها إلى أكبر عدد ممكن من الناس. ولقد قال الكاتب الصحفي الانكليزي (ديفو) في هذا الشأن: «اذا سألني سائل عن الأسلوب الذي اكتب به قلت إنه الذي اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافًا عظيمًا في قواهم العقلية – عدا البله والمجانين – فانهم جميعًا يفهمون ما أقول»[24].

قلّ ان يهتم كاتب المقال بجميع معاني البديع والبلاغة، وهو يتفاعل مع الكلمات العامة والحديثة التي تنشئها الحياة العامة ومنها ما لا صلة له بالقديم. فهناك ألفاظ للاستعمال ليست لها مقابل أو سابق في اللغة.

فالصحافي يكتب الخبر الذي يحتاج الى الاختصار ويجيب عن اسئلة معينة كثيرًا ما تدور حول: متى وقع الحدث؟ وأين وقع؟ ومن تسبب فيه؟ وكيف كان ذلك؟ فيكون الجواب عن ذلك عن طريق الأخبار والاعلام لا عن طريق الوعظ والإرشاد.

فالمقال مثلاً ليس قصة، ولا رواية، ولا محاضرة علمية دقيقة ومتعمقة بل هو مجرد التعبير عن حدث وعما يحدثه في بيئته وواقعه – فالمقال شيء غير مكتمل يعتمد الخواطر ولا يستدعي التعمق أو الإحاطة الشاملة بالموضوع. فهو معتدل الطول، موجز ينقصه الصقل.

ولعل المقال الصحفي في حاله هذه ناتج عن كونه أداة موجهة الى مجموع الناس، خلافًا للأدب أو العلم اللذين كثيرًا ما يكونان موجهين الى طبقات معينة أو إلى اختصاصيين؛ وقد كان الأدب ارستقراطيًا وأصبح طبقيًا.

---

23) عبد اللطيف حمزة، الصحافة والأدب في مصر، القاهرة 1955، ص 12.

24) نفس المرجع، ص 13.

ولقد تخلص المقال الصحفي شيئًا فشيئًا من ربقة الأدب والعلمية. وذلك بفضل الادباء الذين «تصحّفوا». فمرّ المقال الصحافي بمراحل ثلاث:

1 – المرحلة الثقافية؛

2 – المرحلة الاجتماعية؛

3 – المرحلة السياسية.

وقد تكيف بحسب هذه المراحل:

فالمرحلة الأولى يمثلها رفعت رفاعة الطهطاوي، وعبد الله أبو السعود، وأحمد فارس الشدياق. ولقد كان السجع والمحسنات البديعية غالبين على أسلوب المرحلة الأولى كما كان يغلب عليها التهويل والمبالغة في تصوير الواقع والأحداث الموصوفة.

فلقد جاء في افتتاحية «الوقائع المصرية» (1828) في عددها الأولى ما يلي: «أحمد الله باري الأمم، والسلام على سيد العرب والعجم، أما بعد فان تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بني آدم، المتذنجين (كذا) في صحيفة هذا العالم، ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم، ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضًا هي نتيجة الانتباه والتبصر بالتدبير والاتقان، واظهار الغيرة العمومية وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان»[25].

أما العدد الأول من السنة الرابعة من «وادي النيل» لعبد الله أبي السعود، فلقد ورد فيه «ان من طالع سعدنا ان وصل الينا بمصر القاهرة، في هذه الأيام الحاضرة من نتائج افكار أرباب القرائح العصريين، وثمرات أوراق أصحاب الفضل والأدب السوريين، المتوقدة أذهانهم الآن بمدينة بيروت، لا يليق بتاريخ اللغة العربية في هذا العصر أن يلزم في حقهم السكوت...»[26].

أما المدرسة الثانية فأصحابها محمد عبده، وبشارة تقلا، وعبد الله النديم، وأديب اسحاق، ويعقوب صروف. ولم تسلم هذه المرحلة من السجع. فلقد كتب أديب اسحاق في جريدته (مصر) يدعو الى مساعدة الجرحى «في معترك اومضت فيه بروق المرهفات، ولعلعت رعود المدافع، فقتلها غيوث الكرات، وسكرت السيوف

25) أديب مروة: الصحافة العربية، ص 433.

26) عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب، ص 108.

بخمر من الدم ، فعربدت في الرؤوس ، وعقد العثير لملك الموت سرادقًا مطينًا بالقنا . والخيل ساغبة تقبل ثقالاً »[27] .

ومن هذا النوع أيضًا في وصف جيش المحاربين «وقد هاجت منهم الضراغم ، وطارت القشاعم ، وثارت الغماغم وماجت الخضارم الخ »[28] .

فكان الصحفي يرصف الكلام ويكثر من الحشو ، مدبجًا الفصل بسجع ليس له معنى ، ولا صلة له بالخبر او الحدث الجاف ، المعلم بما يجري دون مبالغة أو تهويل . ولا بد أن نلاحظ هنا أن الصحافة العربية في المغرب قد تجاوزت منذ عهد بعيد ذلك النوع من المقال الصحفي ، لأن الرائد الرسمي التونسي الصادر في 10 رمضان 1277هـ/ 9 مارس 1861 عـ 25 – دد ص 4 كان قد ترك هذا الأسلوب . فلقد جاء فيه عن جزيرة الجاپان (اليابان) : «نشرت الصحائف الفرنسوية رسالة من الجنرال دي مونتوبان رايس أسطول الفرنسيس المرسل لمحاربة الدولة الصينية يقول فيه أنه بعد فراغه من الحرب الصينية توجه لزيارة جزيرة جابان قاصدًا التفرج عليها والاصلاع على أحوال الافرنج فيها وانه وجدها في تعكر عظيم من جري هيجان الأهالي ضد الأجنبيين لقلة صدقهم في متاجرتهم معهم » .

أما في المشرق العربي فلقد خرجت الصحافة العربية من هذه المرحلة الى مرحلتها الثالثة التي ستبرز المقال الصحافي الى الوجود ، كما ستبرز خصائصه اللغوية الأساسية . ويعود الفضل في هذا التطور الى صحافي مشهور ، وهو الشيخ علي يوسف صاحب جريدة «المؤيد» الذي اشتهر بحملاته على اللورد كرومير. فكان باعث الأسلوب السياسي لا سيا في مقالاته العشر المشهورة بعنوان «**قصر الدوبارة بعد يوم** الأربعاء» . فلقد ركز على المقالة الشعبية التي تقوم على المجادلة والمنطق والبرهان ، وهي خالية من السجع وجميع المحسّنات البديعية والبلاغية . وهو يستمد استعاراته وتشبيهاته من الواقع اليومي لا من كتب الأدب الرقيق . وإليك نموذجًا من هذا الأسلوب الذي ينتقد به سياسة التعليم في مقالة صدرت سنة 1903 : «والحكومة توهم بأنها راغبة في نشر التعليم الصناعي . وهمتها في ذلك واهية وغاية التعليم الثانوي والعالي عندها واحدة ، وهي اعداد الفئة اللازمة خدمة للحكومة بالشبان ليس إلا . فالتعليم الرسمي هنا يقتصر

27) نفس المرجع ص 109 .

28) أديب مروة : الصحافة العربية ، ص 433 .

على حاجة الأمة من بعض وجوهها ، لا كلها ويقصر نفعه على فريق قليل منها فلا يشمل كل الطبقات . وقد نادى مجلس الشورى القوانين حتى بح صوته في سنين كثيرة يطلب النظر في لوائح التعليم . فكان يجاب عن ذلك بأنه ليس من اختصاص مجلس الشورى نظر لوائح التعليم ... »[29] .

ولقد واصل هذا العمل صحافيون مشهورون منهم لطفي السيد في «الجريدة» ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، والمازني ، وطه حسين الذين أبلوا البلاء الحسن في سبيل المقالة الصحافية ولغتها . ولقد كان للصحافة الدور العظيم في **معركة القديم والحديث** . فيقول طه حسين في الصحافيين : «هم الذين نشبوها ، وهم الذين عملوا بواسطة صحافتهم على تفكيك الأغلال الفنية القديمة»[30] . ويؤيد العقّاد هذا المظهر الجديد من الأفكار والأساليب فيقول : «سجع محفوظ الفواصل والقوافي يتردد على كل قلم ، ويزج في كل موضوع ، ثم ارتقى الى سجع يبتكر الكاتب فيه كثيرًا أو قليلاً من ألفاظه وقوافيه ، ثم انطلق في اسلوب منمق معقول لا تقوم فيه الاسجاع والقوالب ، ثم تعددت الأساليب والموضوعات فكثرت أساليب الأدباء والصحافيين ووضح أثر الحرية في الكتابة»[31] .

ولقد تطور اسلوب الصحافة الى أن أصبح اسلوبًا سهلاً يمكن أن يفهمه المتعلم المتوسط والمثقف والاختصاصي . فهو يرضي تقريبًا جميع الأذواق . «وهكذا فإن الأسلوب السهل المشرق الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية ، لا يعود الفضل فيه إلى معلمي اللغة في المدارس والكليات ، ولا يعود الفضل فيه الى الكتاب والأدباء القدامى ، بل الفضل الأول في هذا الأسلوب يعود الى الصحافة اليوم»[32] .

في الخبر طرافة تخضع لغة الجرائد لمنهج العلاقات الاستبدالية والعلاقات النحوية حسبمَا يقرها علم اللسانيات[33] . وفي ذلك تجديد يجدد نظرتنا إلى اللغة ولا سيّمَا لغة الجرائد التي نظر اليها بمنظار اللحن والخروج عن القاعدة .

---

29) عبد اللطيف حمزة : الصحافة والأدب ، ص 111 .

30) أديب مروة : الصحافة العربية ، ص 437 .

31) نفس المرجع .

32) نفس المرجع ، ص 441 .

33) خليل صابات : الصحافة ... ، ص 21 – 22 .

5 – مساهمة الصحافة في تطور اللغة وفصاحتها.

يمكن لنا أن نعتمد منهجًا خاصًا يسعى إلى ادراك تلك المساهمة من موقفين متقابلين : القبول أو الرفض . وسنقتصر لتبيان ذلك على أهم النصوص التي خصصت لهذا الموضوع بالذات . فلقد كان ابراهيم اليازجي (1848–1906) أول من اهتم بالموضوع في العصر الحديث في مقالاته التي نشرها بمجلة «الضياء». وقد جمعها وطبعها مصطفى توفيق المؤيدي في كتيب أسماه «**لغة الجرائد**». وزاد على تلك المقالات كل ما ذكر في شأنها بأعمدة «الضياء» الأخرى. فقال الناشر «وقد عثرت على تصحيحات أخرى لبعض الفاظ الكتاب ذكرت متفرقة في بعض فصول مجلة «البيان» ، وفي باب الأسئلة وأجوبتها من مجلة «الضياء» ، فرأيت أن أزيدها هنا توفية للفائدة ، بعد استئذان المؤلف الفاضل في صياغتها على سبق ما ذكر في هذه المقالة»[34].

ولقد أردف الناشر عمله هذا بفهرس للأخطاء المشار اليه. وهي مرتبة حسب الصفحات وليس بحسب حروف الهجاء أو المقولات اللغوية مثل الأصوات والصرف ، والنحو والبلاغة.

لقد لاحظ اليازجي ان الصحافة وما لها من تأثير سيكون لها وقع باعتبار «موضع الجرائد من الأمة وما لها من التأثير في مداركها وأذواقها وآدابها ولغتها وسائر ملكاتها ولا سيّمَا مع كثرتها وانتشارها في عهدنا الحالي»[35]. وهو يرى أن أثرها في ميدان اللغة قد تميز بخصائص ثلاث : اثنتان ايجابيتان وواحدة سلبية يبدو أن أثرها قد تغلب على سابقتيها وتشمل تلك الخصائص :

أ) إحياء اللغة العربية من حيث أساليبها القديمة وتدعيم قواعدها الكلاسيكية «وليس من ينكر أن ذلك كان سببًا في انتشار صناعة القلم عندنا ، وتدريب الكتاب على أساليب الانشاء واقتباسهم صور التراكيب المختلفة ، واحياء كثير من اللهجة الفصحى ، حتى بين عامة الكتاب ، مما آذن بانتعاش اللغة من كبوتها واحياء الآمال في عودتها الى قديم رونقها»[36] فأثر الصحافة في اللغة يبدو حسب هذا المفهوم سلفيًا.

34) رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوي ، القاهرة ، 1967 ، ص 318.

35) اليازجي : لغة الجرائد ، ص 8.

36) نفس المرجع.

فصناعة الأساليب والإنشاء وصور التراكيب ليست الغاية منها إلا العودة إلى ما كان متعارفًا منها عند القدماء. فالصحافة أتت لتدعم وسائل التبليغ اللغوية القديمة. ولا شك أن هذا الرأي يشير خاصة الى المرحلتين الثقافية والاجتماعية اللتين تحدثنا عنهما سابقًا.

ب) إنشاء أسس فصاحة جديدة يبدو أنها تختلف عن الفصاحة القديمة، دون أن تكون مخالفة لها: «بل إذا تفقدت الجرائد أنفسها وجدتها قد انتقلت إلى طور جديد من الفصاحة وجزالة التعبير كما تبين ذلك من المقابلة بين حال الكثير من جرائدنا اليوم»[37]. فما هي خصائص هذه الفصاحة الجديدة؟ وما يعنى بجزالة التعبير؟ ذلك ما لم يعبر عنه تعبيرًا صريحًا واعتبره من باب الضمنيات التي سنعود إليها. ولعله يشير هنا إلى أساليب المرحلة الثالثة، وهي المرحلة السياسية التي لم تخرج في غالب الظن عن القواعد المألوفة بل تميزت بلغة فصيحة، لكنها بسيطة (لغة الرائد التونسي والمؤيد).

ج) تشويه اللغة وترك منقولها بانتشار الوهم والخطأ فيها. ولقد شمل هذا العنصر السلبي حتى كبار الكتاب والمتقدمين منهم: «فجاءت العبارة بها مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ»[38] ولقد خلقت معجمًا جديدًا لا معرفة لأهل اللغة به. فلغة الصحافة حسب هذا التعبير، هي طامة كبرى قد فجرت الدال العربي ومدلوله. فهي معرضة في هذا الشأن إلى:

1 – قبول كلمات وتراكيب تؤدي معاني لم توضع لها من قبل.

2 – الانحراف عن الأصول العرفية للكلمات والتراكيب الى كلمات وتراكيب جديدة تعتبر حسب رأيه مدعاة الى فساد اللغة. فهو يدعو الى اصلاح ذلك الفساد الذي ليس تطورًا، وذلك بالمحافظة على سلامة اللغة وبمساعدة الكتاب والصحفيين على تجنب الخطأ الذي لم ينشأ من اللغة وعدم مواكبتها لحاجات العصر بل «من كتب اللغة على ما هو معلوم ووعورة مسلكها وشكاسة ترتيبها مما كان ولا شك هو السبب في تجافيهم عن مراجعتها واستثبات صحة تلك الألفاظ»[39]. فالأثر حسب هذا المفهوم

37) نفس ارمرجع.

38) نفس المرجع.

39) نفس المرجع.

سلبي بحت ان اعتبرنا لهجة مقدمة «لغة الجرائد» ومتنها.

أما الشيخ ابراهيم المنذر، فلقد ألف **كتاب المنذر**[40] الموجه الى المجمع العلمي العربي في دمشق واهتم فيه بعثرات اقلام الصحف والجرائد. ولقد اختلف عن اليازجي بأن فتح حوارًا مع منشئي الصحف في شأن نقده وتصحيحه. فيبدو أنهم أيدوا رأيه وصوابه وطالبوا بطبع كلامه «وأن يوضع بين أيدي طلبة العلم لتهذيب لغتهم وترقية انشائهم»[41]. والملاحظ في شأن هذا العمل أن مواقفه من قضية لغة الصحافة تختص بما يلي :

1 – ان طبعة كتابه لا تشمل ما كان آخذ عليه اليازجي مبينًا له أن ما اعتبره خطأً فهو صحيح وما اعتبره صحيحًا فهو خطأ. ولا شك أن لهذا الخلاف بين لغويين يدافعان عن سلامة اللغة، اعتبارًا مهمًا بالنسبة إلى بحثنا عن الفصاحة المثالية التي ستمكننا من الوصول إلى اجماع لغوي يساعدنا على الحكم على لغة الصحافة أوْ لَها. وبذلك تكون لنا آراء واضحة في تطور لغة الصحافة وأثرها في تطوير العربية.

2 – ان المواضيع التي أتت مثبتة في المقدمة لا توافق ما جاء من فصول في متن «كتاب المنذر». فبقدر ما كان اليازجي لا يهتم إلا بالنثر، نرى الشيخ المنذر يهتم بالشعر واخطائه. فضلاً عن انه بقدر ما كان اليازجي واثقًا من آرائه مستبدًا بها، نلاحظ أن الشيخ المنذر كان يستسقي نقده من أسئلة تطرح عليه لتبيان صحة الاستعمالات الجديدة أو خطأها. فهو لا يقف من لغة الصحافة موقف الناقد المتيقن، بل يجعلنا نشعر بأن ما جاء من لغة صحفية ليس من باب الخطأ، ويمكن أن نجيز استعمالاتها[42] – فهو يقر للصحافة استعمالها وان كان بعضهم يخطئها – فلقد جاء في الاستيضاح[43] : «ما قولكم في جمعهم **خائن** على خونة. أليست خطأ والصواب خانة مثل قائد قادة وبائع باعة» فيكون الجواب «وجواز جمع» خائن خائنين وخانة وخونة»[44] واليك مثالاً آخر : «ما قولكم في استعمال الكتاب **تلبس** كقولهم قبض على

---

40) الشيخ ابراهيم المنذر: كتاب المنذر، طبعة أولى 1921، وط. ثانية سنة 1927، بيروت.

41) نفس المرجع، المقدمة، ص 2.

42) نفس المرجع، ص 8.

43) نفس المرجع، ص 69.

44) نفس المرجع، ص 8.

فلان وهو متلبس بالجريمة أي مباشرها فعلاً»[45] فيكون الجواب «وأما تلبس في القاموس: تلبس بالأمر وفي الأمر اختلط وتعلق، وتلبس الطعام باليد التزق. فلا غبار على استعمالها في قولهم: قبض عليه وهو متلبس بالجريمة»[46] والملاحظ أنه لا يبين ما هي أسباب موافقته.

3 — ان الشيخ المنذر يبدي آراء فيها شك وتراجع عند نقد لغة الصحافة[47] كما يبدو ذلك من خلال فصلين مهمين من كتابه وهما: «**نظرة فيما تقدم**» و«**بعد الطبعة الأولى**»[48]. وفي الفصلين دحض لآرائه ومواقفه مثال ذلك: «ومنه عدم جواز «بالذات» إلا أنه يؤيد «بالنفس» «فقيل أن لا شيء يمنعه في لفظه ومعناه في حين أنه ممنوع أصلاً إلا إذا أجازه المجمع»[49] — ومثال آخر «ومنه: قلنا جمع ريح رياح وأرواح لا أرياح. فقيل إن المعاجم تذكر الأرياح وهذه اختها أعياد جمع عيد، لا أعواد. والمرجع أن الفصيح ما قلناه. ولم يذكر الأرياح كاتب شهير»[50].

4 — إن مواقف الشيخ المنذر تعبّر عن أزمة شخصية وجماعية أمام لغة الصحافة إذ تثير قضية تعتبر مشكلة في حدّ ذاتها ولها أبعاد كثيرة تشهد بأن موقف النقاد منها ليس على يقين من الحجة والإقناع من القواعد المعتمدة لنقدها. والملاحظ أن القارئ يحار أمام قضية التمييز بين الصحيح والفصيح. فما يعني بهما؟ وما هي مرتبة الأول من الثاني؟ فالمؤلف يكتفي بذكرهما مع الإشارة إلى أن الفصيح أحسن من الصحيح دون أن يبين أسباب اختياره. والملاحظ أن هذا الموقف يظهر من قوله «هناك مسائل أخرى دارت وتدور تحت البحث في كل يوم وهي تحتاج إلى تدقيق من جهة. والصيغة مقبولة والاستعمال وارد لدى كتاب العصر بل لم نُجِز الوجهين الواو والياء حتى ان نصوح تستعمل في مثل قولك الخدمة النصوح أي الصادقة. أفلا يجوز أن نقول الرجل

---

45) نفس المرجع، ص 8.
46) نفس المرجع، ص 69.
47) نفس المرجع، ص 64 — 67.
48) نفس المرجع، ص 76 — 78.
49) نفس المرجع، ص 76.
50) نفس المرجع، ص 77.
51) نفس المرجع، ص 72.

النصوح أي الصادق؟»[52] وفي مثال آخر يورد : «يقال رماه ورمى به وأرسله وأرسل به وبعثه وبعث به ورضيه ورضي به الى غيرها من الأفعال التي يضطرب فيها الاستعمال بالحروف وبدونه وهي كثيرة لا يمكن الإحاطة بها في هذا الباب»[53].

فعندما يبدو موقفه غير واضح يعتمد على المجمع. فان لم يقبل رأيه رمَى بهذا الفصيح والصحيح. فيقول في هذا الباب «والجواب لما تقدم أن هذه الألفاظ وأمثالها لم تثبت في معاجم اللغة ولا وردت في استعمال البلغاء على الوجه المطلوب. لهذا لا يجوز أن نستعملها نحن وقد يكون عدم **اثباتها في المعاجم** سهوًا يجب تداركه. فمن يفعل ذلك؟ المجمع العلمي – واذا لم يفعل؟ واذا لم يفعل ، فان هذه الكلمات يظل استعمالها ممنوعًا ولو صيغت في قالب البيان اللفظي والمعنوي»[54].

أما أسعد خليل داغر فانه تناول قضية لغة الصحافة في **تذكرة الكاتب**[55]. فهو يعتبر أنه يسير على أثر متقدميه ويهتم بما «يعثُرُ عليه من الكلمات والتراكيب التي يبدو لي أن بعض الكتاب يخطئون في استعمالها... فأصلحها باثبات ما أظنه صوابًا أو ما أراه واردًا على أصح الوجوه وأوضح الآراء»[56] وتصويبه يشمل «كل ما عثرت عليه من الخطأ في أثناء مطالعتي لأكثر الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية وبعض الكتب ودواوين الشعر وغيرها»[57]. والملاحظ أن الأخطاء التي يصوبها هي **أخطاء كبار الكتاب**. وذلك دليل حسب رأيه على أن لغة الصحافة وخطأها قد شملت أولئك الكتاب «وأول ما أوجه إليه التفات القارئ ان هذه الألفاظ والتراكيب التي انتقدها مأخوذة كلها تقريبًا من أقوال الكتاب والشعراء الذين يشار اليهم بالبنان ، ولكني اجتنبت ذكر اسمائهم مخافة الاتهام بالغض منهم»[58].

---

52) نفس المرجع.
53) نفس المرجع ، ص 73.
54) نفس المرجع.
55) اسعد خليل داغر: تذكرة الكاتب ، القاهرة 1933.
56) نفس المرجع ، ص 6–7.
57) نفس المرجع ، ص 7.
58) نفس المرجع ، ص 8.

ان المؤلف يختلف عن سابقيه في نهج التصويب والتقويم ، وذلك بتجنب منهجهم لأنهم كانوا «يقتصرون في الغالب على ذكر الخطأ من غير أن يبينوه ويشفعوه بصوابه. وهو بالحقيقة نصف الاصلاح المروم المرجو بل أقل من نصفه... فلم أشر إلى خطأ إلّا **أبنت سببه** وقرنته بإصلاحه»[59].

وهو يبين أن سابقيه لم يكونوا على صواب رغم ادعائهم ذلك الصواب «ورأيت فريقًا منهم يركبون أحيانًا **متن الغلو** في التلحين والتغليط ، فيجاوزون حد التنبيه على الخطأ الى **تخطئة الصحيح** وتفنيد الصواب. وبعضهم يتعمدون الجري على هذه الخطة في نقد الكتب والمقالات والقصائد فيشوبون جمال التجرد لخدمة اللغة بعيب السعي في قضاء شهوة التشفي والنيل ممن ينتقدون كلامه»[60].

ان الكاتب يسعى إلى البحث عن الأسباب التي دعت الى هذه الأخطاء فهي حسب رأيه أربعة :

1 – **اللغة العامية** ، وهو يعتبرها اللغة الغالبة عند كل الناطقين بالعربية. وهي ، حسب ما يبدو من آرائه ، اللغةُ الأساسية بالنسبة للغة الفصحى التي تبدو لغة أجنبية. ان هذه الازدواجية تعتبر في هذا الصدد الخطر الأكبر المسلط على العربية : «ورسوخها (العامية) هذا من أكبر الأسباب التي تصعب علينا تحصيل اللغة الفصحى في المدارس حتى أن كثيرين منا يخيل اليهم ، وهم يتعلمونها ، انهم يتعلمون لغة أجنبية بل قد يجدها بعضنا أبعد تناولاً وأصعب تحصيلاً من احدى اللغات الافرنجية»[61].

2 – **السماع المستبد** – وهو مستبد في علمي الصرف والاشتقاق – فالمزيدات لا تقاس دائمًا على مجردها – «لم يستطع أحد أن يجيب عن سؤال كهذا بطريق القياس والاستدلال»[62]. ويدخل في هذا الباب الأفعال الثلاثية الملحقة بالرباعي ، كذا لزوم الفعل وتعديته «وهل من دليل صادق على الأفعال اللازمة التي تعدى؟»[63] ، وأوزان المصدر وبناء اسم الآلة ، وأوزان جمع التكسير.

59) نفس المرجع ، ص 9.
60) نفس المرجع ، ص 9–10.
61) نفس المرجع ، ص 13.
62) نفس المرجع ، ص 13.
63) نفس المرجع ، ص 15.

3 — **النقل** : وهو يعني به أن يقلد كاتب كاتبًا آخر من دون روية . وهذا النقل عن الغير ناتج عن شهرة أو ثقة غباء ، لأن كل تالٍ منهم عد سابقه أكبر حجة في علوم اللغة . «فنقل عنه ما نقل ولم يوجس أقل خوف من سقوطه في وهدة الزلل»(64) (من ذلك خطأه هو عندما قال «وحلّيتُ عاطل جيدها فازدان» . فعابه عليه ابراهيم اليازجي لأنه عدى الفعل حلّى بمعنى زان وهو لازم . وقد نقل ذلك عن محيط المحيط للبستاني»(65) .

ومما زاد الخطأ انتشارًا أعمال ما يسميه «**بخوارج الأدب**» الذين شككوا في قواعد اللغة النحوية والصرفية والبلاغة والعروضية «قائلين لهم ان هذه القواعد والأحكام وضعت لاعتبارات طوتها الأيام وفي أحوال ظلها زال ولونها حال»(66) ولقد ربطوا ثورتهم على اللغة بثورة المجتمعات على أنظمتها وقوانينها . فقال «انهم يدعون الى نوع من الإباحية اللغوية التي تعتبر أشد تخريبًا وتدميرًا من المعاول التي يسلطها الفوضويون على الحكومات والاباحية المعطلة على الأديان»(67) . فما هو الحل عندئذ؟

انشاء «مجمع ترقية اللغة العربية» . وغايته البحث عن أسباب قصور اللغة واستبدال الخاطئ بالصواب استخراجًا ، أي استنباطًا أو وضعًا جديدًا . وهذا يعني إحياء القديم أو وضع ألفاظ جديدة وذلك بالاعتماد على الوسائل التالية : الاشتقاق ، النحت ، التركيب ، التعريب (وهذا الأخير أنكر الطرق وأقلها استعمالاً) . ولعل أسرع عمل يمكن للمجمع أن يقوم به هو الاهتمام بظاهرة غالبة هي : «الكلمات الكثيرة المستعملة الآن في **غير ما وضعت له**. وليس في كتب اللغة ما يجوز استعمالها الا على ضعف وتكلف ولكنها شاعت وذاعت حتى بين **بلغاء الكتاب ولكنها شاعت**. وليس من السهل أن يستبدل بها كلمات أخرى»(68) . ومنها «صادرات وواردات» و«تهوية البيوت» و«تحليل» بمعناه العلمي والطبي و«تشريح» بمعناه الطبي... و«مشروع» و«اعدام» و«محطة» و«تقرير» و«عمود» الخ ... فاما أن يتفق على استعمالها لغلبته وشيوعه وأما أن يستبدل بها غيرها وفيه من الصعوبة ما فيه»(69) .

ما نستخلص من هذه المواقف؟

---

64) نفس المرجع ، ص 16 .
65) نفس المرجع ، ص 17 .
66) نفس المرجع ، ص 29 .
67) نفس المرجع ، ص 21 .
68) نفس المرجع ، ص 26 .
69) نفس المرجع ، ص 27 .

ان المؤلف يقف من القضية موقف الواصف اللغوي خلافًا لسابقيه. **فهو يحصر** «الأخطاء» في الألفاظ والتراكيب أي في مستوى الدلالات والنظم (المعجم والنظام اللغوي) وبالتالي: فهو يعتبر انها اخطاء شائعة ومطردة عند أكبر الكتاب وعند البلغاء. ومنها ما هو صحيح لغويًا، لكنه جديد استعمالاً، خارج عن المتعارف لا سيما في مستوى الألفاظ. وهو يعتقد أن الأخطاء ناتجة عن الازدواجية اللغوية (العامية) وعن التداخل الاسلوبي (اللغات الافرنجية). ولذلك يرى أن قصور العربية عن التجديد وملازمة حاجيات العصر دفع الكتاب الى تجاوزها والدعوة الى إباحية لغوية.

ولقد اهتم بالموضوع نفسه مؤلف عربي آخر وهو الزعبلاوي[70] في «**أخطاؤنا في الصحف والدواوين**». ان للكتاب توطئة مهمة يذكر فيها أهدافه العامة. فهو يعتبر أن كتابه هذا ليس طريفًا، في **موضوعه** أو نهج تأليفه، وهذه الإشارة مهمة للغاية لأنه يربطه بمَا قيل في اللحن في العربية. **فهو** يعتبر أن القضية قضية واحدة مستمرة على طول الزمن والدهر: تواطؤ على العربية يرد عليها بنفس الطريقة وان اختلفت دقة وصوابًا – فلا يعتبر اختلاف الأزمنة والمواضيع وأنواع المشاكل والأحداث التاريخية مثل الاستعمَار الثقافي والازدواجية اللغوية. **فلقد** «تناول هذا الغرض من القدماء: الكسائي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، وأبو حنيفة الدينوري والحريري وشهاب الدين الخفاجي وغيرهم. وتناوله من المحدثين شهاب الدين الألوسي، ورشيد عطية اللبناني، وابراهيم اليازجي ومحمد علي عبد الرحمان، ومعروف الرصافي، والأب جرجي البولسي، وسليم الجندي. وأسعد خليل داغر وابراهيم المنذر، ومصطفى الغلاييني وأحمد العوامري وغيرهم»[71]. مما يدل على اطّلاعه على الموضوع ومما يؤكّد على أهميته وعلى قدر قيمة هذه القضية وما تركته من أثر وما خلقته من اهتمام.

فكيف نظر إلى هؤلاء المصوِّبين؟ ان نظرته في هذا الميدان مهمة لأنها ستساعدنا على استخلاص مفهوم الحجة اللغوية الصحيحة للحكم على «الأخطاء». وعلى رأيه يمكن أن نحكم إن كان قد وضع المشكل وزودنا بحجة لغوية ثابتة للنظر فيه. **فهو يقول في**

---

70) الزعبلاوي: أخطاؤنا في الصحف والدواوين: دمشق، 1358هـ/1939م.

71) نفس المرجع، ص 3.

القدماء «وهم في الحكم بالتصويب والتلحين متفقون تارة مختلفون أخرى. وأكثر ما يحمل نزاعهم على تباين وجهات النظر والاعتبار. فمنهم من يشتد حتى لا يعتمد بالرواية إلا على العرب الأقحاح. ويقسو حتى لا يعني من اللغات بغير العالية. فسواها عنده مطروح متروك. وفي نحو من هذا نلتمس مذهب الكسائي، وأبي هلال العسكري»[72] ثم يضيف «ومنهم من يسلس حتى يسيغ كثيرًا مما اتفق للايمة الفحول. وعلى شرف من هذا تلقى مذهب الزمخشري وابن مالك والرضي»[73] فما عسى أن تكون الفصاحة اذًا؟ وفي أي اتجاه يمكن أن نسير للحكم للصحافة أو عليها إن كنا نتأرجح بين القسوة واللين. فكأن الفصاحة بحسب طباع النقاد ومزاجهم لا بحسب معاييرها اللغوية الذاتية.

فان كان الحكم على القدماء هذا، فما عسى أن يكون الحكم على المحدثين؟ فهم أيضًا محلّ نقد. وكأننا بلغة الصحافة تندثر في معارك ذاتية بين النقاد وتجريح مناهجهم. فتفلت منا الصحافة وتفلت منا فصاحة الفصحاء التي يدعيها كل ناقد لنفسه. فهو يقول فيهم: «ففيها الفوه وبسطوه مجال للقول ومحل للنكير... أما نهجهم في الحكم بالصحة والفساد فلا تكاد تقطع فيه بيقين أو ظن يميل الى يقين»[74]. فان كان ناقدو الصحافة على هذه الحال، فاننا نستنتج من ذلك ان كل ما قالوه في لغة الصحافة غير صحيح، وان تلك اللغة صحيحة تعتمد. فهو يرى أن «الشيخ ابراهيم اليازجي – على إحاطته ورسوخ قدمه وتقصيه في التدقيق – يجازف حينًا في كثير من أقواله... تراه يمنع اساق كساق وألام كلام وكلاهما منصوص عليه»[75].

أما الحكم على الشيخ المنذر فهو عنيف اذ يقول فيه «فقد ألف كتابًا أسماه (المنذر) وهو كتاب لم تحكم أداته، ولم يعمد فيه الى احاطة أو نقص أو تدقيق»[76] – كذلك الحكم سيكون قاسيًا على أسعد خليل داغر اذ يقول بعد الثناء عليه: «وقد ضيق الى ذلك نطاق المجاز تضييقًا عاب به الكلام الواضح السديد، وأخلد في دفعه الى طرق... من نصوص المعاجم دون سائرها، وعول في كثير من ذلك على ظاهر النص دون تمحيص»[77].

---

72) نفس المرجع، ص 3.
73) نفس المرجع، ص 4.
74) نفس المرجع.
75) نفس المرجع، ص 5.
76) نفس المرجع، ص 8.
77) نفس المرجع.

ان هذه الاراء الواردة في توطئة كتاب الزعبلاوي مهمة جدًا للأسباب التالية لأنها :

1- تتجاهل لغة الصحافة على أهميتها اللغوية والاجتماعية والثقافية وتعتبرها حدثًا عاديًا مثله مثل لحن العوام أو لحن الخاصة الذي يكفي أن تطبق عليه القواعد المقررة ليعود الصواب الى نصابه. إن موقفه النقدي موقف سلفي مثله مثل موقف النحوي التقليدي الذي يقر الخطأ ولا يعترف بالتغيير وأسبابه. ولهذا فإننا نواجه شذوذًا غريبًا يظهر في مستويين اثنين: **النقد في ثوبه القديم والصحافة في لغتها الحديثة. فالمنهج عتيق والمادة جديدة متجددة**. والزعبلاوي في هذا الشأن لا يختلف عن سابقيه من منتقدي الصحافة لأنهم تكونوا في مدرسة واحدة لها منهج واحد وهو منهج اللغة المثالية التي تقول بالصواب والخطأ ولا تؤمن بصواب الاستعمال والاطراد. والحال انه سبق للعرب ان قالوا «خطأ مشهور خير من صواب مهجور».

2 – ان تجريح من سبقه يثير في **حقيقة الأمر أزمة النقد العربي واستحالة مناهجه ومعاييره. وهو بالتالي يثير أزمة الفصاحة. فان كان الفصحاء يخطئون الفصحاء فما عسى أن تكون أصول الفصاحة**؟ وما عسى أن يكون أثر الناقدين للغة الصحافة إن كان كل ناقد يفند آراء سابقيه ويدعي لنفسه الصواب؟ يبدو أن الفصاحة ستصبح فصاحات وعلى هذا الأساس تعتبر لغة الصحافة فصاحة من الفصاحات التي لها صحيحها مثل غيرها. ولقد أشرنا الى ذلك بالتفصيل في دراسة معمقة صدرت بحوليات الجامعة التونسية[78] وفي الفصل الأول من هذا المؤلف.

ولقد سعينا ، في دراستنا هذه ومن العينات التي ذكرناها ، إلى أن نبين أن الصحافة قد أثرت الفكر العربي بمعطيات اجتماعية وسياسية وثقافية ولغوية لم تحظ الى يومنا هذا بالعناية وبالتاريخ والوصف والتحليل والاستقراء ، لأنها حسب رأينا مرآة تعكس في كثير من الأحيان أزمات الفكر العربي وتناقضاته وتشير إلى تطلعاته وآماله. ورأينا أن الصحافة العربية الحديثة وثيقة ثمينة جدًا يمكن أن تعتمد في تاريخ الأمة العربية وفي جهدها وجهادها وفي تطور لغتها وفصاحتها.

---

78) محمد رشاد الحمزاوي: الفصاحة فصاحات ، حوليات الجامعة التونسية ، ج 16/45 – 68.

صورة فصيح معاصر:
حسن حسني عبد الوهاب وأعماله بمجمع اللغة العربية

يعتبر حسن حسني عبد الوهاب موسوعة علمية كيفتها ظروف عصره والتزمتها ثقافة زمانه. فأخذ من كل شيء بطرف وترك لنا آثارًا عديدة يمكن أن يعنى به اختصاصيون كثيرون. فهو لم يعرف مؤرخًا فحسب بل عرف رحالة وسياسيًا وإداريًا ولغويًا مما تشهد عليه آثاره وأعماله. ولقد رأينا من المفيد أن نعتني في هذه المحاولة بجانب من حياته العلمية بمجمع اللغة العربية لاستقراء بعض مواقفه من مشاكل اللغة واستقصاء أثره فيها.

ولا شك أن عرض حياة مجمعينا وأثره يستلزمان سابق معرفة بحسن حسني عبد الوهاب ويستوجبان صلة إنسانية متينة به وذلك لتقدير مساهمته العلمية حق قدرها لا سيّمَا وأنه عين عوضًا عن غيره ممثلاً لتونس في علمها وثقافتها بغية التعبير عن تصوّرها لوضع مشاكل اللغة واستنباط حلولها.

فهل يمكن لنا بعد أن فاتتنا تلك المعرفة وما تعتمده من صلة إنسانية ، أن نتحدث عن أثر حسن حسني عبد الوهاب؟

لقد فاتنا الرجل لكن الحظ لم يحرمنا من الفوز بما له من الأثر الذي وجدناه أمامنا عندما أقبلنا على دراسة قضايا المصطلحات العلمية والفنية وما يتبعها من مسائل

لغوية في البلاد العربية عامة[1] وفي «مجمع اللغة العربية بالقاهرة» خاصة. ويعود الفضل الكبير في تكوينه في 13 ديسمبر 1932 إلى الملك أحمد فؤاد الذي عرف بحرصه على تشجيع كل مشروع يسعى إلى إلحاق العربية وعلومها بعلوم العصر والأخذ منها بقسط وافر، وبدعوته العازمة إلى إيقاظ علوم العربية من سباتها العميق ومما كان يحيط بها من نظريات عسيرة أو متزمتة راكدة كادت تأتي على جوهرها الماضي وتعرقل سيرها نحو خلق ثقافة عصرية تواكب مسيرة الإنسان في تقدمه وتجدده.

فجاء مرسوم المجمع ينص أن من أغراض المجمع «أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بأن يحدد في معاجم وتفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي إستعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب:

أ) أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيير مدلولها.

ب) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.

ج) أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد إليه بقرار من وزير المعارف[2].

ويعني في هذه الفقرة الأخيرة مسائل عدة منها تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف لا سيّما بعض القواعد الإعرابية.

وللقيام بهذه الرسالة الخطيرة العصرية وجب أن يختار لها علمَاء ممن توفرت فيهم المعرفة الكاملة الواسعة بعلوم العربية وثقافتها وتفتحوا ولو ذهنيًا على علوم وثقافة غيرها من اللغات الحية المتقدمة دون تقيد بجنسية أو عقيدة أو وطنية ضيقة مثلما تفتح أسلافنا العصريون في عصرهم فوسع صدر العربية الفارسي والنصراني واليهودي والهندي والعربي. لذا جاءت المادة الرابعة من مرسوم المجمع تنص.

---

1) انظر بحثنا عن المجمع العلمي العربي بدمشق، صدر بالفرنسية، مطبعة بريل، ليدن هولندا 1964. وسيصدر بالعربية في تونس قريبًا.

2) مرسوم إنشاء المجمع، ط وزارة المعارف العمومية بالقاهرة 1952، ص 11.

«يؤلف المجمع من عشرين عضوًا عاملاً يختارون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتجربتهم في اللغة العربية أو بإبحاثهم في فقه اللغة او لهجاتها»[3].

فكان من هؤلاء المختارين من عرب ومستشرقين ومن مسلمين ويهود ونصارى ، حسن حسني عبد الوهاب الذي نريد أن نتحدث عنه وعن نشاطه بمجمع اللغة وعما حقق من أعمال تبرر اختياره كمجمعي وما تركه من أثر يشرف هذه التربة التي ينتسب إليها وبإسمها عين. ولا يخفى أن حديثنا هو في الحقيقة حديث إلى النفس لأننا كنّا نشعر بحرج لما أقبلنا على تحرير الفصل الخاص به في دراستنا. ويظهر ذلك الحرج عندما نعلم أن أبواب المجمع ظلت مغلقة في ذلك الوقت ، لإعتبارات كثيرة ، في وجه رجال من أمثال طه حسين ومحمد فريد وجدي وأحمد زكي وخليل جبران وعلماء وأدباء آخرين ممن رشحهم قراء جريدة الأهرام التي استفتتهم إذاك في شأن من يستحق عضوية المجمع في مصر والعالم العربي[4] فكنا نخشى أن يكون تعيينه قد وقع لأسباب لا تمت إلى العلم بصلة لا سيّمَا وأن أهل القيل والقال نشروا أن الفقيد مدين في تعيينه إلى معرفته بالنبيل الإنكليزي (D'Erlanger) واضع تاريخ الموسيقي العربية المشهور وصديق الملك فؤاد. ولقد حرص ذلك الملك على إختيار أغلب المجمعيين الأول الذين عينوا للنظر في مسائل العربية واستنباط حلولها.

فكان لذلك الأقاويل أثر في نفسنا إن اعتبرنا أنه لم تصدر ترجمة عن الفقيد ، وهو لا يزال على قيد الحياة ، تثبت لنا مؤهلاته. فرأينا في تلك الحالة أن نكتب إليه نسأله في رسالة أولى عن الأسباب التي أهلته إلى ذلك المنصب الخطير ، مشيرين إلى الأقاويل التي أوعزت إنتخابه إلى وجاهة (D'Erlanger) وصداقة الملك فؤاد له. ولقد إستعملنا نفس الطريقة مع غيره من الأحياء من المجمعين الأولين لا سيما المجمعي المستشرق (H. Gibb) إذ إفترضنا – وذلك عن خطأ – أنه فاز بكرسيه عن تأثير إنكليزي على الحكومة المصرية آنذاك.

لكننا لم نتلق من الفقيد ردًا على رسالتنا ، الأمر الذي جعلنا نعتقد أن سكوته دليل قاطع على أنه اختير لأسباب ليست لها بالعلم صلة. على أن مطالعتنا لأعمال

---

3) نفس المرجع ، ص 12.

4) جريدة الأهرام ، بتاريخ 31 أكتوبر 1932.

المجمع في مجلته ومحاضر جلساته وفي مصادر جديدة منها ما نشره مجمع اللغة في كتابه «المجمعيون»[5] جعلتنا نعود إلى مكاتبته طارحين عليه نفس الأسئلة التي طرحناها عليه سابقا. وإذا بنا نتصل منه بوثيقة بخط يده تحوي ثماني صفحات، من المقطع الكبير، يجيب فيها على اسئلتنا دون أن يعاتبنا عمّا جاء في رسالتنا من تعسّف. فقال:

«وقبل الجواب عن السؤال أعلم بنوتكم الفاضلة أن منذ عام حصل إنحراف بمزاجي أقصاني عن مكتبتي التي بَقِيَّت بحضرة تونس والزمني الإقامة بصلامبو حيث الهواء الطلق المنعش وقد سرى هذا الإنحراف إلى هيكل التنفس مني فكاد يحرمني من الحركة والإنتقال. فصار سعي مقصورًا على الجلوس والكتابة متى تيسر.

لم يبق شيء من الدنيا نُسَرَّ به إلا الدفاتر فيها الشعر والسمرُ

ومهما يكن من أمر فإني سأحاول الجواب بقدر المستطاع مع الإعتذار عن التقصير فأقول وبالله التوفيق»[6].

ويستحسن إعتمادا على ما جاء في رسالته وعلى ما عثرنا عليه من أثاره المجمعية أن نحصر حديثنا عنه وعن أثره المجمعي في العناصر التالية:

1 – حياته وبيئته العلمية.

2 – تراثه العلمي قبل أن يعين عضوا في المجتمع.

3 – أثره في مجتمع اللغة الذي كان من أعضائه الأولين. وذلك لإبراز أعماله العلمية التي أهلته لعضوية المجمع وللتأكيد على ما ترك من أثر يبرّر مهمته المجمعية.

إن المهم من حياته هو أنه نشأ في أسرة ذات يسر ووجاهة تنتسب إلى العلم بأكثر من سبب. فهو ينسب إلى جده عبد الوهاب بن يوسف الصمادحي التميمي الذي كان يتولى شؤون الحرس الأهلي للبلاد (وهم الحوانب) ويترأس التشريفات في مدة البايات الحسينين. وهو ينتسب عن طريق جدّه إلى بني صمادح من ملوك الطوائف الأندلسيين الذين ٱزدهرت في عهدهم العلوم والآداب كما يروي ذلك ٱبن الخطيب في أعمال الأعلام وٱبن بسام في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

5) محمد مهدي علام: المجمعيون، القاهرة 1386/1966 – حسن حسني عبد الوهاب، ص 66–68. أنظر رسالته المخطوطة المنشورة بعد هذا المقال.

6) الرسالة المخطوطة، ص 1 سطر 4–8.

وهو ينتسب عن طريق أمه حنيفة إلى علي بن مصطفى آغة قيصرلي أحد كبار أعوان خير الدين باشا الذي كان له الفضل في تأسيس خزانة المخطوطات التونسية التي أشرف عليها الفقيد سنة 1920.

أما والده صالح بن عبد الوهاب فإنه إمتاز بثلاثة مميزات سيكون لها أثر في حياة الفقيد :

1 – إتقانه العربية وتعلقه بالحضارة الإسلامية وثقافتها.

2 – دراسته اللغة الفرنسية التي تعلّمها بمعهد الرهبان الواقع في نهج جامع الزيتونة.

ولقد أهلته تلك المعرفة إلى الإلتحاق بمكتب وزير خارجية الدولة التونسية الفريق حسين.

فيقول فيه الفقيد : «وصار الوالد يصاحبه كمترجم في السفارات المتنقلة التي كانت ترسلها الدولة التونسية إلى أوروبا كلما حصل خلاف مع الممالك الإفرنجية (إيطاليا قبل الوحدة وفرانسا وانكلترا وغيرها) في عصر كانت رحلة التونسيين إلى تلك الاصقاع قليلة جدًا من 1868 إلى 1880»[7]. فنحا الفقيد نحو والده إذ تعلم الفرنسية بأول مكتب لاتيني بتونس كان يوجد بنهج السويد ثم إلتحق بالمدرسة الصادقية فتعلم العربية وأتقن الترجمة ثم سافر إلى باريس فالتحق بمدرسة العلوم السياسية (école des sciences économiques) حيث تتلمذ على أساتذة كثيرين منهم (De Monteil) كما حضر محاضرات الحكيم شاركو (D. R. Charcot) في تحليل الأخلاق والطبائع والنحائز[7].

وتقلب مثل جده ووالده في مناصب إدارية عدة منها منصب وزير القلم سنة 1943. فكان من مشمولاته إدارة الشؤون الداخلية للبلاد والقيام بتحرير المهم من المكاتيب الدولية ومخاطبة ملوك الخارج.

3 – الشغف بعلم التاريخ وقد وضع والده تأليفًا في أخبار المغرب الأقصى لم يطبع بعد. فنسج الفقيد على منواله (والعرق دساس كما جاء في الحديث النبوي) وكما يقول الفقيد. فأهله ذلك لتدريس التاريخ العام والتونسي خاصة في المدرسة الخلدونية

---

7) الرسالة المخطوطة، ص 1.

من سنة 1905 إلى 1924 بعد المرحوم البشير صفر. كما درس التاريخ الإسلامي في المدرسة العليا للغة والاداب العربية بسوق العطارين من سنة 1913 إلى 1924.

فكان لهذا التكوين وهذه التجربة وهذه الثقافة المزدوجة أثرها في تفتحه على العالم واضطلاعه بتمثيل تونس في محافل العلم والمعرفة. فمثلها في أغلب مؤتمرات المستشرقين إبتداء من 1905 بعاصمة الجزائر حيث قدم بحثًا عن «الاستيلاء العربي على صقلية». فكانت فرصة للتعرف على عدد من كبار العلماء من عرب وعجم منهم محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني المصري، والشيخ عبد العزيز شاويش التونسي الأصل، وجورج براون المستشرق الإنكليزي (G. Brown)، والمستشرقين الألمانيين (Vollers و Noldeke) والمستشرقين الإسبانيين (M. Acin Palacios و Ribera) والمستشرق الفرنسي (L. Massignon) ومحمد بن شنب العالم الجزائري. فكان لقاءه بهم لقاء علم وتجارب أردفه بلقاءات أخرى سنة 1908 في مؤتمر كبنهاغن. فتعرف فيه على المستشرق المشهور (Goldziher) كما تعرف على الأبوين اليسوعيين لويس شيخو ولامانس (Lammens; L. Cheikho). وكان له معهما جدال يقول فيه «وتجاسرا بالطعن على صاحب الشريعة الإسلامية» فترك بحثه الذي أعده بالفرنسية والذي نشر سنة 1917 بتونس وتولى معارضتهما فكانت لذلك حسب رسالته «رنة كبيرة بين المؤتمرين وتأييد من جانب عظيم منهم»[8] لا سيّمَا وأنه كان المسلم الوحيد الذي حضر ذلك المؤتمر.

وفيما بعد شارك بالتوالي في مؤتمر المستشرقين الفرنسيين سنة 1922،

ثم بمؤتمر الرباط سنة 1927 ثم مثّل تونس في مؤتمر الموسيقى الشرقية المنعقد بالقاهرة في أفريل سنة 1932، أي السنة التي عينه فيها الملك فؤاد عضوًا بمجمع اللغة. وهنا تجدر الملاحظة أنه سبق له أن تعرف على الملك فؤاد عندما كان أميرًا وذلك بنابلي في صائفة 1914 فكان يصفه بالذكاء وسعة الثقافة والتفتح على مشاكل عصره فقال فيه: «وكان يحسن اللغة الايطالية كأحد أبنائها[9] كذا اللسان الفرنسي مع نبرة إيطالية واضحة للسامع»[10].

---

8) الرسالة المخطوطة، ص 4.

9) نفس المرجع، ص 4.

10) الرسالة المخطوطة، ص 4.

ولا يسعنا في تعداد تفتح فقيدنا على العوالم الأخرى وثقافاتها إلّا أن نشير إلى أن مؤهلاته العلمية قد فتحت له قبل أن يصبح عضوًا بمجمع اللغة العربية أبواب المجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه سنة 1919. وفتحت في وجهه أبواب مجامع أخرى منها المجمع العلمي العراقي والمجمع الفرنسي للنقائش والفنون الجميلة من 1939 والمعهد المصري (Institut d'Egypte) الذي أسسه نابليون وتأثر به مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ودعاه المجمع العلمي الروسي. فكانت له فرصة لزيارة بلاد الروس لا سيّمَا الإسلامية منها فقال عنها : «مررت علاوة على موسكو وضواحيها بجمهورية الازبكستان – تاشقند وهي بلاد الشاس قديمًا – وسمرقند حيث ضريح الصحابي الفاتح قُثْم بن العباس بن عبد المطلب إبن عم الرسول وبخارى حيث ضريح الأمام محمد بن إسماعيل البخاري»[11].

أما تراثه العلمي فيحسن بنا أن نذكره أن اعتبرنا أن تعيين الأعضاء بالمجمع كان يستلزم أن يكون العضو أهلا للمنصب الذي من أجله عين أو أنتخب ولقد ألف الفقيد قبل أن يدخل المجمع ما يلي :

1 – المؤلفات باللغة العربية

«المنتخب المدرسي في الأدب التونسي» ط أولى بتونس 1908.
«بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها إبن رشيق» ط بتونس 1912.
«خلاصة تاريخ تونس» ط أولى 1918.
«الإرشاد إلى قواعد الإقتصاد» تونس 1919.
«شهيرات التونسيات» تونس 1934.

11) الرسالة المخطوطة ، ص 6.

2 – **نشريات محققة**

«أعمال الأعلام (قسم تاريخ إفريقية وصقلية) لابن الخطيب التونسي بلرمو 1910.

«رسائل الإنتقاد (مقالات في النقد الأدبي) لمحمد بن شرف القيرواني» دمشق 1912.

«مَلْقَى السبيل (في الوعظ والحكم) لأبي العلاء المعري» دمشق 1922.

«وصف إفريقية والأندلس» لابن فضل الله العمري – تونس 1920.

«كتاب يفعول» (بحث لغوي) تونس 1924.

«التبصّر بالتجارة للجاحظ» دمشق 1933 ومصر 1935، بيروت 1966.

– الجُمَانة في إزالة الرطانة (في لهجتي الأندلس وتونس) لمجهول، المعهد العلمي المصري (Institut d'Egypte).

– «آداب المعلمين» مما دون محمد بن سحنون عن أبيه – تونس 1934.

3 – **مصنفات وأبحاث باللغة الفرنسية**

— *La domination musulmane en Sicile*, Tunis 1905.
— *Les apports ethniques étrangers en Tunisie*, Tunis 1917.
— *Le développement de la musique arabe (en Orient, au Maghreb et en Espagne)*, Tunis 1918.
— *Deux dinars normands frappés à Mahdia*, Tunis 1932.
— *Un témoin occulaire de la conquête arabe de l'Espagne*, Tunis 1932.

ملحوظة

ولحسن حسني عبد الوهاب مؤلفات أخرى لم نذكرها ما دامت هذه الكلمة مركزة على مصنفاته التي طبعت قبل أن يدخل المجمع والمراد من ذلك تعداد مؤهلاته العلمية التي جعلته يختار عضوًا بالمجمع المذكور. ولقد ذكر مؤلفاته الأخرى برسالته المخطوطة وفي كتاب «المجمعيون» المذكور أعلاه.

لقد توفرت في حسن حسني عبد الوهاب مؤهلات علمية كثيرة جعلته يلج المجمع عن جدارة، يحمل معه كل ما له من تجارب ومعارف وأسفار وأوصاف سيكون

لها أثرها في أثره العلمي بالمجمع ، فلقد أقبل عليه وفيه من وطنه تونس ومن بلاد المغرب مشاهير كانوا عينوا بالمجمع كأعضاء مصريين أو مشارقة بطبيعة استوطانهم بتلك البلاد منهم الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الأصل[12] والشيخ عبد القادر المغربي التونسي الأصل ويعود نسبه إلى عائلة درغوث[13] ومنصور فهمي الجزائري الأصل[14]. فكانوا يمثلون معه علم المغرب في مجامع المشرق. وذلك ما جعله يؤمن أنه لا يمثل تونس فحسب بل المغرب العربي بأكمله. فلقد جاء في خطبته الأولى في دورة المجمع الثانية :

«وإني لفخور أن أحمل إليكم تحيّة البلاد المغربيّة عمومًا وإعجابها وتونس خصوصًا مظهرًا بذلك حسن تقديرها وإكبارها للمجهود المضني الذي تقومون به للأحياء والمحافظة على اللّغة العربيّة والأدب وكذا تنمية تراثنا الغالي ووقايته من أعراض الجمود وإذواء الضمور وعلل الخمود»[15].

ولقد ظل متشبثًا بتلك الفكرة في خطبه وفي مناقشاته ممّا سيظهر لنا في النماذج التي سنعرضها بعد حين ، على أنه تجدر الملاحظة أنه كلّف مرتين متواليتين بالنيابة عن زملائه الشرقيين والكلام بإسمهم[16].

ولقد تكلف بمسؤوليات عدة جعلته ممّن شيدوا صرح المجمع وعملوا على إنجاح رسالته. ولقد قال فيه الدكتور محمد مهدي علام زميله ومؤلف كتاب «المجمعيون» الذي أصدره المجمع.

«إن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من الرعيل الأول الذين أختيروا أعضاء عاملين لمجمع اللغة العربية. فكان من الذين أرسوا قواعده ورسموا له خطة السير ، وقد إشترك في كثير من اللجان مثل :

1 – لجنة اللهجات.
2 – لجنة الأداب والفنون.

---

12) مهدي علام : المجمعيون المذكور أعلاه ، ص 158.
13) نفس المرجع ، ص 107.
14) نفس المرجع ، ص 225.
15) محاضر الجلسات 16/2.
16) محاضر 390/2 ، مجلة مجمع اللغة 3/5.

3 – لجنة علوم الحياة والطب.
4 – لجنة الأعلام الجغرافية.
5 – لجنة المصطلحات العسكرية.
6 – لجنة الأصول والإملاء[17].

نضيف إلى ذلك أنه فاز في آخر حياته برئاسة المجمع نيابة عن طه حسين وذلك سنة 1961. فترأس مناقشات المجمع الكثيرة ومواضيعها التي نذكر منها:

1 – المؤسسات والمعاجم اللغوية للأستاذ علي الفقيه حسن[18] وقال ملاحظًا في هذا الموضوع:

«تعقيبًا على كلمة الأستاذ علي الفقيه حسن أنبه إلى أن محمد بن مكرم بن منظور وهو صنهاجي النسبة وأبوه مغربي هاجر إلى مصر وبها ولد محمد بن منظور.

وكانت وفاته بالإسكندرية حسبما حققه متأخرو العلماء الباحثون عن تراجم الرجال[19].

2 – كلمة عرب: تحدرها وتطورها واستقرارها على معناها القومي للدكتور عمر فروخ.

تعقيبًا على ما قاله الدكتور فروخ من أن إسم عرب لم يظهر إلا عند ظهور الإسلام «والحقيقة أن الأبحاث الأخيرة تثبت أن العرب هم أصل الساميين لأنهم خرجوا من الجزيرة العربية. وكل الهجرات التي حدثت في الشمال أي ما بين النهرين خرجت من الجزيرة العربية. فالفينيقيون خرجوا من سواحل البحر الأحمر وانتقلوا إلى الشام وواضح على مر الزمن أن اللغة العربية هي أقدم الأصول السامية.

ومنذ ثلاثين سنة كانت هناك بعثة ألمانية تدرس الحفريات وتبحث عن الآثار اليونانية وعثرت على عمق 25 مترًا على نقوش القحطانية وهي اللغة العربية الجنوبية ومعها نقوش باليونانية القديمة. وهذا دليل على أنه كان هناك اتصال بين العرب وغيرهم – وقال بعض العلماء أن عربية وعبرية يرجعان إلى شيء واحد وإن (عبر)

---

17) المجمعيون: المذكور أعلاه، ص 69–70، أنظر أيضًا محاضر الجلسات 177/2. 270، 277، 24/4، 347، مجلة مجمع اللغة 61/8.

18) بحوث ومحاضرات 1961–1962، ص 87.

19) نفس المرجع، ص 213.

معناها عبر الصحراء و(عرب) معناها بقي فيها. لذلك أعتقد أن كلمة عرب كانت موجودة وبخاصة في عرب الجنوب لأن حضارتهم كانت قديمة»[20].

وليست هذه التعقيبات إلّا آراء رئيس يريد أن يسهر على سير المناقشات وينسق الجهود لتقوم الدورة التي ترأسها بما عليها من أعمال.

ولعل المهم من نشاطه في المجمع يتعلق أولاً وبالذات بآرائه العلمية في المسائل التي طرحت على المجمع في دوراته السنوية المتعددة. ولذا رأينا من المفيد أن نحصر نشاطه العلمي في الميادين التالية منها.

1 – مشكل الكتابة العربية لا سيّمَا قواعد كتابة الاعلام الأعجمية والجغرافية بحروف عربية.

2 – اللهجات.

3 – المصطلحات العلمية.

4 – مسائل نحوية.

5 – إعتبارات تاريخية.

فقد كان من أول الأعضاء الذين أيدوا مبدأ النظر في تيسير الهجاء العربي لما رأوا رئيس المجمع الأول المرحوم محمد رفعت يستبعد هذا الموضوع لأنّه لم يذكر في قانون المجمع وأغراضه[21]

وعبر عن رأيه في الموضوع في ثلاث مناسبات مختلفة قال أولاً فيمَا يتعلق بمهمة لجنة إصلاح الكتابة ومسؤوليها «اللجنة التي ألفت أمس من حضرات الأعضاء ستبحث أهم الموضوعات التي تناولها أعمال المجمع وذلك لأن أهمية الكتابة العربية وكونها مسايرة للعلم، تقتضي وجود وسائل لهذه المسايرة. والكتابة هي كما تعلمون أهم وسائل نقل العلم من لغة إلى أخرى واللجنة التي ألفت أمس ألفت لهذا الغرض، فنزيد الآن تحديد عملها ومعرفة وسائلها التي تسير فيها إلى الغاية بعد أن ألفناها»[22].

وقال في جوهر الموضوع المطروح الذي أراد بعض المجمعيين أن يحيله على خطاطين «الأصل في الكتابة العربية أنها كتابة غير منقوطة الحروف ثم أدخل النقط في القرن

---

20) نفس المرجع، ص 270.

21) محاضر 262/2.

22) محاضر 347/5.

الأول من الهجرة. ورغبتي هي أن يكون المشروع، مشروع إصلاح الكتابة العربية، من إبتكار المجمع وعليه أن يشرف على وسيلة الإصلاح، لأنها مهمته وأن تكون هذه المهمة هي ما نحدده عملاً للجنة بعد أن ألفت أمس»[23].

لقد كان حسن حسني عبد الوهاب حريصًا على إصلاح الكتابة حرصه على التقدم باللغة وعلومها لكنه كان يعارض في تعويضها بحروف لاتينية كما دعا إلى ذلك زميله عبد العزيز فهمي[24]. فهو وإن كان يوافقه على نبل مقصده في هذا التعويض وعلى أن الرسم أهم أسباب مرض العربية فإنه رأى أن الكتابة العربية لا تحتاج إلى ذلك فقال: «أظن أنه ليس هناك من بيننا من يعتقد أو يقول بقدسية الكتابة العربية إنما الذي يعتقد ويقول به جمهور العرب ومن ينضاف إليهم من الكاتبين بالحروف المسماة بالعربية – إن هذه الكتابة – مع حركاتها وأشكالها – أداة موفية بجمع الغرض المطلوب منها وهي التعبير عن مخارج الحروف الموجودة في لغة الضاد»[25].

وهذه اراء فيها نظر كان الفقيد يهدف من ورائها إلى المحافظة على حروف العربية وهو ما لا يعني أنه لا يدعو إلى ضرورة إصلاحها. ولقد أعرب عن ذلك سلفًا ودافع عنه في ما دعا إليه من وضع حروف عربية لكتابة الإعلام الأعجمية. فانتخب عضوًا في اللجنة التي كلفت بوضع مشروع في هذا الشأن وكان من مبادئه.

«أولاً: يكتب العلم الإفرنجي بحسب نطقه في اللغة الإفرنجية ومعه اللفظ الإفرنجي بحروف لاتينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية على حسب ما يقره المجمع في شأن كتابه الأصوات اللاتينية التي لا نظير لها في العربية.

ثانيًا: تكتب الاعلام بحسب النطق بها في لغتها الأصلية أي كما ينطق بها أهلها وليس كما تكتب مع مراعاة ما يأتي من القواعد» ويهم[26] هذا المبدأ الثاني أسماء البلدان العربية والإسلامية.

---

23) نفس المرجع، ص 347– 348.

24) عبد العزيز فهمي: تيسير الكتابة العربية بمؤتمر المجمع 1944، القاهرة 1946. أنظر رد ح. ح. عبد الوهاب عليه بص 65– 66 بتاريخ 19 فبراير 1944.

25) تيسير الكتابة العربية: المطبعة الأميرية، القاهرة 1946، ص 65.

26) محاضر 391/4.

فلقد أصر مثلاً على أن يكتب الحرف الإغريقي (C) copus و lycia و cyrene بالقاف العربية كما اقترح زميله الأب إنستاس الكرملي العراقي فقال: «لقد نطق العرب وكتبوه دائمًا قافًا مثلا قرطاجنة وكتبوها قرطاجنة كذلك»[27] وقد وافقت هيئة المجمع على القاعدة كما هي. وكانت له مواقف أخرى في هذا الموضوع منها ما اتفق فيه مع الشيخ الخضر حسين. فلقد وافقه المجمع على رسم كلمة ليبيا «لوبية» كما قال هو: «وردت هذه الكلمة في ياقوت لوبية بتاء مربوطة وكذا في المسالك والممالك للإصطخري»[28] وأصلح مرة أخرى:

«في العمود الثاني من القائمة الثانية تحت «لوبية» ورد[29] خليج سرت بكسر السين والصواب سرت بضم السين».

ودار النقاش في المجمع في كيفية كتابة الأسماء العربية الجغرافية التي تبتدئ بابو (كما نقول اليوم نادي أبو القاسم الشابي) أيطبق عليها الإعراب أم لا؟ فقال الفقيد وقد وافق المجمع على رأيه.

«إن العرب قد أقروا استعمال «أبو» مرفوعة في كل حالات الإعراب وإليكم دليلاً يؤيد هذا القول. هذا صاحب «الكشاف» الزمخشري يقول عنه في تفسيره سورة أبي لهب.

«ولذلك تجري الكنية على الإسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علمية ويؤيد ذلك قراءة من قرأ: يدا أبو لهب كما قيل: علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السماع»[30].

وكان لمواقف الفقيد ومواقف غيره من المجمعيين أثر حميد في هذا الميدان إذ اتخذوا لأول مرة في تاريخ العربية[31] قرارات تضبط رسم الأعلام الأعجمية والعربية

27) محاضر 412/4.

28) محاضر 364/5.

29) محاضر 365/5.

30) محاضر 312/5.

31) ابن خلدون: الحروف التي لا مقابل لها في العربية. قبس من المقدمة وقد سبق لهذا الفكر الثاقب أن يضع هذا المشكل الخطير كما وصفه أيضًا البيروني في أخبار الهند.

والإسلامية تخرجنا ، لو طبقت وعممت ، من بلبلة الرسم التي تجعل العربي يكتب كلمة (Angleterre) على أربعة وجوه فأكثر: إنكلترا ، أنغلترا ، أنجلترا ، أنقلترا الخ.

أما فيما يتعلق باللهجات ، فهذا الموضوع الشائك الذي اهتزت له أرجاء المجمع ، فإنه كان يرى أن دراستها ضرورية بقدر ما كانت ضرورية بالنسبة لقراء القرآن وعلماء فقه اللغة والأصوات السالفين. فنحن حسب رأيه في أهم الحاجة إليها بقدر ما هي في سباق وصراع دائمين مع اللغة الفصحى ، الأمر الذي جعل بعض العلماء والكتاب يدعون إلى التوفيق بينهما لأن اللهجات تمثل العنصر الحي من كل لغة.

وليس ذلك يعني أنه كان متعصبًا للهجات بل لدراستها وتوحيد نطق حروف العربية ودراسة قواعدها بإعتبار حاجات العصر ، فقدم مشروعًا إلى المجمع قال فيه: «ينبغي أن يعيد (المجمع) النظر في أصول هذه اللغة وقواعدها ومراعاة ما هو جار في أصول اللغات عسانا نهتدي بذلك إلى إدراك سر وقوفها طوال القرون الأخيرة لكي نعمل على تلافيه ونعيد لها خصائصها من حيث قوة الامتصاص والاستنباط والتخريج والصقل بطريقة تكفل لنا طبع الكلمات المستحدثة فيها على غرار الفصيح القديم صيانه لها من اللوث وتسرب الدخيل... وإحدى هذه العلل الطاغية اختلافنا بالتلفظ بالكلمات... وإغفال لغويينا لضبط مخارج الحروف وتركها هدفًا لعوامل التأقلم حتّى اختلف النطق وفسدت اللهجات... ونحن نعتقد أن أهم وظيفة للمجمع تقوم على تلافيه عملاً بالقاعدة (درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة). ودرءها لا يقتضي جهدًا ولا كلفة سوى التفكير في وضع قواعد ثابتة للفظ الحروف نطقًا وكتابة بلهجة فصحى يختارها ويقررها المجمع»[32].

إن هذا الإقتراح الذي أيد وجاهته منصور فهمي ، يدعو في الحقيقة إلى إقرار لهجة عربية موحدة تستمد أصولها من الفصحى ولهجاتها الحية. لكن المجمع لم ير داعيًا لتأييد رأى الفقيد. ولعل هذا الأخير كان يعتقد في قرارة نفسه أن اللهجة التونسية المهذبة من أفصح اللهجات العربية.

أما فيما يتعلق بآرائه في وضع المصطلحات العلمية والفنية فإنه يجدر بنا أن نقسمها إلى قسمين.

---

32) محاضر 355/2.

1 – موقفه المنهجي منها.
2 – تشدده في ضبطها وإقرارها.

ومن هذين الموقفين تبرز لنا تجربته الإدارية الطويلة التي علمته أن كل عمل يحتاج إلى نهج ونظام كما تبرز لنا معالم ثقافته المزدوجة الواسعة التي أهلته إلى معرفة دلالات الكلمات ودقائقها.

فلقد أثار في الدورة الثانية للمجمع مسألة وضع المصطلحات فقال: «المسألة مسألة رئيسية: فكيف نبحث[33] في المصطلحات؟ هل اتفقنا على مبدئ في وضعها؟ ومن يضعها؟».

وشرع ٱلمجمع في وضع المصطلحات في شؤون عامة منها كلمة (robinet) وما يقابلها بالعربية فتنافست كلمتان لنقلها وهما الصنبور والحنفية فقال فيهما.

«لماذا نعين كلمتين... فنكثر من تعداد الكلمات في اللغة لمثل هذه الموضوعات مع أن اللغات الأجنبية تكتفي بكلمة واحدة لمثل هذه الفتحات»[34].

ثم أثار جدوى أعمال المجمع ونجاعتها ثم اردفها باقتراح جاء فيه: «أرجو... الكلام في مسألة من الخطر بمكان ذلك أني رأيت أمس على هذا اللوح الأسود الذي أمامنا عبارة ٱسترعت نظري وٱستحوذت على فكري: وهي أن المجمع من يوم ٱجتماعه في هذا الدور حتى الآن (أي منذ خمسة عشر يومًا) أتم النظر في تسعين كلمة: أقول تسعين كلمة وأكررها حتى نعرف مدى الشوط الذي قطعناه في هذا الدور الثاني. أخذت أفكر في عدد الألفاظ والمصطلحات التي سننجزها على هذا الحساب إلى آخر الدورة فوجدت أننا سنتم النظر في 270 أو 300 كلمة على فرض أن عدد جلساتنا سيبلغ خمسًا وثلاثين جلسة، فهل هي النتيجة التي تترقبها منا مصر والعالم العربي بأسره.

إني أقترح أن تتعدد اللجان التي تنظر في المصطلحات والكلمات حتى يتيسر لنا إبراز مقدار مفيد من الأعمال وأن نتخذ طريقة تختلف عن الطريق التي سلكناها من قبل»[35].

---

33) محاضر 48/2.

34) محاضر 70/2.

35) محاضر 120/2 – 121.

ولقد أقترح ، لما أثيرت مسألة اصطلاحات الملابس مع غيرها من مصطلحات الشؤون العامة قائلاً : «يجب أن يكون للملابس بحث خاص»[36] .

أما فيما يتعلق بمحتوى مجلة المجمع التي رأى بعضهم أن تعنى فقط بالمفرادات والمصطلحات فإنه رأى : «يمكن أن نتوسع في المجلة بأن ننشر فيها بعض المخطوطات النادرة في الإصطلاحات مثلاً أو في الطب أو اللهجات»[37] .

وأثيرت مشكلة وضع المصطلحات : أتكون بالوضع والتصرف حتى يناسب مضمونها السليقة العربية أم بالترجمة البحتة «لأن الترجمة – كما قال منصور فهمي – تخرج المجمع عن مهمته وتجعله مترجمًا لا أكثر وخير لنا أن نضع كلمة عربية خالصة من أن نكون مترجمين للكثير»[38] .

فئازره حسن حسني عبد الوهاب قائلاً :

«أوافق الدكتور منصور فهمي على أن مهمة المجمع ليس الترجمة فينبغي لنا ألّا نترجم إلا عند الضرورة»[39] .

وجاءت المصطلحات العسكرية بمسائلها المتشعبة المعقدة فأثارت كيفية الإقبال عليها وتطويعها . فقال المجمعي التونسي :

إن المصطلحات العسكرية لا تقل عن الألفين واللجنة لم تضع إلى قليلاً منها ولكننا نريد بتقديم هذا القليل لهيئة المجمع أن يقف زملاؤنا على الطريقة التي سكلتها اللجنة في اختيار الألفاظ ، ويعتبر هذا البحث كتمهيد لما يأتي حتى إذا وافقتم على وجوب استمرار اللجنة في عملها ، وهو عمل يحتاج إلى وقت طويل ، استمرت ، ولو ظهر ما يستوجب التنقيح فإننا ننقحه»[40] .

هذه مواقفه المنهجية في أمور عدة أما فيما يتعلق بالمصطلحات في حد ذاتها وفي علومها المختلفة فإننا سجلنا له فيها أكثر من 50 رأي وذلك في الدورات الخمس الأولى من حياة المجمع . ومما يلفت النظر في هذه الآراء أنه كان يردد هذه العبارات

---

36) محاضر 149/2 .

37) محاضر 388/2 .

38) محاضر 21/4 .

39) محاضر 23/4 .

40) محاضر 372/4 .

«نقول في المغرب» «نقول في بلاد المغرب» – «وعندنا في المغرب نقول» – و«نقول في تونس».

ويحسن أن نقدم في هذا الصدد نماذج من آرائه في هذه المصطلحات : قال في لفظة (gratte ciel) بالفرنسية و(Sky Scrapors) بالأنجليزية التي وضعت لها كلمة الصرح.

«هل هناك عيب في إستعمال (ناطحات السحاب) واللفظان عربيان شائعان في الصحف وغيرها ويدلان على معنى خاص»[41].

وقد شاعت هذه الترجمة التي اقترحها وماتت كلمة الصرح لأن الإستعمال محكم كما قال زميله المرحوم محمد كرد علي واضع كلمة الصرح.

وجاءت لفظة إزار التي نافستها كلمة الوزرة فقال ح. ح. عبد الوهاب :

لا نعرف في اللغة التونسية غير هذه الكلمة (أي الإزار) للدلالة على المعنى المراد بها في مصر (أي الوزرة) وقد استعملها ابن جبير»[42].

وجاءت كلمة الطارمة للدلالة على الكلمة الفرنسية «étalage» فقال فيها : «في المغرب الأقصى لا يزالون يستعملون كلمة الطارمة»[43].

وجاءت مسألة الترادف في كلمتي الدهليز والطرقة فقال : «في العربية مترادفات كثيرة سببها القبائل وليس هذا عيبًا في اللغة ، ووضع كلمة خاصة لكل مصطلح ليس من باب الترادف وإنما هو تخصيص تلاحظ فيه فروق خاصة وما نبحث فيه اليوم لا ترادف فيه»[44] ويمكن ربط هذه الألفاظ بمسائل معجمية منها تاريخ الكلمات ووضع معجم تاريخي لها على غرار معجم (Oxford Dictionary) فقال :

«يمكننا أن نعرف تاريخ بعض الكلمات كمدنية وتمدن بإستعمال ابن خلدون لها في معنيين تعارف عليهما في كتابه»[45].

وجاء مترادفان : الطبق والصحن فقال :

«في المغرب لا نستعمل إلا الصحن»[46].

---

41) محاضر 32/2.

42) محاضر 41/2.

43) محاضر 66/2.

44) محاضر 76/2.

45) محاضر 137/2.

46) محاضر 152/2.

أما مصطلحات العلوم الطبيعية فإننا نأخذ منها كلمة (astatic needle) التي وضعت لها لجنة الطبيعة «الإبرة الموقوفة» فاقترح ح. ح. عبد الوهاب «الإبرة المتعادلة» ولم يوافقه المجمع على ذلك.

وجاءت مصطلحات الحساب، وصلاحية ترجمتها أو تعريبها فقال: «إن العرب عندما ابتدأوا في ترجمة العلوم قالوا عن الحساب ارتماطيقي ولكنهم لم يستمروا عليها وقالوا علم الحساب»[47].

وأثيرت مصطلحات الفنون والرسم منها كلمة (varnish). وترجمتها اللجنة المختصة بكلمة «اليلمع» فقال «نعم وجدنا البرنيق في المعجمات العربية كمعجم ياقوت وقد ذكرها عبد الله البكري في المسالك وذكرها العبدري الرحّالة»[48]. وجاءت مصطلحات القانون منها (droit de disposer) فترجمتها اللجنة «بحق التصرف» فقال «أرى أن نضيف كلمة «مطلق»[49] إلى حق التصرف فنقول «حق التصرف المطلق» فوافق عليها المجمع».

أما في مصطلحات الأداب فلقد وردت على المجمع كلمة (humanisme) فترجمتها اللجنة المختصة: «بأحياء الثقافة القديمة» أو «التأدب بالثقافة القديمة» فاقترح تبديلها (وقبل إقتراحه) «نقول أحياء الأداب القديمة والعلم مما يتأدب به فكلمة الأداب تشمل العلوم كلها»[50].

وجاءت مصطلحات الكهرباء منها (paratonnère) فترجمتها اللجنة: «قضيب الصواعق أو صارفة الصواعق» فقال فيها: «صارفة الصواعق ترجمة حرفية للأصل الفرنسي[51] فأبدلها المجمع بـ «مانعة الصواعق».

وجاءت مصطلحات الطبيعة منها rayons ultra violets ؛ rayons ultra rouges وترجمتها اللجنة بـ: «أشعة ما بعد البنفسجي وأشعة ما قبل الأحمر).

---

47) محاضر 138/4.

48) محاضر 255/4.

49) محاضر 333/4.

50) محاضر 35/4.

51) محاضر 63/5.

وأقر المجمع : (أشعة ما وراء البنفسجي وأشعة ما دون الأحمر) فقال ح. ح. عبد الوهاب : «ما فوق البنفسجي ما تحت البنفسي»[52].

ولعل الإستعمال قد أيده.

وجاءت مصطلحات الرياضة منها (alternative proof) فترجمتها اللجنة بالبرهان البديلي فقال ح. ح. عبد الوهاب : «ليس التعبير إصطلاحا رياضيا ولا أعرف له نظيرًا في غير اللغة الانجليزية فاقترح حذفه هو وما تلاه وهو البديل (alternative). ومن المصطلحات ننتقل إلى النحو الذي سنكتفي منه[53] بذكر موقف له يتعلق بالإعراب آزر فيه بالدليل اللغوي زميله أحمد حسن الزيات في إعراب جملة : سافر محمد علي حسن : أي النطق بهذه الأسماء ساكنة.

إذ قال فيها الزيّات : «ومن واجب مجمع اللغة العربية وهو وحده المسؤول عن سلامتها ورعايتها أن يطوع قواعدها بقبول هذا التركيب ولو بشيء من الإكراه»[54] وحجته في ذلك أن ««ما قاله النحاة في إعراب فواتح السور يقال أيضا في إعراب هذا التركيب وأمثاله»[55]. وحمى الوطيس في المجمع حول هذه المسألة فقال ح. ح. عبد الوهاب «ولقد خرجت على الحكاية أساليب مختلفة مما جاء على غير قياس العربية واذكر أن الزمخشري أثبت في تفسير قراءة قول الله تعالى : «تبت يدا أبو لهب»[56] فآزره العقاد ملاحظًا أن المصريين يقولون دائمًا «بني سويف» إشارة إلى قرية مصرية فعارض إبراهيم مصطفى : «بني سويف أصبحت علمًا بصورتها مثل البحرين وهذا لا يتصل بما نحن فيه»[57] فأجاب أحمد حسن الزيات : «سجل آبن جنى مبدأ صحيحًا هو أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[58] فعاد [59] إبراهيم

---

52) محاضر 112/5.
53) محاضر 231/5.
54) مجلة مجمع اللغة 62/12.
55) مجلة مجمع اللغة 64/12.
56) مجلة مجمع اللغة 64/12.
57) نفس المرجع.
58) نفس المرجع.
59) نفس المرجع.

مصطفى قائلاً : «إننا نقيس هنا على كلام العامة» فأجابه طه حسين : «بل نقيس على كلام الله»[60].

وذلك ما اعتمده الفقيد الذي لم يفارق هذا المجمع قبل أن يربطه بمجمع آخر سبقه في التاريخ وأعني بذلك بيت الحكمة التونسي الذي يعتبر أول مؤسسة علمية في البلاد الإفريقية[61] فيقول فيه : «يتضح أن بيت الحكمة الإفريقي إنما أنشأه أمراء بني الأغلب بغية نشر الثقافة العالية في غير المادة الدينية التي كانت دراستها موقوفة على «جامع عقبة» وفي كثير من مساجد القيروان وغير القيروان وفي دور الفقهاء والمحدثين»[62] ولقد أكد المرحوم على دور بيت الحكمة في الترجمة وإشعاعه ثم على تأثيره على النهضة الاوروبّية كأنه كان يتمنى أن يؤدي مجمع اللغة وغيره من المجامع ما أداه بيت الحكمة التونسي من واجب داخل وطنه وخارجه.

هذا قليل من كثير أردنا أن نحتج به لمساهمة ح. ح. عبد الوهاب في مسائل اللغة وما اقترح لها من حلول تشهد على منهجه العلمي وعلى مستوى ثقافته كما تعبر عن رأيه وعن صورته فصيحًا عربيًا معاصرًا وعن آرائه في فصاحة العربية وشجاعتها في العصور الحديثة.

---

60) نفس المرجع.

61) بيت الحكمة التونسي: بحوث ومحاضرات المجمع ، 1963–1964 ، ص 115.

62) بحوث ومحاضرات ، ص 131.

حسن حسني عبد الوهاب

بقلم: حسن حسني عبد الوهاب

لقد زودنا المرحوم ح. ح. عبد الوهاب بهذه الوثيقة المخطوطة عن حياته. وكنا قد طلبناها إليه أيام كنا بهولندا بغية وضع ترجمة عن حياته ونشاطه العلمي قبل أن يعين عضوًا بمجمع اللغة العربية الذي عنينا بتاريخه وأعماله.

وهذه الوثيقة تبدو لنا على غاية من الأهمية لأنها تعتبر إلى حد الآن النسخة الوحيدة المعروفة التي كتبت بخط يده. على أننا نلاحظ أنها تعتبر على ندارتها، نسخة من أصل اتخذه الفقيد سندًا يزود منه كل من طلب إليه نبذة عن حياته العلمية، وإن كان هذا الأصل أقل دقة وكمالاً من نص المخطوطة التي بين أيدينا.

ويؤيد وجود هذا الأصل النص الذي آستنسخه الزميل الأستاذ الشاذلي بويحي عن ذلك الأصل. ولقد آعتمدنا نصّه لمقارنته بنسختنا لما في ذلك من الفائدة العلمية واشرنا إليه برمز «ب».

ويبدو لنا أنه سبق لح. ح. عبد الوهاب أن زوّد مجمع اللغة العربية بنسخة مماثلة نشير إليها برمز «م». على أنه يجدر بنا أن نلاحظ أننا لن نعتمدها إلا قليلاً لأن المجمع قد تصرف فيها تصرّفًا كثيرًا في كتابه «المجمعيون» المذكور أعلاه.

---

*) علامة تدل على كل كلام طويل لم يرد في مخطوطتنا أو في «ب» أو «م».

0) علامة تستعمل في أحوال خاصة.

رشاد الحمزاوي

رب أنعمت فزد !

* الأستاذ البحاثة الموفق السيد محمد رشاد الحمزاوي كلأه الله ونفع به وصلني – واصل الله نعمتكم بالمزيد – الكتاب اللطيف المشير إلى الرغبة في زيادة التعرف بي ، فلكم الشكر الوافر والثناء الجزيل عن حسن إعتقادكم وعنايتكم بالبحث عن مجمع اللغة ذلك الموضوع اللغوي الأدبي الذي يرمز إلى إنتباه الشعب العر بي عن سباته العميق .

وقبل الجواب عن السؤال أعلم بنوتكم الفاضلة أن منذ عام حصل انحراف بمزاجي أقصاني عن مكتبتي التي بقيت بحضرة تونس وألزمني الإقامة بسلامبو حيث الهواء الطلق المنعش ، وقد سرى هذا الإنحراف إلى هيكل التنفس مني فكاد يحرمني من الحركة والإنتقال ، فصار سعي مقصورًا على الجلوس والكتابة متى تيسّر :

لم يبق شيء من الدنيا نسرّ به إلّا الدفاتر فيها الشعر والسمر

ومهما يكن من أمر فإني سأحاول الجواب بقدر المستطاع مع الإعتذار عن التقصير ، فأقول وبالله التوفيق* :

الإسم : حسن حسني عبد الوهاب – وهو اللّقب العائلي – نسبة إلى جدي عبد الوهاب بن يوسف الصمادحي التجيبي الذي كان يدير الحرس الأهلي للبلاد (وهم الحوانب) ويرأس التشريفات في مدة البايات الحسينيين من عهد[1] محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي إلى أيام المشير أحمد باي الأول .

وتقلّب بعد إبنه والدي (صالح بن عبد الوهاب) في عدة وظائف مخزنية[2] وكان في عصره من الأفراد التونسيين القلائل إذ أنه تعلّم العربية بجامع الزيتونة[3] ودرس بعد ذلك اللغة الفرنسية بمكتب الرّهبان (Ecole des Frères) الواقع بنهج الزيتونة الآن (نهج الكنيسة سابقا) حتى أتقن تلك اللغة جيّدًا[4] . فأضافه (الفريق حسن) وزير

---

*) لا يوجد في بـ ولا في م.

1) بـ : من عهد الباي محمود.

2) بـ : وظائف وكان.

3) بـ : الزيتونة (نهج ...).

4) بـ : حتى أتقنها جيّدًا.

الخارجية إلى[5] مكتبه، وصار الوالد يصاحبه كمترجم في السفارات المتنقلة التي كانت ترسلها الدولة التونسية إلى أوروبا كلّما حصل خلاف مع الممالك الإفرنجية (إيطاليا قبل الوحدة، فرنسا[6] وانكلترا وغيرها) في عصر كانت رحلة التونسيين إلى تلك الأصقاع[7] قليلة جدًا من 1868 الى 1880م[8] – وكان الوالد المرحوم مولعًا بفن التاريخ (والعرق دسّاس، كما في الحديث النبوي) وله تأليف في أخبار مملكة المغرب الأقصى لم يطبع بعد.

وتقلّب الوالد – بعد الحماية – في جملة وظائف منها عمل الأعراض (قابس) وعمل[9] المهدية، وتوفي أواخر[10] 1904. أما إبنه حسن حسني فإنه ولد أواخر[11] شعبان 1301م (21 يونية 1884هـ) بنهج عبد الوهاب رقم 25 الآن[12]. والدته[13] (حنيفة بنت علي بن مصطفى آغة قيصرلي» وكان[14] أبوها أكبر أعوان (معين أول) الوزير خير الدين باشا.

وأول دراستي كانت في كتاب بنهج سيدي الموحّد – بين نهج الوادي ونهج بوخريص – حسب العادة المتبعة حينئذ لصغار التونسيين ثم تحوّلت إلى المدرسة الإبتدائية بالمهدية وهناك حفظت[15] الربع الأخير من القرآن كما ابتدأت تعلّم اللغة الفرنسية.

---

5) ب: إليه.

6) ب: وإنكلترا.

7) ب: البلاد.

8) رسمها ناسخ نص «ب» بالأرقام العربية عملاً بالعادة الجارية عندنا اليوم بتونس ولقد طبق الناسخ ذلك على الأعداد الواردة في هذه الترجمة والملاحظ أن الفقيد قد كتب كل الأعداد بالأرقام الهندية.

9) ب: والمهدية.

10) ب: آخر.

11) ب: آخر.

12) ب: رقم 25.

13) ب: ووالدته.

14) ب: كان.

15) ب: وتلقيت هناك حفظ الربع..، ولقد شطب ح.ح. على الجملة السابقة وعوضها بغيرها ممّا جاء في نسختنا.

ولما أنتقل الوالد من المهدية إلى تونس دخلت أول مكتب فرنسي لائكي بالحضرة[16] بنهج السويد[17] (rue de Suède) ونلت شهادة العلوم الإبتدائية سنة 1899م[18]. فالتحقت حينئذ[19] (بالمدرسة الصادقية) وزاولت بها العربية والترجمة ثم قصدت باريس وانتظمت في سلك تلاميذ (مدرسة العلوم السياسية)[20] (École des Sciences Politiques) وتتبعت تعليمها، ومن أساتذتي بها[21] (ده منتاي[22] (De Monteil) وفي الأثناء كنت أحضر محاضرات الحكيم (شاركو[23] (Dr. Charcot)[24] في تحليل الأخلاق والطبائع والنحائز[25].

وتوفي الوالد آخر سنة 1904 فعدت إلى البيت في حضرة تونس وانخرطت بعد في سلك موظفي (إدارة الفلاحة والتجارة) في قسم أملاك الدولة سنة[26] 1905؛ وبعد خمس سنين عينت رئيسًا لإدارة (غابة الزياتين للشمال التونسي) سنة 1910. وفي أثناء الحرب الكبرى الأولى ألتحقت بإدارة «المصالح الإقتصادية»: (services écono-miques) في سنة 1916 بصفة رئيس قسم. وفارقتها لرئاسة (خزنة المحفوظات التونسية: (services des archives générales) في سنة 1920[27] وقد أستفدت كثيرًا من هذا العمل حيث أتيح لي الإطلاع على مجرى أحداث التاريخ التونسي منذ الفتح التركي أو بعده بقليل[28]، ولا يخفى أن خزنة المكاتيب الدولية -كما كانت تسمى- هي من محاسن مؤسسات الوزير خير الدين حين مباشرته لشؤون الدولة التونسية - وأهم[29]

16) ب: بالحاضرة (نهج السويد).
17) ب: بنهج السويد ونلت.
18) ب: 1899.
19) ب: فالتحقت بالمدرسة الصادقية.
20) لا توجد في ب؛ أما م فلقد جاء فيها: ثم ألتحق بمدرسة العلوم الاقتصادية بباريس.
21) لا توجد في ب.
22) ب: Professeur De Monteil.
23) ب: chapcot.
24) ب: و.
25) ب: الأخلاق والنحائز والطبائع.
26) ب: آخر سنة.
27) ب: Archives générales.
28) ب: وبعده.
29) ب: أهم.

عمل قمت به هناك هو اني وضعت لها جهازًا تامًا لفهرس[30] محتوياتها في جذاذات محفوظة في صندوق خاص (fichier) وهو المعمول به إلى الآن ، ولم يكن ذلك موجودًا بها من قبل[31].

وفي سنة 1920 عينت عاملاً (واليًا)[32] على المثاليث ، ومركز[33] الإدارة بجبنيانة ، وكانت تلك الناحية تابعة لولاية صفاقس ، ولم يعتن بمصالحها منذ أحقاب توالت عليها ، فسعيت جهدي في إقرار أهاليها بالأرض لتعميرها وبايجاد عدة مكاتب إبتدائية وإحداث طرقات معبّدة ، وتزويد القرى بالماء الصالح للشراب وتنوير مركز العمل ليلاً.

وفي آخر سنة 1928 نقلت واليا (عاملاً)[34] للمهدية الفاطمية ، فاجتهدت في نشر التعليم في القرى والمداشر ، وكنت ألقي في كل أسبوع محاضرات في تاريخ الإسلام[35] ، وبخاصة في أحداث تلك الجهة في محل ناديها ونادي الشبيبة ، وأوقفت كتبًا كثيرة على مكتبات المدينة الفاطمية.

وفي سنة 1935 سميت واليًا (عاملاً) على الوطن القبلي (نابل وناحيتها) فاهتممت بمصالحها العمومية بقدر الإستطاعة[36] ، وأوقفت كذلك من الكتب العربية كثيرًا على مركز الولاية وعلى القرى الكبيرة والصغيرة.

وفي سنة 1939 عدت لحضرة تونس[37] بصفة وكيل (للإدارة المحلية والجهوية) يعني شؤون الإمارة الداخلية للبلاد ، وفي أثناء مباشرتي لهذا المنصب أحلت على التقاعد لبلوغي السنّ القانوني – بعد أربع وثلاثين عامًا من العمل المنهك – لكن الإدارة المركزية أبت ألا أن تعيّني رئيسًا (لمصلحة الأوقاف) فاجتهدت في الذبّ عن مصالحها ومنع أيدي الطمع من الإمتداد إلى أملاك الأوقاف وأراضيها الخصبة.

وبمجرّد إنتهاء الحرب الكبرى الثانية من البلاد التونسية انتخبت وزيرًا (للقلم) وهو وظيف يشمل الإشراف على إدارة الشؤون الداخلية للبلاد ، والقيام بتحرير المهمّ

---

30) بـ : لفهرست.
31) بـ : موجود بها.
32) م : مديرًا.
33) بـ : ومقر.
34) بـ : واليًا إلى المهدية.
35) بـ : التاريخ الإسلامي.
36) بـ : الجهد.
37) بـ : للحضرة التونسية.

من المكاتيب الدولية ومخاطبة ملوك الخارج ، وكان[38] التعيين في 3 ماي سنة 1943 ، فشغلت هذا المنصب مع آخر البايات الحسينيين : محمد الأمين.

وتخلّيت عن هذا المنصب نهائيًا في شهر يولية سنة 1947 ، ومن ذلك الحين إنقطعت عن الأشغال الإدارية وأقبلت على العمل في تأليفي الكبير : «كتاب العمر» وكذلك السفر إلى الأقطار الشرقية والغربية.

ولما نالت البلاد التونسية الإستقلال وفارق الموظفون الفرنسيون المصالح الإدارية ، دعيت من جانب الحكومة التونسية المستقلة[39] لرياسة ما سمّي (بالمعهد القومي للآثار والفنون : (Institut National d'Archéologie et d'art)[40] في سنة 1957 ، فباشرت[41] هذه المهمّة إلى سنة 1962 ، وأقبلت[42] على العمل بها بجدّ نادر مدة خمس سنوات متوالية ، وقد هيئت بعض الشباب للمعاضدة حيث لم يبق من الموظفين الفرنسيين السابقين أحد ، ويسر الله في تلك الفينة أن نقلت مصلحة الأثار من محلّها القديم (ساباط سوق الفكّة)[43] آخر شارع الكنيسة قديمًا إلى (دار حسين الفريق) التي كانت مقرّا لقائد الجيش الفرنسي ولأركان حربه بساحة القصر ، وبعد ترميم الدار كما يجب إتخذت بقسمها الأعلى مكاتب الإدارة ، وبقسمها الأسفل متحفًا للفنون الإسلامية ، ولم يكن لهذه الفنون أدنى حظ بين الأثار التونسية.

ومن منن الله أن أسست في مدة رياستي للأثار خمسة متاحف منها أربعة للأعلاق الإسلامية (متحف علي بورقيبة في رباط المنستير – ومتحف أسد بن الفرات سوسة – ومتحف إبراهيم بن الأغلب في القيروان ومتحف دار حسين الإسلامي المتقدم الذكر – ثم مستودع الاثار[44] الكلاسيكية (antiquarium) بقرطاجنة في نفس بيت أحد أعيان الرومان).

وقد زودّت الأربعة متاحف العربية[45] السالفة الذكر بكل ما جمعته لخاصة نفسي منذ الصغر من الأعلاق النفيسة والتحف الإسلامية النادرة سواء أكانت مقتناة من تونس أو مشتراة من المشرق ومن عواصم اروبا.

---

38) بـ : وذلك في 3 ماي.
39) بـ : الجديدة.
40) لا توجد الترجمة الفرنسية في بـ.
41) بـ : باشرت.
42) بـ : فأقبلت.
43) بـ : سوق الفكة إلى دار حسين.
44) بـ : مستودعًا للآثار.
45) بـ : المتاحف العربية السالفة...

وفي تلك المدة نشرت في مختلف الجرائد والمجلات فصولاً كثيرة وحرضت الباحثين عن الآثار لإخراج ما كتبوه بالعربية والفرنسية ، كما قدّمت لبعض[46] مصنفاتهم بتمهيدات تاريخية وفلسفية وبمقدمات مناسبة ، وهي نحو العشرة مؤلفات في شتى الأعراض الأثرية.

فهذه خلاصة حياتي الإدارية.

أما الحياة العلمية :

فقد تمّ لي المشاركة في غالب «مؤتمرات المستشرقين» إبتداء من عام 1905 بعاصمة الجزائر ، وقدّمت فيه بحثا عن «الإستيلاء العربي لصقلية» ، وتعرفت هناك بثلّة من العلماء والمشاركين عربًا كانوا أو إفرنجًا ، منهم المرحوم[47] (محمد فريد بك) رئيس الحزب الوطني المصري إذ ذاك ، والشيخ (عبد العزيز شاويش) المشهور وهو تونسي الأصل ، وصارا من حينئذ من أكبر أصدقائي[48] – و(جورج براون)[49] الأنكليزي وكذا (المستر بيفين)[49] و(أمر دروز)[49] و(فولارس) و(نلدكى)[49] الألماني ، و(كوديرا)[49] و(ريبيرا Ribera) و(ميقال آسين بلاسيوس Miguel Asin Palacios) وثلاثتهم من إسبانيا – و(لويس ماسينيون)[49] و(وليم مرسي)[49] وصديقي المرحوم (محمد بن أبي الشنب) وغيرهم كثير جدا – وامتدّت علاقتي بجميعهم بعد ذلك.

وفي سنة 1908 شاركت في مؤتمر (كبنهاكن) عاصمة الدنمارك[50] ، ومن الوجوه الذين[51] تعرفت بهم هناك : أولا جلالة الملك (قستاف أدلف)[52] – والبارون (ماكس أوبنهائم) الألماني ، و(قولد زيهر) العالم النمساوي المشهور ، والأب (لامنس Lammens)[53] ورفيقه الأب (لويس شيخو) اليسوعيين. وقد قمت بمعارضتها

46) بـ : لمصنفاتهم ببعض تمهيدات.

47) بـ : منهم (محمد فريد بك).

48) بـ : الأصدقاء.

49) بـ : جاء مكتوبة بحروفها الأعجمية وإن كان الناسخ قد حرفها وأصلح أغلبها الأستاذ الدكتور بويحي.

50) بـ : الدينمارك.

51) بـ : ومن وجوه العلماء.

52) بـ : قستاف أدولف. ولعل هذا الرسم من عند الناسخ.

53) بـ : والأب.

(٤)

فيه بحثاً عن "الاستيلاء العربي لصقلية"، وتعرفت هناك بثلة من العلماء المشاركين عرباً كانوا أو افرنجاً، منهم المرحوم (محمد فريد بك) رئيس الحزب الوطني المصري اذ ذاك، والشيخ (عبد العزيز شاويش) المشهور وهو تونسي الاصل وصار من حينئذ من اكبر اصدقائي - و (جورج براون) الانكليزي وكذا (المستر بيفن) و(ادوارد فولارس) و(زيلندر لي) الالماني، و(كوديرا) و (ريبيرا Ribera) والمفضال آسين بلاسيوس Miguel Asin Palacios وثلاثتهم من اسبانيا - و (لويس ماسينيون) و (وليم مرسي) وصديقي المرحوم (احمد ابي الخشب)، وغيرهم كثير جداً - وامتدت علاقتي بجميعهم بعد ذلك،

وفي ١٩٠٨ شاركت في مؤتمر (كوبنهاجن) عاصمة الدنيمارك، ومن الوجوه الذين تعرفت بهم هناك: اولا جلالة الملك (قستاف ادلف) - والبارون (ماكس او بنهايم) الالماني، و (قولد زيهر) العالم النمساوي المشهور، والاب (لامنس Lammens) ورفيقه الاب (لويس شيخو) اليسوعيين، وقد قمت بمعارضتهما فيما قدّماه من البحث حيث وصفا النبي العربي الكريم بالايضح والابليس، وافتريا عليه صراحة، والملاحظ اني كنت المسلم الوحيد في حضور هذا المؤتمر، ولذا [illegible] تجاسرا بالطعن جهاراً على صاحب الشريعة الاسلامية، وكان البحث الذي عزمت على تقديمه باللغة الفرنسية: "مختلف العناصر التي يتكون منها الشعب التونسي" - وقد طبع بعد ذلك بتونس ١٩١٧ - فعدلت عن القائه حتى لمعارضة طعنهما، وكان لمعارضتي للراهبين المتقدمين رنة كبيرة بين المؤتمرين وتأييد من جانب عظيم منهم،

وفي ١٩٢٤ شاركت في مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنساويين ثم في المؤتمر المنعقد برباط الفتح بالمغرب ١٩٢٧ ثم في مؤتمرات (ليبزيج، واسطنبول، وموينخ في المانيا) وفي جميعها كنت النائب الوحيد عن الحكومة التونسية، ودعيت لحضور الندوات العلمية التي دارت في (البندقية) في معهد Conte Cini وكذا في معهد ملتقى فيورينسه (بايطاليا) للتقارب بين الدوليات والاديان برياسة الامير مولاي الحسن المغربي الشرفية ورياسة (جورجو لابيرا Giorgio La Pira المشهور) وغير ذلك من المؤتمرات مما يطول تعداده .

كما نبت عن تونس في (مؤتمر الموسيقى الشرقية) المنعقد بالقاهرة في ابريل ١٩٣٢ والقيت خطاباً كان له وقع كبير لدى الدوائر الرسمية، ويلاحظ اني كنت تعرفت - في صائفة ١٩١٤ في نابلي - بالامير (احمد فؤاد) نجل الخديوي اسماعيل قبل ان يصير ملكاً لمصر.

وفي نظري ان الملك فؤاد كان - بلا نزاع - من اجل ملوك المسلمين ومن اقوامهم عربية وحباً لجمع كلمة العروبة والرغبة الصادقة في الدفاع عن الحضارة الاسلامية، مع الذكاء المفرط الذي خصه الله به، والثقافة الواسعة، ولا يخفى انه من حين استقر ابوه اسماعيل بلنشأ في بلاد ايطاليا بعد التنازل عن الملك، انخرط البرنس (احمد فؤاد) في المدارس الحربية هناك ودرس بها الى ان نال بكد يمينه رتبة امير الاي (Colonel) في الخيالة، بلا محاباة ولا مراعاة لاصالته، وكان يحسن اللغة الايطالية كاحد ابنائها، وكذا يتكلم اللسان الفرنسي مع نبرة ايطالية واضحة للسامع

فيما تقدم من البحث حيث وصفا النبي العربي الكريم بما[54] لا يصح ولا يليق، وافتريا عليه صراحة[55]، والملاحظ أني كنت المسلم الوحيد في حضور هذا المؤتمر، ولذا تجاسرا بالطعن[56] جهارا على صاحب الشريعة الإسلامية وكان البحث الذي عزمت على[57] تقديمه باللغة الفرنسية: «مختلف العناصر التي يتكون منها الشعب التونسي وقد طبع بعد ذلك بتونس سنة 1917 – فعدلت عن إلقاء بحثي لمعارضة[58] طعنهما، وكان لمعارضتي للراهبين المتقدمين رنّة كبيرة بين المؤتمرين وتأييد من جانب عظيم منهم.

وفي سنة 1922 شاركت في مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنساويين[59]، ثم في المؤتمر المنعقد برباط الفتح بالمغرب سنة 1927، ثم في مؤتمرات (كنبريتج)[60] و(استنبول ومنيخ)[61]. وفي جميعها كنت النائب الوحيد[62] على الحكومة التونسية ودعيت لحضور الندوات العلمية التي دارت في[63] (البندقية) في عهد[64] (Comte Cini)، وكنا في ملتقى فيورينسة (بإيطاليا) للتقارب بين المدنيات والأديان* برياسة الأمير مولاي الحسن المغربي الشرفية ورياسة (جورجو لابيرا Giorgéo La Pira المشهور)* وغير ذلك من المؤتمرات[65] مما يطول تعداده.

* كما[66] نبت عن تونس[67] في (مؤتمر الموسيقى الشرقية) المنعقد بالقاهرة في أفريل سنة 1932* والقيت خطابا كان له وقع كبير لدى الدوائر الرسمية، ويلاحظ*[68] إني كنت تعرّفت – في صائفة[69] 1914 في نابلي بالأمير (أحمد فؤاد) نجل الخديوي إسماعيل قبل أن يصير ملكا لمصر.

---

54) بـ: بما لا يليق.
55) بـ: وافتريا عليه والملاحظ.
56) بـ: بإبداء الطعن على الإسلام جهارًا.
57) بـ: عزمت تقديمه هناك باللغة.
58) بـ: لمعارضتهما.
59) بـ: الفرنسويين.
60) بـ: كمبريتج بإنكلترا.
61) بـ: ألمانيا.
62) بـ: النائب عن.
63) بـ: بالبندقية.
64) بـ: Cini
*) لا يوجد في نص بـ.
65) بـ: وغير ذلك ممّا.
66) بـ: ونبت.
67) بـ: الحكومة التونسية.
*) لا يوجد في نص بـ.
68) بـ: وقد كنت.
69) بـ: قبل ذلك في سنة 1914 بالأمير أحمد فؤاد نجل الخديوي إسماعيل في نابلي بإيطاليا.

وفي نظري أن الملك فؤاد كان – بلا نزاع – من أجل ملوك المسلمين ومن أقواهم عزيمة وحبّا لجمع كلمة العروبة والرغبة الصادقة للدفاع عن الحضارة الإسلامية ، مع الذكاء المفرط[70] الذي خصّه الله به ، والثقافة الواسعة ولا يخمن أنه من حين استقر أبوه اسماعيل باشا في[71] بلاد إيطاليا بعد التنازل عن الملك ، إنخرط البرنس (أحمد فؤاد) في المدارس الحربية هنالك ودرس بها إلى أن نال بكدّ يمينه رتبة أمير الاي (Colonel) في الخيالة ، بلا محاباة ولا مراعاة لإصالته ، وكان يحسن اللغة الإيطالية كأحد أبنائها ، وكذا[72] اللّسان الفرنسي مع نبرة إيطالية واضحة للسامع .

وقد سألني مرة – تغمّده الله برحمته – ونحن نتغذّى على مائدته بقصر القبّة بمحضر وزيره الأكبر (محمد محمود) عن حالة المغرب وتقسيماته ونظامه الإداري ، فأخذت في حديث[73] الوصف بما يناسب المقام. واشتغلت بالكلام عن الطعام ، فالتفت إليّ وقال :

– «حمّلتك مشقّة الكلام كثيرًا فلم تأكل إلا قليلا ! ».

فأجبته بقولي :

– «يا أفندينا ، موائد الملوك للشرف لا للعلف ! » فانبسط منها كثيرًا.

وسألني مرة أخرى : «كيف وجدت مصر؟ فكان جوابي إليه[74] :

– «يا أفندينا ، سئل المقرّي[75] المغربي مصنف كتاب «نفح الطيب» الشهير عمّا شاهده بمصر حين زارها فأجاب :

– «من لم يزر مصر لا يعرف عزّ الإسلام ! » وأنا أقول بقوله* ولا أحيد عنه* !

ولا ننسى أن الملك فؤاد كانت له مواقف حاسمة للحصول على الإستقلال المصري وكذا[76] في الدفاع عن العروبة جملة ، وليس هنا محل بسطها وشرحها ، رحمة الله عليه وجزاه سبحانه الجزاء الأوفى ، وفي المثل المطروق «النار تترك الرماد».

---

70) بـ : الوقاد.

71) بـ : باشا بلاد.

72) بـ : وكذلك.

63) بـ : في الوصف.

74) بـ : كان جوابي.

75) بـ : سئل أبو العباس.

*) لا يوجد في نص بـ.

76) بـ : وكذلك.

وهو الذي عينني عضوًا في «مجمع اللغة العربية» أول[77] تأسيسه : آخر سنة 1932 – وأنا اليوم هذا آخر من بقي من الأعضاء الأولين للمجمع ، وكنا في البداية عشرين عضوًا لا غير ، عشر من المصريين ، وخمسة من الشرقيين ، وخمسة من المستشرقين – وقد شاركت بقدر الاستطاعة في الأبحاث والمناقشات الدائرة في المجمع منذ التأسيس ، لا سيّمَا عندما أثيرت الدعوة لإبدال الحروف العربية بغيرها .

أمّا اللّغات التي أحسنها فهي أولاً وبالذات العربية لغة أهلي وقومي ، ثم الفرنسية ، وقليلاً من الإيطالية* فهمًا وتكلّمًا* وكذا من التركية .

أما عنايتي بالثقافة وبثّ وسائلها داخل البلاد التونسية فقد درّست التاريخ العام التونسي خاصة[78] في «الخلّدونية من سنة 1905[79] إلى 1924[80] بعد المرحوم البشير صفر ، وكذا[81] التاريخ الإسلامي في «المدرسة العليا للغة والآداب العربية» بسوق العطارين من سنة 1913 إلى آخر سنة 1924 .

ومنحتني «جامعة العلوم» بالقاهرة لقب الدكتوراه الفخرية في سنة 1950 (Dr. Honoris Causa) * بمناسبة مرور 50 سنة على تأسيسها* ، كما منحت ذلك اللّقب من جامعة العلوم بالجزائر[82] ودعيت للحضور بنفسي[83] فلم أجب حيث كانت حرب التحرير قائمة على ساق حينئذٍ .

وسميت عضوًا مشاركًا في المجمع الفرنسي للنقائش والفنون الجميلة (Inscriptions et Belles Lettres)[84] منذ سنة 1939[85] ، وكذا في المعهد المصري

---

77) بـ : لأول .

*) لا توجد في نص بـ .

78) بـ : وخاصة التونسي .

79) بـ : 1915 ؛ م : 1910 .

80) م : 1925 .

81) بـ : وكذا في المدرسة العليا... ؛ م : وتدريس التاريخ التونسي في المدرسة العليا للغة والآداب العربيّة بتونس .

*) لا يوجد في نص بـ .

82) بـ : الجزائرية .

83) بـ : بنفسي سنة 1960 .

84) لا توجد الترجمة في نص بـ . أما م : فلقد ترجمتها بـ«مجمع الآداب والكتاب الفرنسي» .

85) م : منذ 1914 .

(Institut d'Egypte) ، وعضوا مراسلا للمعهد التاريخي الإسباني* في مادريد* منذ أربعين عاما - وعضوًا في كل من المجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه[86] وكذا في المجمع العلمي العراقي في بغداد ، وغير ذلك.

وأما[87] اسفاري : فالى جميع القارة الأوروبية بإدخال البلاد الروسية حيث دعيت من مجمعها العلمي ، فزرت - علاوة على[88] موسكو وضواحيها - جمهورية الازبكستان : (تاشقند - وهي بلاد الشاس قديمًا - (وسمر قند) حيث ضريح الصحابي الفاتح (قثم بن العبّاس بن عبد المطلب) إبن عمّ الرسول ، و(بخارى) حيث ضريح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري) - وفيما عدا ذلك كنت[89] تجولت في ممالك الشرق الادنى وفي[90] سائر اقطار أروبا شرقا[91] وغربا وجنوبا وشمالا - كما أني[92] طفت في جميع اقطار شمال إفريقية من المحيط الأطلنطي إلى السويس.

وحججت ثلاث حجّات أولها في[93] سنة 1935 ، وتعرفت مليا بالملك المرحوم عبد العزيز آل سعود ، وقد أنابتني في الحجّة[94] الثانية الدولة التونسية لتقديم رسالة من الباي أحمد الثاني مع أوسمة مرصعة بالحجارة الكريمة ، وهدايا أهلية معتبرة ، فقبلني بحفاوة زائدة وأقمت ضيفًا على السعودية واستفدت من محادثات الملك بكثير من أخباره وقيامه بالدعوة لأسرته وفتوحه وتوحيده للمملكة العربية الشمالية ، وكانت حجّتي الأخيرة في خلال سنة 1950 وأنا رئيسًا[95] للأوقاف.

وفي أثناء إحدى تلك الحجج[96] تعرفت بالمستعرب الأنكليزي المسلماني (عبد الله فيلبي)[97]* الذي كان في الظاهر نائبا لبعض شركات السيارات وفي الباطن يخدم مصالح بلاده. ومن الغريب أن الملك عبد العزيز كان مطلعًا في نفس الواقع على ما يقوم به المستعرب من الإستعلامات الخفية ويجيز ذلك إذ ليس لدولته - كما كان

---

*) لا توجد في نص ب.

86) م : التأسيسي ؛ ولم تذكر عضويته في المجمع العراقي.

87) ب : أما.

88) ب : عن.

89) ب : ذلك تجولت.

90) ب : في.

91) ب : جنوبًا وشمالاً وشرقًا وغربًا.

92) ب : كما طفت.

93) ب : أولها سنة.

94) ب : المرة.

95) ب : رئيس للأوقاف في تونس.

96) ب : الحجات.

97) ب : جاء الإسم مرسومًا بالأحرف الأعجمية.

يقول – ما تخفي عن الأنظار والمسامع * ، ولا أنسى أن[98] مستر فيلبي أفادني كثيرًا عن جولته العلمية في (الربع الخالي والأحقاف) من الجزيرة العربية[99].

وإني لأعتذر كثيرًا إذ أني أطلت في ذكر حياتي وملابساتها ، وما هي في الحقيقة بأحسن من غيرها.

لكنّ البلاد إذا اقشعرّت وصوّح نبتها رعي الهشيم

ويعلم الله كم يخجلني أن أكون مثل بعض الأحباب – وهو الآن من الأموات[100] – إذ كان يكتب على «ورقة زيارته» أسماء كل [101] الجمعيات التي كان مشتركا فيها ، ويرسم بأخر البطاقة (أنظر محوّله) لأن وجه البطاقة غير كاف لاحتواء جميع الجمعيات والمؤسسات التي هو عضو فيها . ولو أردت إحصاء الذوات البارزة وأعيان أحبابي في الشرق والغرب للزمني دفتر خاص ذو صفحات عديدة ، وفيما ذكرت كفاية – بل ربما كان من التطويل المملّ.

وما أنزّه نفسي فإن النفس أمّارة بالسوء ، وإلى الله سبحانه أضرع أن يتغمّدني برحمة منه ، وان يستر عيوبي ما ظهر منها وما بطن ، بفضله تعالى وكرمه.

---

*) لا توجد في نص بـ.

98) بـ : أنه كان أفادني.

99) بـ : الجزيرة العربية تلك الجولة التي قطع معظمها (كذا) في سيارة وعلى الجمال وقد أدرج فيها كتابا مفيدًا ، هو عمدة الباحثين عن خفايا الجزيرة وجهاتها المجهولة.

100) بـ : كان.

101) بـ : أسماء الجمعيات.

*) جاءت هذه الفقرة في حاشية (1) وقد وضعها الفقيد للتعليق على كل كلامه السابق وقد رأينا من المفيد إدراجها في النص العام ولمقارنتها بنص بـ. ونحن لا نعلم إن كان ناسخ نص بـ قد نقلها من الحاشية إلى النص العام.

*) لا توجد في نص بـ.

مؤلفات باللغة العربية[102]

«بساط العقيق ، في حضارة القيروان وشاعرها إبن رشيق» طبع تونس 1912.
«المنتخب المدرسي من الأدب التونسي»[103] ط . أولى 1908. بتونس ، وثانية في المطبعة الأميرية المصرية[104] 1944.
«خلاصة تاريخ تونس» ط . أولى : تونس 1918 – وثانية وثالثة بتونس 1953.
«الإرشاد إلى قواعد الإقتصاد» طبع تونس 1919.
«شهيرات التونسيات» – طبع تونس أولى 1934 – وثانية بتونس 1966.
«ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية[105] (جزء أول ط . تونس 1965.
«ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية» (جزء ثان) ط . تونس 1966.
«الإمام المازري» (ترجمة حياته مع بحث عن تسلسل السند العلمي بتونس من لدن الفتح العربي)[106] 1955.

نشريات محقّقة

«رسائل الإنتقاد» (مقامات في النقد الأدبي) لمحمد بن شرف القيروان ط . دمشق 1912.
«ملقى السبيل» (في الوعظ والحكم) لأبي العلاء المعرّي ط . دمشق 1912.
«أعمال الأعلام» (قسم تاريخ إفريقية وصقلية) لإبن الخطيب الأندلسي[107] – مهرجان ميكالي أماري – بلرمو بصقلية[108] 1910.

---

102) م : لم تذكر تاريخ نشرها ولا مكانه.
103) ذكر في المرتبة الثالثة من نص بـ وكذا في م.
104) بـ : العصرية.
105) ذكر بعد ترجمة الإمام المازري في نص بـ ؛ ولم يذكر في م الذي لم يذكر ترجمة الإمام المازري.
106) بـ : منذ الفتح....
*) لا توجد في نص بـ.
107) م : لم يذكر هذا المؤلف وصاحبه.
108) بـ : صقلية.

«وصف إفريقية والأندلس» لإبن فضل الله العمري ط . تونس 1920 .
كتاب «يفعول» (بحث لغوي للصاغاني)(109) ط . تونس 1924 .
«التبصّر بالتجارة» للجاحظ ، ط .(110) بدمشق 1933 ، وثانية بمصر 1935 ، وثالثة ببيروت 1966 .
«الجمانة في إزالة الرطانة»(111) (في لهجتي(112) الأندلس وتونس) لمجهول ، ط . المعهد العلمي بمصر .
«رحلة التجاني»(113) (في البلاد التونسية وطرابلس سنة 707) لعبد الله التجاني ط . تونس 1958 .
«آداب المعلمين» مما دوّن محمد بن سحنون عن أبيه ط . تونس 1350(114) 1934 .

مصنفات وأبحاث باللغة الفرنسية(115)

— *«La domination musulmane en Sicile»*, Tunis: 1905[116]
— *«Les apports ethniques étrangers en Tunisie»*, Tunis 1918.
— *«Le développement*[117] *de la musique arabe» (en Orient, au Maghreb et en Espagne)*[118], Tunis 1918.

---

109) م : تذكره بعد التبصرة بالتجارة للجاحظ .
110) بـ : ط . أول بدمشق .
111) م : يذكر هذا المؤلف بتاتًا .
112) بـ : في اللهجة الأندلسية والتونسية .
113) بـ : قدمت في الترتيب على آداب المعلمين لسحنون .
*) لا توجد في نص بـ.
114) بـ : 1934 (1350) .
115) جاءت كلها بالعربية في نص بـ وباللغتين في نص م والغالب على الظن أن ح. ح. عبد الوهاب . قد وضع العناوين باللغتين . فنقلها نص م كما وضعها واكتفى ناسخ نص بـ بعناوينها العربية . ومن المفيد أن نقارن بين ترجمي بـ وم كلما دعت الحاجة إلى ذلك .
116) بـ : الإستيلاء الإسلامي على صقلية .
م : الإستيلاء على صقلية .
117) بـ : تقدم؛ م : تطور.
118) م : En Tunisie وجاءت في نص بـ «الأندلس».

— *«Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne»*, Tunis 1932.
— *«Un tournant de l'histoire aghlabite» (insurrection de Tombodhi)*, Tunis: 1937[119].
— *«Deux dinars normands frappés à Mahdia»*[120].
— *«Villes arabes disparues de la Tunisie» (Mémorial W. Marçais)*.
— *«La région des steppes tunisiennes» (Gammouda) au Moyen Âge*, Tunis.
— *«Hommage à la mémoire de W. Marçais*, Tunis: 1955[121].
— *«Le régime foncier en Sicile au Moyen Âge»*, (IXe et Xe s.), Paris.

* هذا عدا ما نشر من الفصول في «دائرة المعارف الإسلامية» بالفرنسية. وكذا من الأبحاث في المجلات العلمية والأدبية في المغرب والمشرق وفي أروبا* .

119) م: لا تذكر هذا المؤلف.
120) بـ: بحث عن دينارين نرمانيين ضربا بالمهدية. م: لم تذكره بتاتا.
ه) لا توجد في نص بـ الذي جاء فيه «ط باريس» دون ذكر تاريخ.
121) بـ: لا تذكر تاريخه. أما «م» فإنه لا تذكره بتاتا.
ه) لا يوجد في نص بـ. ولا م.

(٢)

مؤلفات باللغة العربية

"بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق" طبع تونس ١٩١٢

"المنتخب المدرسي من الأدب التونسي" ط أولى ١٩٠٨ بتونس، وثانية في المطبعة الاميرية المصرية ١٩٤٤

"خلاصة تاريخ تونس" - ط أولى: تونس ١٩١٨ - وثانية ١٩٣٠ - وثالثة بتونس ١٩٥٣

"الارشاد الى قواعد الاقتصاد" ط. تونس ١٩١٩

"شهيرات التونسيات" - ط تونس أولى ١٩٣٤ - وثانية بتونس ١٩٦٦

"ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (جزء أول) ط تونس ١٩٦٥

" " " " (جزء ثان) " " ١٩٦٦

"الإمام المازري" (ترجمة حياته مع بحث عن تسلسل المذهب العلمي بتونس من قرن الفتح العربي) ١٩٥٥

نشريات محققة

"رسائل الانتقاد (مقامات في النقد الادبي) لمحمد بن شرف القيرواني ط دمشق ١٩١٢

"ملقى السبيل" (في الوعظ والحكم) لابي العلاء المعري " " "

"أعمال الاعلام" (قسم تاريخ افريقية وصقلية) لابن الخطيب الاندلسي - مهرجان ميكائيل أماري' بلرمو بصقلية ١٩١٠

"وصف افريقية والاندلس" لابن فضل الله العمري ط. تونس ١٩٢٠

"كتاب يفعول" (بحث لغوي) للصاغاني " " ١٩٢٤

"التبصر بالتجارة" للجاحظ، ط بدمشق ١٩٣٢، وثانية بمصر ١٩٣٥، وثالثة ببيروت ١٩٦٦

"الجمانة في إزالة الرطانة" (في لهجتي الاندلس وتونس) لمجهول' ط المعهد العلمي بمصر

"رحلة التجاني" (الى البلاد التونسية وطرابلس ٧٠٧هـ) لعبد الله التجاني ط. تونس ١٩٥٨

"آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون عن ابيه " " ١٣٥٠ (١٩٣٤)

مصنفات وأبحاث باللغة الفرنسية

- "La domination Musulmane en Sicile" - Tunis : 1905
- "Les Apports Ethniques étrangers en Tunisie" " 1917
- "Le développement de la Musique arabe" (en Orient, au Maghreb et en Espagne) Tunis [illegible]
- "Un témoin de la Conquête arabe de l'Espagne" - Tunis 193[illegible]
- "Un tournant de l'histoire aghlabite" (insurrection de Tomboδhi) Tunis 1937
- "Deux dinars normands frappés à Mahdia" " [illegible]
- "Villes arabes disparues de la Tunisie" (Mémorial W. Marçais)

الفصاحة وقضايا وضع المصطلحات اللغوية

جاء في جريدة «بلادي» التونسية ص 14 بتاريخ 25 سبتمبر إلى 1 أكتوبر 1978 بركن «أسأل الشاناب تلق الجواب»[1] ما يلي :

– الصادق العبيدي – فرنكفورت : عندي توه عام ونصف في المانيا نسيت الكلام بالعربي الكل ، وكيف يكلّمني واحد بالعربي ما نفهموش وما نجمش نجاوبو ، وقاعد نخمم كيف نروح للبلاد كيفاش باش نتكلم مع أمي وبابا واخوتي وأنا حاير دبر علي ، وزيد زيادة حتى الالمان كيف نكلمهم ما يفهمونيش.

– الحل ساهل ، كيف تروح للبلاد ، جيب معاك مترجمين واحد يدقز باش يفهمك اش تحب تقول ، وهو يقولو للمترجم اللي يفهم اللغة الالمانية ، وهذا يترجمو لواحد يعرف الالمانية والفرنساوية وهذا يقولو لواحد يعرف الفرنسية والعربية وهذا يقول لأمك ولبوك اش تحب تقول».

ولقائل ان يقول ما محل هذا النص من الإعراب؟ فيكفي أن نقول إن حال طالب علم اللغة العربي لا تختلف عن حال هذا العامل المهاجر العربي من تونس الذي فرط في الأصل والفرع وأصبح لا يدرك من الموضوع شيئًا حتى أصبح ينشد حلاً عند

1) ركن فكاهي تهكمي يرمي إلى النقد الإجتماعي يعتمد على شخصية أدبية شعبية وهو «شاناب» أي صاب «الشارب الطويل».

المترجمين وفي الترجمة وهي فتنة. ولعل في هذا مبالغة إلا أن جوهر الموضوع يدل على أن توافر النظريات اللغوية وما أنشأته من مصطلحات قد أدخل علينا غيرة أذهبت منا الشيرة، وأصبحت هذه المصطلحات تكون مشكلاً قائم الذات، عوضًا عن أن تكون مساعدًا يقربنا من هذا العلم الدخيل علينا والذي يجد فيه الطالب والمختص بعض محنة سنسعى الى التنبيه اليها في هذه الكلمة الوجيزة التي ستنظر الى المصطلح اللغوي باعتبار جميع فروع علم اللسانيات وفي مختلف مراحلها حسب الإمكان دون التلصق بمرحلة أو بنظرية دون أخرى سواء للتفنن أو التشدق.

وتظهر لنا أهمية القضية فيمَا استوجبته من عناية، الأمر الذي يدعونا إلى أن ننزل المشكل منزلته التاريخية لندرك متى وكيف أهتم به العرب المحدثون من اللغويين وغيرهم. إن الاهتمام بالموضوع يعود حسب رأينا الى عشرين سنة مضت، وهي تدل على تأخرنا في العناية بالموضوع، إن اعتبرنا أن أول معجم للمصطلحات اللغوية قد صدر بلندن سنة 1911[2]. وتعاقبت المعاجم في المصطلح اللغوي وتنوعت وتجددت إلى السنوات الأخيرة[3] – ولقد تجسم اَهتمام العرب بالموضوع في مظهرين: أولهما يخص وضع معاجم عربية مكتملة لمصطلحات اللغة وثانيهما ينحصر في ضبط قائمات من المصطلحات التفسيرية كثيرًا ما تكون ذيولاً للمؤلفات في علم اللسانيات الحديث.

فلقد بادر مجمع اللغة العربية منذ 1962 بوضع المصطلحات اللغوية العصرية[4] بايعاز من عضوه اللغوي إبراهيم أنيس، وذلك بغية وضع معجم عربي في المصطلح اللغوي على غرار ما يوجد في اللغات العصرية الأخرى. ولقد أردفنا هذا العمل بمعجمنا المخصص للمصطلحات اللغوية العربية الحديثة[5]. وهو يحوي 1200

---

2) انظر John Murray, *Report of the joint committee on grammatical terminology*, London 1911

3) انظر: A) — J. Marouzeau, *Lexique de la terminologie linguistique*, 3è éd., Paris 1961
B) — J. Dubois et autres, *dictionnaire de linguistique*, Paris 1973

4) مجمع اللغة العربية: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، ج 3/137–143؛ 4/91–96؛ 6/51–60؛ 7/85–100؛ 8/35–47؛ 9/101–115؛ 10/127–141.

5) رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، ج 14/1977.
وألحق بالمعجم العربي الأعجمي معجمان: معجم أعجمي عربي ومعجم مختار وسيتواصل عملنا في الجمع والاستقراء حتى نلم بكل المصطلحات الموضوعية وبفروع علوم اللغة.

مصطلحًا يشمل مصطلحات مجمع اللغة وغيره من اللغويين. أمّا فيمَا يتعلق بقائمات المصطلحات اللغوية سواء بتجديد معاني ما كان قديمًا منها ، أو بالتوفيق بين القديم والحديث ، أو بوضع الجديد منها ، فان استقراءنا يفيد أن أول من اعتنى بالقضية هو المرحوم محمود السعران وذلك منذ سنة 1958[6] . فوضع قائمة من المصطلحات العربية لمقابلاتها الانكليزية متوخيًا في ذلك التجديد والابتعاد عن المصطلحات القديمة. وذلك عكس ما فعله يوسف السودا[7] عندما سعى إلى تجديد المصطلح اللغوي الحديث ، وإن كان لا يمت إلا قليلاً إلى علم اللسانيات الحديث في ٱختصاصاته المختصة. ولقد تلا هاتين الخطوتين رشاد الحمزاوي وعبد المجيد عطية بمشاركتهما في ترجمة مصطلحات مؤلف[8] اللغوي الفرنسي (Martinet) . ولقد عمت العناية بالموضوع إذ خصصت له قائمات في ترجمة صالح القرمادي لمؤلف كنتينو[9] وفي ما كتبه حمادي صمود[10] وعبد السلام المسدي[11] . ولا شك أننا لا ننسى ما جاء من هذه المصطلحات من المؤلفات اللغوية العربية الحديثة ، ولم توضع فيها قائمات. وذلك شأن ما ألفه حسان تمام[12] الذي يعتبر من الأولين الذين عانوا قضية المصطلح اللغوي والذين يعود لهم الفضل في مجابهة هذا المارد وترويضه ودمجه في العربية بنية ومفهوما.

ويبدو أن المصطلحات اللغوية المتوافرة حاليًا في العربية هي من نصيب علم الأصوات باعتبار ٱستقرار مبادىء ومصطلحات هذا العلم نهائيًا ونظرًا لما وجده في التراث العربي من مصطلحات تؤدي مفاهيمه في جلها. وتظهر المشاكل والاضطرابات وكذلك الثغرات والنقص فيمَا جدّ من فروع جديدة في علم اللسانيّات التي لم يكن للعربية بها من عهد سواء في مستوى النظريات والتطبيق لها ممّا يدعونا إلى ٱعتبار مشاكل وضع المصطلحات تتجسم أولاً وبالذات في نقلها إلى العربية دالاً

6) محمود السعران : اللغة والمجتمع رأي ومنهج ، القاهرة 1958 ، انظر ص 184–193.
7) يوسف السودا : الأحرفية ، بيروت 1960 ، ص 19–22. وهو يعتمد كثيرًا على آراء أنيس فريحة.
8) رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ، ص 12.
9) صالح القرمادي : دروس في أصوات العربية ، تونس 1968.
10) حمادي صمود : معجم لمصطلحات النقد الحديث ، حوليات الجامعة التونسية ، ج 125/15–159.
11) عبد السلام المسدي : الأسلوب والأسلوبية... ، تونس 1977 ، ص 125–233.
12) حسان تمام : مناهج البحث في اللغة ، القاهرة 1955.

ومدلولاً[13]. وذلك يعني أن هذه المشاكل ناشئة عن الاختلافات الخارجية عن الترجمة والتي نعتبرها من الأسباب التي أثرت تأثيرًا مهمًا على وضع المصطلحات. فمن ذلك :

1 – تكرار الاختلافات القديمة في المصطلحات الحديثة[14]. مثل الخلط بين

* الحلق والحنجرة للتعبير عن larynx.
* الانف – داخل الأنف – المنخر للتعبير عن Les fosses nasales.
* الصوت الصامت والصوت الساكن للتعبير عن consonne.
* الحركة وصوت اللين للتعبير عن voyelle.

2 – الاختلافات الناتجة عن مفهوم معروف لم يعتن به اعتناء خاصا[15] حتى لا يردف بغيره.

* الصوت المركب – الحركة المزدوجة مقابلان لـ diphtongue.
* الزيادة – الاضافة – مقابلان لـ affixe.
* الصدر – السابقة – الكاسعة لـ préfixe.
* المتكلم – المستمع – الباث – المتقبل – المرسل اليه auditeur, locuteur.
* اللغة واللسان – اللغة والكلام – langue et parole.

3 – الاختلافات الناشئة عن نزعتي المؤالفة والتجديد[16] :

* الميل – الانزياح – التجاوز – اللحنة ecart stylistique.
* الادغام – التماثل – المشابهة لـ assimilation.
* التباين – التغاير dissimilation.
* التضمين – التداخل لـ enchassement.

13) نعتبر أن من مشاكل وضع المصطلحات، انعدام المعاجم المختصة بها كما أسلفنا الحديث في ذلك.

14) نجد هذا في ترجمة القرمادي ومؤلف إبراهيم أنيس والطيب الكبوش وكثير من اللغويين.

15) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية...، ص 45، 94، 74، 85، 115، الخ؛ صمود : معجم...، ص 141.

16) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية، ص 81؛ المسدي : الأسلوب...، ص 214؛ صمود : معجم...، ص 152.

* العقد والحل – التركيب والتفكيك لـ encoding — décodage.

4 – الاختلافات الناشئة عن اللغات المترجم منها[17] :

* ارتكاز stress
* ارتكاز ثانوي secondary stress
* ارتكاز الجملة sentence stress
* النبر أو النبرة accent
* نبر الكلمة accent de mot
* نبر الجملة accent de phrase

} وهي تفيد نفس المعنى[18]

ولا شك أن الترجمة عن الانكليزية لا تناسب اطلاقا التراث اللغوي العربي الذي حافظت عليه الترجمة الثانية فلم تعتمد القطيعة.

5 – الاختلافات الناتجة عن السياقات التي تبين أن معاني المصطلحات الحديثة تتكيف بحسب توزيعاتها وذلك شأن لم يؤخذ دائمًا بعين الاعتبار[19] :

* الوحدة الصوتية – عوامل صيغة لـ morphème(s).
* ثابت – حال الثبات – سنكروني – مستقر
* حال الاستقرار – أفقي – المتزامن – الآني

} synchroniqué.

6 – الاختلافات الناتجة عن محاولات تقريب المصطلح من «الذوق العربي» والنقل المباشر له[20] :

* محور الاختيار
* العلاقات الاستبدالية
* مناسبات التعويض

} لِـ rapports paradigmatiques.

* محور التوزيع
* العلاقات الركنية
* مناسبات السياق

} لِـ rapports syntagmatiques.

17) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ، ص 72 و174 – 176.

18) Marouzeau = dictionnaire ، ص 7.

19) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ، ص 132 ، 173 ، 190 الخ ...

20) صمود : معجم ... ، ص 142 ، 143 ؛ المسدي : الأسلوب ... ، ص 231.

7 – الاختلافات الناتجة عن نوعي التعريب والترجمة[21] لأسباب مرحلية.

* الفونيم – الصوتم – الصوت اللغوي لـ phonème.
* السيمية – علم الدلالات لِـ semantique.
* السيمولوجيا – علم العلامات لـ semiologie.

8 – الخروج عن المتعارف ولو كان مقررًا ثابتًا[22].

* التعارف لـ synonymie.
* التلاصق لـ contiguïté.

والمصطلحان العربيان مقرران عند اللغويين والبلاغيين العرب وهما الترادف والمجاورة

9– تحويل المصطلح من مفهوم حديث الى مفهوم حديث آخر[23].

* الالسنية لـ dialectologie.
* وعلم الالسنية لـ linguistique.
* الالسني dialectologue ثم لـ linguiste.

والملاحظ عامة أن هذه الأسباب الخارجية ظلت تتأرجح بين التقليد والتوفيق دون أن تستحيل الى قطيعة مثلما هو الشأن في اللغات الاوربية المنقول عنها. وتزداد القضية تشعبًا عندما ننظر إلى الأساليب الفنية التي ترجمت بها هذه المصطلحات وبعبارة أخرى فنيات الترجمة التي اعتمدت لنقلها الى العربية. ولا بد أن نشير في هذا الصدد إلى أن كل الترجمات لا تعي فنياتها وعيًا عمليا مركزًا لأنه لا توجد مؤلفات في علم الترجمة مثلما هو الشأن في الانكليزية[24] أو الفرنسية إلا إذا آستثنينا مؤلفا واحدًا[25] لا يعتمد على قوانين ونظريات تقود الى قواعد ثابتة.

---

21) الحمزاوي: المصطلحات اللغوية، ص 443؛ المسدي: الأسلوب...، ص 229؛ السعران: اللغة...، ص 78.

22) صمود: معجم...، ص142.

23) القرمادي: دروس...، ص 210.

24) Eugene Nida, *towards a science of translation*, Brill 1964

25) **Shawkat** (M) and Amin (Nagib), *The art of translation* (115 p. en Anglais 56p. en Arabe)

ولنا أن ننبه أن قضية الترجمة تضع قضية المعنى أي مشكلة التطابق بين المصطلح اللغوي والواقع كذلك مشكلة المترادف الكوني الذي يفترض وجوبًا أن لكل مصطلح في لغة ما ، مرادف في لغة أخرى. وذلك من أعوص المشاكل التي لم يقر لها قرار لأن الترجمة من لغة الى أخرى تفرض اعتبار ثقافة كل لغة وما يحيط بها من تضمينات لا تقر التلاصق والنسخ. وهذه آعتبارات نرجو عدم الاهتمام بها هنا بقدر ما سنهتم بالتقنيات العملية التي خضعت لها المترجمات اللغوية العربية المعاصرة.

فلقد لاحظنا أن هذه الترجمات تعتمد :

1 – الترجمة المباشرة. وهي الغالبة – وهي تعني النقل من لغة مترجم منها إلى لغة مترجم إليها سواء لتوافق بنيوي أو آصطلاحي مثلما هو الشأن بين اللغات الهند وأوروبية ، بل إن ذلك التوافق معدوم مع العربية وهو ناتج غالبًا عن ثغرات وفراغات توجد في اللغة المترجم اليها. فينتج عن ذلك تشويش في مستوى المعجم والسيمية من ذلك[26]

* الصوت المنطوق : allophone صوت انتقالي : son transitoire.
* صوت هابط son descendant.
* الانزياح – التركيب ecart — encodage.
* وظيفة انضمامية fonction intégrative وظيفة مرجعية : fonction référentielle.

أ) وتشمل الترجمة المباشرة الاستعارة (التعريب) :

تدل على فراغ آصطلاحي ناتج عن مفاهيم جديدة لا يكمن للغة المترجم إليها أن تعبر عنها تعبيرًا يؤدي تلك المفاهيم في فترة معينة[27]

* السيمانتيمات sémentemes.
* السيميولوجيا sémiologie.

ب) النسخ : وهو نوع من الاستعارة الخاصة وذلك بأن نأخذ العبارة من اللغة المترجم عنها وتترجم ترجمة مباشرة تستوجب إدخال آستعمال جديد يبدو غريبًا[28].

26) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ، ص 108 ؛ المسدي : الأسلوب... ، ص 214 ؛ صمود : معجم ، ص 158.

27) نفس المرجع ، ص 70 ، 80 ، 125 ، 144 ، 146.

28) صمود : معجم... ، ص 157–158 ؛ المسدي : الاسلوب... ، ص 189.

* أدب أبيض littérature blanche.
* الدرجة الصفر: degré zéro.
* الوقع اللذيذ: effet heureux.

ج) التضخيم بالمعنى الفيزيائي وهو الحال الذي تستعمل فيه اللغة المترجم إليها كلمات أكثر من كلمات اللغة المترجم منها[29].

* الصوت المركب diphtongue.
* علم المنطق الصوري logique formelle.
* علم المنطق العام: logique générale.

د) التحشية وهي تقرب من التضخيم مع زيادة في الألفاظ من ذلك[30]

* علم الأصوات اللغوية: phonétique.

2 – الترجمة الجانبية خلافا للترجمة المباشرة وهي تحتوي على:

1) التكافؤ: وهو التعبير عن مصطلح اللغة الأصل مع اعتماد تعبير مختلف عن ذلك[31]

* إشباع الحركات: allongement vocalique.
* إشباع الاعتماد: sonorité.
* أشباه أصوات اللين: semi-voyelles.

ب) المؤالفة: وهي اعتماد مقابل خاص من لغة ما لتأدية معنى خاص بلغة أخرى[32].

* مصدر: infinitif.
* صدر: préfixe.
* صوت مكسور: voyelle, non arrondie.

---

29) المسدي: الأسلوب ... ، ص 212 ، 214.

30) الحمزاوي: المصطلحات اللغوية ... ، ص 128.

31) نفس المرجع ، ص 80 – 81.

32) نفس المرجع ، ص 85 ، 103.

ج) التحوير : وهو يفيد التجديد والقطيعة بين المفاهيم القديمة والحديثة . فهو لا يستمد مصطلحاته من المعاجم المقررة بل هو من وضع المترجمين لتأدية مفاهيم جديدة . وهذا كثير في المصطلحات العربية الحديثة[33] .

* محور الاختيار لـ axe de séléction.
* علم العلامات لـ sémiologie.
* علاقات ركنية لـ rapports syntagmatiques .
* التداخل التبعي لـ composition par subordination.
* تماثل تخلفي لـ assimilation régressive.
* تباعد لـ distorsion.
* النظم enfilage.

ولما كانت هذه التقنيات تعتمد في جلها على الترجمة المباشرة والترجمة الجانبية ، فانها تخلو من الترجمة بحسب التكثيف (بأقل كلمات) والترجمة بالتجريد أو الاقتصاد والترجمة بالاسقاط الخ . ولا يمكن لهذه الطرق أن تتوافر إلّا إذا استقلت اللغة المترجم اليها بنظرياتها وأصبح لها من الزاد الاصطلاحي الذي يوفر لها التكثيف والتجريد والإسقاط . فالعلم الذي نخوض فيه منسوخ وليس مستوعبًا ؛ ولذلك فإن التشويش الطارئ على المصطلحات وفصاحتها يبدو طبيعيًا لأننا نستهلك منه بحسب ما يعرض علينا وباعتبار مناهج طلبنا منه . فهل يعني ذلك حكمًا على هذه المصطلحات؟ ذلك ليس هدفنا هنا لأننا أردنا أن نصف أحوالها وأنواعها وفتنتها دون الدخول في قضية معايير توحيدها التي يحتاج إلى دراسة أخرى تستوجبها ظروف أخرى .

---

33) المسدي : الأسلوب ... ، ص 229 ، 231 ، الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ، ص 58 ، صمود : معجم ... ، ص 152 ، 153 .

الفصاحة وتوحيد المصطلحات
أو
مذهبية الدعوة إلى توحيد الثقافة العربية وترقيتها

ان وضع هذه القضية على بساط البحث يفترض أولاً شعور الاختصاصيين العرب من لغويين وعلميين بأزمة تتلخص في أن المصطلحات العربية الحديثة في شتى العلوم متنوعةٌ متخالفةٌ ، فيها من الاضطراب والتناقض ما يؤول إلى الفوضى المعجمية التي يمكن أن يكون لها أثرٌ على تنظيم علومنا الناشئة وعلى تربيتنا المتعثرة ومنها على تفكيرنا العلمي ان أخذنا برأي فيه نظر يقول : «إن العلم لغةٌ محكمةُ البناء»[1].

والملاحظ أن شعورنا بالفوضى كثيرًا ما ينحصر في إحساس عام بتلك الفوضى استنادًا إلى تناقض بعض المصطلحات التي تأتي شاردة في مقالة أو أخرى. لا شك أن الدعوة إلى التوحيد تبدو في ظاهرها وفي باطنها نزعةً علميةً مستحسنة هدفُها الدقةُ العلميةُ وفصاحة التعبير وسحر البيان ووحدة التفكير والثقافة في الأمة الواحدة. ولا غرابة أيضا في أن تكون الدعوة إلى التوحيد موذة من الموذات الشكليّة التي ترمي من

1) لقد قال ذلك الفيلسوف الفرنسي Condillac وهو من الفلاسفة العقلانيين. فيا حبذا لو كان العلم قضية لغوية بحتة لمنطقنا لغتنا لنفوز بالعلوم كلها.

دون أن نشعر بذلك إلى وضع قضايا خاطئة أساسا فيها من البلبلة ما لا يمت إلى قضية التوحيد بسبب.

إننا نعتبر أن أحسن وسيلة لمعالجة المشكلة تنحصر في وضع القضية في محيطها التاريخي واللغوي لنتمكن من تحليل مظاهرها وأسبابها ولندرك أهميتها كيفًا وكمًا وذلك ما يساعدنا أولاً على إقرار وجود قضية تسمى قضية المصطلحات إذ أنه لا يكفي أن تختلف المصطلحات عن بعضها بعضًا لنثبت أن الفوضى متفشية في معاجمنا واستعمالاتنا الحديثة. **فالتوحيد ليس دائمًا ضروريًا إنْ كان الهدف منه تجميد اللغة والعلوم بترجمة معينة أو بتسمية مفردة دون غيرها. فإن كان ضرورة لأسباب يجب إقرارها فما عسى أن يكون التوحيد؟ وما هي مناهجه؟ وما هي غاياته؟**

وجوابا على ذلك رأينا من المفيد أن نعالج القضية من خلال عينة واضحة تضبط رأينا وتجنبنا الأحكام الاعتباطية لصالح التوحيد أو ضده. فلقد استحسنّا أن نطبق منهجنا على كل ما كتب في مجمع اللغة العربية في هذا الشأن معتبرين في ذلك العامل الزمني الذي يساعدنا على تتبع تطور القضية عند المجمعيين مثلا. ولا شك أن هذه الطريقة لا تدعو إلى الحصر والاستقصاء بقدر ما تؤكد على ارساء مبدإ مفاده أن الحكم في القضايا الهامة من هذا النوع مستحيل ما لم يعتمد النصوص إذ أنه يصبح ضربًا من ضروبْ التعسف الإيديولوجية وما لم يستند إلى أمثلة تطبيقية واضحة.

1 – المحاولات الداعية إلى التوحيد: وصف وتقييم

ان القضية قد طرحت بمجمع اللغة منذ نشأته وطرقت في مقالات وبحوث عدة لا نهتم إلا بما وضع منها المسألة وضعًا صريحًا. ولذلك فإننا نعتبر أن البحوث التي عالجت قضية توحيد المصطلحات لا تتجاوز العشرة، إن استثنينا مقالات الأمير مصطفى الشهابي المنشورة في كتبه المختلفة. فلقد اشتد الاهتمام بها خاصة من 1955 إلى 1961 فيكون المجمع قد خصص معدل مقالتين سنويًا للموضوع. ولقد سبق له أن اهتم بالقضية في دورته الأولى. فهل يعني هذا أن حرصه الشديد على اثارتها دليل على أن القضية قد تشعبت حتى أصبحت تنبيء بالخطر؟ ذلك ما لا يبدو بعيدًا عن الواقع.

ان أول من نبه إلى هذه القضية في المجمع هو المستشرق الايطالي نلينو وذلك في

الجلسة الحادية عشرة من الدورة الأولى للمجمع[2]. ولقد أيده في ذلك علي الجارم[3] مما أدى المجمع إلى اتخاذ قرارين في الموضوع[4]:

1 – الاصطلاحات العلمية والفنية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى.

2 – في شؤون الحياة العامة يختار اللفظ الخاص للمعنى الخاص فإذا لم يكن هناك لفظ خاص أوتي بالعام ويخصص بالوصف أو الاضافة.

ولقد أردف المجمع القرارين السابقين بقرار ثالث يتعلق بالتعريب صدر في الجلسة الثالثة والثلاثين من الدورة الأولى وهو ينص:

«ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطق بها العرب»[5].

ولا شك ان لهذا القرار صلة بالتوحيد إذ ان اختلافاتنا كثيرة في صور نقل تلك المعربات.

ان هذه القرارات الثلاثة الأولى والأخيرة من نوعها تدل على أن المجمع قد تنبه إلى القضية كما تدل على أنها غير كافية لأن القضية قد وضعت من جديد واعتنى بها مجمعيون مختلفو الثقافة يهمنا أن نعرف آراءهم فيها ولو ملخصة لعلّنا نستخلص منها ملاحظات عامةً للإنطلاق بالقضية من جديد. فلقد رأى الشيخ رضا الشبيبي[6] ان تعدد المصطلحات ناشئٌ عن المنافسة القائمة بين التركية والفارسية والعربية لا سيّمَا في المصطلحات العسكرية، ومصطلحات الأشغال والفنون والمدارس والمالية الخ... من ذلك أن مصر تستعمل «اليماشي، والأومباشي، وحكيمباشي، وباش مهندس، وباش كاتب يقابلها في العراق الرئيس والملازم والعريف وكبير المهندسين وكبير الاطباء ورئيس الكتاب»[7] ويكتفي الشبيبي بالدعوة إلى التوحيد تجنبًا للإشتباه والالتباس.

---

2) مجمع اللغة العربية: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، القاهرة 1963، ص 141.
3) نفس المرجع.
4) نفس المرجع، ص 142.
5) نفس المرجع، ص 85.
6) محمد رضا الشبيبي، توحيد المصطلحات، مجلة مجمع اللغة 8/131– 135.
7) نفس المرجع، ص 133.

أما الشيخ محمد الخضر حسين[8] فانه اهتم بتوحيد المصطلحات الطبية معتمدًا في ذلك مناهج العرب. فهو يدعو إلى تجنب المصطلحات المشتركة، منبها إلى وجود ذلك بكثرة في المعاجم القديمة فيلاحظ «قالوا الذَّرَبُ فساد الجرح وفساد المعدة، والمرض الذي لا يبرأ»[9]. ويتجاوز المجمعي هذا المظهر إلى اختلاف مُؤَلِّفَيْنِ قَدِيمَيْنِ في مصطلحاتهما من ذلك أن ابن سينا يعتبر البَرْسامة والشَوْصَة لفظين مترادفين وغيره يطلق الاسمين على مرضين مختلفين[10].

ولقد كان توحيد مصطلحات الرتب العسكرية موضوع بحث الشيخ عبد القادر المغربي[11] منبها تقريبًا إلى ما نبه إليه رضا الشبيبي مؤكدًا على معارضة الدوائر الرسمية المصرية لتعريب المصطلحات العسكرية على أساس «أن المصطلحات العسكرية المختلفة رمزٌ إلى الادوار التاريخية التي مرّ بها الجيش المصري»[12].

ولقد كان مصطفى الشهابي[13] أول من وضع القضية في إطار أوسع فأرّخ لكل المحاولات العربية الرسمية والفردية من 1919 إلى 1953 ملاحظا «ان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أصبح في البلاد العربية شعورًا عاما. والآراء متضاربة في الوسائل التي يجب التوسل إليها لبلوغ هذه الغاية»[14] ويعود الاضطراب حسبه إلى الخلاف القائم في شأن الطرق العلمية من ذلك أن كلمة (amibe) التي سماها النغاضة والمتمورة، قد سميت المتمورة في معجم الكرملي وأميبة عند غيره الذي يعتبر أن الاسم العربي لا يوافق الذوق اللغوي الذي يُصبح في حد ذاته محلاً للخلاف[15]، مما دعا المجمعي العربي إلى المطالبة بتكوين لجنة تشرف عليها الجامعة العربية وتمولها الدول العربية لوضع «معجم المصطلحات العلمية» أو «المعجم العربي الأعجمي» اللذين يجب أن تنسق مفرداتهما حتى تكونَ موحدة.

---

8) محمد الخضر حسين: طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها، مجلة مجمع اللغة، 8/366–373.

9) نفس المرجع، ص 370.

10) نفس المرجع، ص 373.

11) عبد القادر المغربي: حول المصطلحات العسكرية، مجلة مجمع اللغة 9/167–170.

12) نفس المرجع، ص 167.

13) مصطفى الشهابي: توحيد المصطلحات في البلاد العربية، مجلة مجمع اللغة 11/157–161.

14) نفس المرجع، ص 159.

15) نفس المرجع.

ولا يفوتنا أن نذكر أننا نجد صدًى لهذه الآراء نفْسِها في مؤلفات[16] الشهابي الأخرى التي تزودنا بعينات جديدة ومتنوعة من ذلك مصطلحات النفط التي اختلفا فيها مجمعا القاهرة وبغداد فلقد أورد مثلاً :

catalyst فهي الآز في المجمع الأول والحفاز في الثاني
structure فهي التراكيب في الأول والبنية والبناء في الثاني
anticline الحنيرة في الأول والقبوة في الثاني...[17]

ويشتد الخلاف في المصطلحات الطبية والحرجية ، والعسكرية والعلمية والفنية والهندسية وفي مصطلحات الحشرات والنبات والجيولوجيا والديبلوماسية والسياسة الدولية[18] الخ... وينسَب الشهابي تلك الخلافات إلى عوامل نفسانية ومادية متنوعة المظاهر. من ذلك أن «هذا يعمل تلبية لهوى في نفسه وتعشقًا لهذه اللغة ، وذلك يعمل مدفوعًا بالغرور وحُبّ الظهور ، وثالث للتجارة وما فيها من كسب المال ، ورابع تلبية لرغبات دول أجنبية تريد بث نفوذها بطريق الثقافة وهلم جرا»[19].

عولجت القضية حسب منهج مبدئي جديد اعتمده محمد كامل حسين[20] يدعو فيه إلى «أن يقف المجمع قليلاً ليعيد النظر في القواعد التي سبق أن وضعها والقرارات التي اتخذها لنتبين : هل هذه القواعد كفيلة بتحقيق ما أردناه من خلق لغة علمية قابلة للحياة»[21] ولقد قاده موقفه هذا إلى إعتبار لغة السلف غير صالحة لتأدية العلوم الحديثة وإلى القول بأن مصطلحاتنا لغويةٌ وليست علميةً ممّا يدعو اعتمادَ التعريب أي استعمال الدخيل في المصطلحات العلمية الكلاسيكية الدالة على الأعيان كذلك كل ما يدل على مصطلح يكون جزءا من تصنيف عام وكل مصطلح عام أصبح خاصًا. أما النحت فيجب تجنُّبه وتجنب كلماته مثل شبغروي واحلال كُلُوِيد محلها «لأنها ليست

16) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، الطبعة الثانية دمشق 1965/1383 ، لا سيّمَا في الصفحات 141-147.
17) نفس المرجع ، ص 178.
18) نفس المرجع ، ص 180-188.
19) نفس المرجع ، ص 188.
20) محمد كامل حسين : القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية ، مجلة مجمع اللغة 137/11-142.
21) نفس المرجع ، ص 137.

غَرَوِية ولا شبه غروية في الواقع فنكون قد اخترنا بالنحت كلمة ثقيلة ظنًا أنها أسهل فهما وفي سبيل الوضوح أصبحت خطأ. والكُلُويد من أسماء التصورات العلمية الخاصة التي يصح أن تعرب حتمًا»[22]. ان دعوة المجمعي العربي إلى التعريب تفرض إعادة النظر في قرار المجمع في هذه الطريقة لأن طرق العرب في التعريب التي اعتمدها لا تتصل حَسْبَهُ بعوائدنا الصوتية التي تطورت.

ولقد واصل محمد كامل حسين بحثه في محاولة ثانية تركيبية وضع فيها قضيةَ صلة اللغة بالعلوم[23]. فهو يقسم اللغة إلى قسمين: لغة التفاهم من جهة وهي لغة غيرُ محددة لها صلة وثيقة بلغة الأدب، ولغة الفهم من جهة أخرى وهي واضحة لها صلة متينة بلغة العلم التي تُعْتبر اصطلاحًا يصطلح عليه، ولا يفترض فيها اطلاقًا أن تكون مطابقةً لمعاني الكلمات الأولى، فالأكسيجين الذي يفيد مُكَون الصَّدَأ يمكن أن يسمى بِيُوجِين لو علم في أول الأمر أنه مكون الحياة.

واعتبارًا لما سبق فإنه يفترض في اللفظ العلمي أن يكون لفظًا لا عبارة، وان يستخرج من مفردات اللغات الميتة من دون اعتبار دَلالاتَها الأصلية، وان لا يستسقى من الكتب القديمة التي لا نفع فيها بل يجب اعتماد التعريب والاكثار من التأليف لخلق الأسلوب العربي الحديث.

ولقد نهج أحمد عمّار[24] منهجًا مختلفًا في مظهره العام فاعتبر أن قضية التوحيد مربوطة بوضع مناهج منظمة مصنفة تضمن للعلم بالعربية وحدته الفكرية والثقافية التي تعتبر أهَمَّ من التوحيد الذي يمكن أن يكون مضرًا أحيانًا. ولقد وضع خمسة عشر مبدأ نذكرها بشواهدها وهي:

1 – مضاهاة الأفراد اللفظي بمثله[25]:

aphasia ترجمت باحتباس الكلام، وامتناع النطق، وتعذر النطق، ويحسن ان نترجمها «الصُّمات».

---

22) نفس المرجع، ص 141–142.

23) محمد كامل حسين: اللغة والعلوم، مجلة مجمع اللغة 17/12–29.

24) أحمد عمار: دعوة إلى إلتزام منهجية في صوغ المصطلحات الطبية، البحوث والمحاضرات 1960–1961، ص 45–56.

25) ان جميع المبادي من وضع أحمد عمّار كذلك أغلب الأمثلة التي تعتبر تطبيقًا لها.

2 – افراد المصطلح الواحد بترجمة واحدة وقصُرها عليه :

therapie ترجمت بالمداواة والتطبب والمعالجة والعلاج ويحسن ترجمتها «طُبَاب» .

3 – مقابلة المترادفات بأمثالها :

يعبر عن مرض السل بـ phtésis, consumption, tuberculosis ويمكن أن نقابلها بالدَّرْن والسُلّ والسّحَاف.

4 – مقابلة التعدد اللفظي بمثله :

يجب اعتبار الترجمتين العامية والعلمية – تترجم blackeye بالعين السوداء وبالقضأ.

5 – تجنب الإغراب وكذا الأبتذال في غير ضرورة ملجئة :

sabre shine ترجمت ترجمة غريبة بالطُّنّبوب الطالع ويستحسن أن تترجم بالقَصَبَة الحُسَامية

plain mule ترجمت ترجمة مبتذلة بالعضلة السَّادِلة ويستحسن أن تترجم بالعضلة الغُفْل

6 – توخي وضوح الدلالة وتجنب إبهامها :

sporadic diseases ترجمت بالحالات المنتشرة وهي تعني الإصابة بالمرض على نحو فردي لا جماعي وفي أماكن متباعدة ويحسن أن تترجم بالحالات المتفرقة.

7 – توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم :

crisis-crise ترجمت بالبَحَرَان في علم الأمراض وبالأزمة في الطب الباطني.

8 – مراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي بين المصطلحات :

trophy الواردة في trophic nerve و trophic disturbance و distrophy و atrophy و hypertrophy قد اثبتت مختلفة الترجمة وهي عصب الاغتذاء : حَثَلَ ، سَغَلَ ، ضُمُور ، ضَخَم .

9 – الترخيص في التحليل إذا لم تتوافر صلاحيته للإستعمال الاصطلاحي الحديث :

مثال ترجمة nulli para ترجمت بالمِنْجَاب المبرة (لأن المبرة كثيرة الولد)

10 – التزام التخصيص في الاصطلاح العلمي بإيثار الألفاظ النادرة التداول أو المُحَوَّرَة الصيغ :

periphical nerves ترجمت بالأعصاب المحيطة ويستحسن أن تترجم بالأعصاب الحتّارية .

11 – التوسع إلى أقصى المدى في تطويع اللغة للإشتقاق ما انتفى ضَرَرُهُ بكيانها :

تطبيق مبدأما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

12 – زيادة تطويع الاشتقاق لصوغ المصطلحات العلمية :

تخصيص صيغة فُعَال للأمراض المبداة subjective symptômes مثل صُدَاع ودُوَارَ وَزُحَار

تخصيص صيغة فَعَل للأمراض البادية objective symptômes مثلَ بَرَص وَعَرَجَ وحَدَب .

13 – توخي ما نسميه المحسنات اللفظية – ما تسنت – في صوغ المصطلحات العلمية :

اعتبار التجانس من ذلك أن تترجم typical بطبيق و humid بوميد و technique بتقنية .

14 – قصر التعريب على مقتضيات الضرورة وتوخي الخفة لا الثقل فيه :

تخصيص التعريب في المصطلحات الكيميائية والمخترعات الحديثة.

15 – النحت :

استعماله عند الضرورة بعد ضبط صدوره ولواحقه كما وكيفا ووضع قواعد منتظمة له.

واعتبارا لما سبق من المحاولات فاننا نستطيع أن نستشف من مواقف الداعين إلى التوحيد باعتبار ادراكهم لأسباب الترادف ولطرق معالجته نزعتين تعكسان تصورين لقضية التوحيد التي كثيرًا ما تبدو مربوطة بثقافتهم ومؤهلاتهم العلمية ولذلك فان أصحاب النزعة الأولى يتميزون بما يلي :

– اعتبار أن الترادف والبلبلة في المصطلحات ناتجان عن الازدواجية أو عن تضارب المصطلحات القديمة. انهم لا يُعيرون اهتماما للأسباب اللغوية والاجتماعية والثقافية التي كانت أساسًا لوجود تلك المترادفات مهما كان نوعها.

– معالجة القضية عن طريق الترجمة المحضة كأنهم يرون فيها أحسن طريقة لتوحيد المصطلحات العلمية.

– الاقتناع بأن ترجماتهم من أحسن الترجمات دون اعتبار ترجمات غيرهم[26] ودون النظر في فنيات الترجمة العلمية وشروطها (انظر المقال السابق).

– اعتبار الأصول العربية القديمة دون اعتبار ما فيها من نقائص مما يؤول بهم أحيانًا إلى سلفية لغوية فيها من الخطر على المصطلحات ما يساوي أو يفوق خطر مترادفاتها الحديثة.

والملاحظ أن هذا المنزع ناشيء عن كون أصحابه من أحادي اللغات ومن الباحثين في القديم إذ ليس لهم صلة وثيقة بمعرفة اللغة ولا بالعلوم الحديثة ومشاكلها

26) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية ص 153–154 والخلاف القائم بين الشهابي والكواكبي في الصيغ التي يجب استعمالها لترجمة diaphoretique التي يعبران عنها بمعرق ومعرقة ، كذلك stupéfiant التي ترجماها بـ مخدر ومخدرة.

المتنوعة. فالدعوة تكاد تنحصر عندهم في نوع من البحث الشكلي الذي لا يتعمق في القضايا تعمقًا كافيًا. ولذلك فإنهم يكتفون بإقرار القديم ولا يخوضون في قواعد المجمع مثلاً في هذا الميدان وذلك على ضوء المقارنة بين القاعدة النظرية وتطبيقاتها العملية. فيبدو أنهم يتصورون قواعد العربية متحجرة صالحة ضمنيًا لكل زمان ومكان.

أما أصحاب النزعة الثانية فإنهم قد عزَوا المشكلة إلى ما يلي:

- البون الشاسع بين العلم في اللغات الأوروبية وفي اللغة العربية.
- الخلط بين لغة الآداب والإنسانيات ولغة العلوم.
- دور العوامل الثقافية والنفسانية الشخصية من ذلك معنى الذوق والغرور والتجارة والاستعمار الثقافي الخ...

ولقد رأوا من المفيد أن تعالج القضية كما يلي:

- الاتفاق على منهجية عامة ولو كانت اجبارية تصبح معيارًا يحتذى لمواجهة البلبلة في المصطلحات العلمية.
- اعتماد الترجمة أو التعريب اطلاقًا أو تخصيص ميدان كل واحد منها بحسب العلوم.
- الأعراض عن النحت عامة إلّا عند الضرورة الملحة.
- ترك الكتب القديمة تمامًا أو الأخذ منها بحذر.
- التوحيد لا ينشأ عن الترجمة وغيرها بل عن وجود نظريات علمية عربية تؤيد التأليف وتؤازر الانتاج وتنسق المعارف في نظام عام موحد مثلما هو الشأن في العلوم الأوروبية وغيرها.

والملاحظ عندهم أن المترادفات يمكن أن تكون أحيانًا ضرورية في وصف بعض الأمراض مثلا.

ان هذا المنزع مهم لأنه زودنا بمعلومات جديدة تدل على تطور التفكير العربي تفكيرًا إيجابيًا في شأن مسألة العلم عامة لأن قضية توحيد المصطلحات جزء منها. وهو يفيد أيضًا أن المنهجية أصبحت عند الباحثين العرب أساسا جوهريًا. فلقد وصلوا إلى إرساء طرق مفيدة في جميع الميادين هي على قدر ما توفر للإختصاصيين من جمع بين معرفة لغات كثيرة منها لغتهم والعلوم الحديثة المختصة. **ان تبلور القضية نسبيًا ناشئ عن حل جزئي من الأزمة التي ما زالت قائمة باعتبار مناهجهم الوصفية البحتة والجزئية**

إذ أنها كثيرًا ما تضع معايير لا يمكن أن تطبق على جميع العلوم وفي جميع الحالات. وهذا راجع إلى أنه لم يتوفر لدينا أكثر معطيات القضية المطروحة، وان كان يصعب اطلاقا أن نصل الى الطريقة المثلى التي تساعدنا على حلّ مسألة المصطلحات حلاً حسابيًا.

فما هي المعطيات المطلوبة للوصول إلى مناهج نسبية مفيدة تقلل من المترادفات وتوحد الثقافة التي نريدها عالمية فيها من التفتح على نفسها أولاً ما يضمن لها التفتح على غيرها والدوام في الخلق والابتكار؟

معطيات القضية العامة :

لا بد لنا أن نعالج القضية حسب مواقف نظرية اجمالية عامة. ذلك ما يحتم علينا ألا ننظر إلى توحيد المصطلحات كغاية في حد ذاتها، والا استحالت الدعوة إلى التوحيد إلى تجميد وأصبحت ايديولوجية طاغية تطلق الاحكام الاعتباطية وتقوم عرقلة في وجه كل تجديد. فنظل نجتهد في المذهب دون أن نجدد في العلم ولذلك وجب علينا أن نضع القضية في محيطها العام وما له من صلة بالحالة الاجتماعية اللغوية وبنشر المعرفة على جماهيرنا الشعبية. ولذلك لا بد لنا أن نعتمد ما يلي :

1– الوصف والتقييم : منزلة العلم العربي قديمًا وحديثًا

لقد كثرت المجامع وتعددت المؤتمرات في العالم العربي وتنازعت المؤلفات والآراء. وهو أمر ايجابي يدل على يقضة ساهمت فيها المؤسسات والأفراد مساهمة هامة في تطوير العلم باللغة العربية. لكننا لا نعرف إلى يومنا هذا ما هي وضعية العلم بالعربية وما هي فروعه. إننا نلاحظ في غالب الأحيان أن الكثير منا يكرر دون تجديد أعمالا سَبَقَ أن ساهمت بنجاح في إداء قسط وافر في نشر المعرفة الحديثة الصحيحة كما نلاحظ أن كثيرًا من العلوم الأساسية لم تطرق في العربية ولم تدخل في حسابنا العلمي فضلاً عن العلوم التي ننقلها ونؤلف فيها بعد مدة طويلة تجعلها لا تصلح في العلم ولا في مناهج التربية. إننا نجهل مثلاً ما هي المؤلفات العربية التي وضعت في علم الطب أو في

علم الالسنية وما يُلْحَق بهما من معاجم مختصة[27]. واعتمادا على هذا لا يمكن لنا أن نطلق الحكم في قضيتنا أي قضية توحيد المصطلحات ما دمنا لا نعلم قيمة رصيدنا العلمي. فنحن نحتاج في سبيل الوصول إلى غايتنا إلى **وصف نقدي مفهرس** يضبط مصادر العلم في العربية ومراجعَه في مختلف العلوم وفي صلتها ببعضها بعض كما أننا نحتاج إلى **وضع ابستمولوجيا عربية لتقييم المعرفة في العربية قديمًا وحديثًا** ولربط تلك المعرفة بالظروف الاجتماعية والنظريات العلمية التي كانت أساسا لها.

ان الوصف والتقييم يوحيان إلينا بملاحظتين أولهما ان قضية المرادفات في العربية ناتجة حسب نسب معينة عن نزاع القديم والحديث اللذين لا يمكن لنا أن نفضل منهما الواحد على الآخر دون أن نقارن مقارنة موضوعية واحصائية رصيدينا العلميين الكاملين في القديم والحديث. لا شك أن هذا عمل جبار لكنه واجب على مؤسساتنا وعلمائنا إذ أن العلم على قدر ما نعد له من نظم تضبط صلاته ونقصانه حتى يكون التواصل والوضوح في فروعه ومصطلحاته. ان المواصلة على وضعنا القديم يجعلنا نشعر أننا لسنا من هؤلاء ولا من هؤلاء لا سيّمَا في مستوى المصطلحات وتلك ذبذبة داهية. أما الملاحظة الثانية فإنها فرع من الأولى وتفيد أن علمنا ومصطلحاته يتأثران تأثّرًا كبيرًا بما يحيط بهما من ظروف وملابسات من ذلك أن الفقه وهو علم مختص، اذا قسنا ذلك بمصطلحاته، قد طغى بمنطقه وقياسه على تصورنا لوظيفة اللغة والعلوم عامة وخلط علينا مصطلحات اللغة التي ظلت متصلة به اتصالا مجحفًا[28]. ولا شك أن الكثير من مصطلحاتنا وليدة هذه النزعة التي تطغى فيها مذهبية معينة على تفكيرنا فتقف عرقلة في وجه الدقة والوضوح. ولقد تنبه الاوروبيون إلى ذلك معتبرين أن الحاجة تدعو مثلاً إلى الاعتراف لدروين بوضع مبدإ التطور في العلوم لكنهم أسرعوا إلى التخلص من مبداٍه عندما أصبح مذهبية مطلقة تريد أن تكون حلاً لكل شيء. وخلاصة القول إننا في حاجة ملحة إلى الوصف والتقييم على غرار ما فعلنا هنا مثلا في شأن المحاولات المجمعية المتعلقة بتوحيد المصطلحات حتى لا نتيه في مغبة نقد النقد الذي لَنْ نَسْلَمَ منه إلا إذا

27) وضعنا معجمنا عربيًا أعجميًا يحوي أهم المصطلحات اللغوية الحديثة لعلم اللغة العام مساهمة منا في وصف وتقييم العلوم اللغوية الحديثة في العربية وصدر هذا المعجم عن الدار التونسية للنشر بحوليات الجامعة التونسية.

28) يعود الفضل إلى ابن مضاء الأندلسي صاحب «الرد على النحاة» في تخليص اللغة من المنطق الكلامي وان كان قد تعسف بدوره بأن وضعها في بوتقة النظرة الظاهرية.

أوكلنا إلى اختصاصيين قارين في مؤسسات قارة ، مهمة تتبع سير العلم في العربية ووضع مؤلفات تاريخية اجمالية تجنبنا التكرار والإهمال والاسقاط[29]. إن هذا المنهج يفرض علينا ملاحظة العنصر الثاني وهو:

2 - الأخذ والعطاء اللغويان : مرحلية الترجمة

ان النظر في قضيتنا يفرض علينا أن نقر أن اضطراب المصطلحات وغموضها وتكاثرها ليس خاصية من خصائص العربية. فهي قضية موضوعة في كل اللغات وذلك حسب نصيب كل لغة من تراثها ومن العلم الحديث باعتبار أنه توجد لغةٌ تُعْطي ولغة تأخذ. فالعربية اليوم تأخذ ولا تعطي كما أن الفرنسية تأخذ الكثير من الانكليزية والروسية مثلا. فالعربية تواجه قضية صعبة لا تنحصر في طرق الأخذ فحسب بل في اختلاف اللغات التي يترجم عنها العرب اذ أن الاختلاف لا ينتهي عند لغتين من أصل مختلف بل يتجاوز ذلك ويظهر مثلاً في التنافر في لغتين من أصل واحد مثل الانكليزية البريطانية والانكليزية الأمريكية ممّا تدل عليه الأمثلة التالية[30] :

المصطلحات الأميركية : tube; muffler; manifold

المصطلحات البريطانية المرادفة : valve; silencer; exhaust

ويهمنا من هذين المبدأين أي مبدأي الأخذ والعطاء أنهما سببان في الخلاف الموجود بين مصطلحات اللغة الواحدة وفي العلم الواحد كما رأينا سابقًا. وتزداد أهميتُهُمَا بقدر ما نجدهما أصلا لما نسميه الحول المرحلية في وضع المصطلحات التي كثيرًا ما تكون على قدر الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي نَقَل فيها أصحاب اللغة الآخذة. فالتعريب قد يفرض نفسه أحيانًا قبل الترجمة لظروف معينة كما أن الترجمة تمر بأنواع منها المنحط والركيك والمتوسط والراقي[31]. إن لهذه المرحلية أثرًا في مصطلحاتنا وتضاربها من ذلك «ديوان رسل العمالات» ، وهذه ترجمة رفاعة

---

29) يمكن مثلاً لمعهد اللسانيات في الجزائر المجهز بأحدث الآلات أن يبرمج أعماله فيحصي لنا جميع مصطلحات الطب في العربية قديمًا وحديثًا فيكون ذلك مثالاً يمكن أن ينسج عليه لحل قضية معركة القديم والحديث ولو نسبيًا.

30) حسن حسين فهمي ؛ المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، القاهرة 1958 ، ص 37.

31) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، القاهرة 1951 ، ص 203 – 228.

للإصطلاح الفرنسي chambre des députés «ولهذا الاصطلاح عندنا في مصر منذ عهد محمد علي حتى اليوم تاريخ طويل. فقد سمي هذه التسمية، ثم أطلق عليه «مجلس شورى القوانين» ثم «الجمعية العمومية» ثم «الجمعية التشريعية» الخ... إلى أن سميناه أخيرًا بمجلس النواب كما سميناه «الشمبر دوبير» بمجلس الشيوخ»[32]. ومن هذا كثير في العلوم المختلفة التي استشهد لها أحمد عمّار كما ذكرنا ذلك سابقًا لا فائدة في تكرارها. وفي المسرح نجد أن مصطلح amateur ترجم حسب السنوات بـ: غاوي (1821) وهاوي (1947) ومحب وولَع ومُغرَم (1965)[33]. ومصطلح drame ترجم بقصيدة (1821) وتمثيل (1930) ومأساة (1945) ودراما (1948) وفاجعة (1956) ومسرحية ومأساة عصرية (1959) ودرام (1965)[34].

إن هذه النظرية التاريخية تبين أن اللغة العربية آخذة لكن أخذها المرحلي لم يستقر ولم يثبت ولا يمكن أن يكون ذلك ما لم توضع فيه دراسات تصفه قبل أن تأخذ قرارات موحدة في شأنه. ومعنى هذا أن التوحيد لن يكون ناجعًا إذا كان غاية في حد ذاته أي إذا لم يأخذ بعين الإعتبار هذا التراث المرحلي لأن من الأخطاء الكبرى أن نتجاهل هذا التراث الحديث ونضرب به عرض الحائط. فنظل نجتهد في المذهب بوضع مصطلحات أخرى دون أن يكون ذلك تجديدًا في العلم ومصطلحاته.

وفي هذا الصدد ليس لنا أن نغفل عن تأخر أخذنا وقلته إذ لا بدّ أن نتساءل عن فائدة توحيد الآلاف من المصطلحات المأخوذة إذا قارناها بالآلاف المؤلفة من المصطلحات العلمية الحديثة في اللغات المتقدمة. إن مجمع اللغة العربية قد وضع منذ نشأته ما يقرب من 50 ألف مصطلح وهو ما يعادل وضع خمسِ كلماتٍ في اليوم الواحد لمدة ثلاثين سنة[35].

لا شك أنه يوجد منا من يدعو الى التعريب المحض باعتبار أن أخذنا قليل ومتأخر وان الترجمة عائقة مهما كان اجتهادنا. فليكن الأخذ معربًا لأن العلم كوني في

---

32) نفس المرجع، ص 214.

33) عطية أبو النجا: بحث في مصطلحات المسرح وترجمتها في العربية الحديثة، الجزائر 1973، ص 56.
(recherche sur les termes de théâtre et leur traduction en arabe moderne)

34) نفس المرجع، ص 118.

35) رشاد الحمزاوي: مجلة *arabica* الجزء 15 (فيفري 1968)، ص 106–107.

مصطلحاته ومفاهيمه فيحسن أن نستوعب العلم عوض أن نتيه في ترجمته. فلا يكفي أن نعالج الموقف بلعن المنادين بهذا المبدإ وذلك باسم مذهبية التوحيد ولو كانت شكلية لأن حجتهم في سبيل العلم تساوي حجة من يدعو إلى التوحيد بالترجمة دون حصول المعرفة العلمية. ولعل أحسن طريقة في هذا الشأن تتمثل في وجود قوانين تنمي الأخذ كمًّا وتُجَوّد معطاه كيفًا معتبرة مبدأ هامًّا مُفاده أن توحيد المصطلحات لا يكون إلّا بتنمية الأخذ وبتكامله وبمقارنة طرق أخذه وهذا ما يدعونا إلى العنصر الثالث المربوط بتنمية الأخذ.

3 – معنى التقدم العلمي : النزعات الأربع

ان اضطراب مصطلحاتنا يعكس في الحقيقة موقفنا من تحديد معنى التقدم العلمي. إننا نلاحظ مثلاً أن المعرفة بصفة عامة والمصطلحات بصفة خاصة لا تزال محل نزاع بين أصحاب القديم وأصحاب الحديث وأصحاب الحل الوسط. من ذلك ترجمة كلمة biscuit التي وضعت لها ثلاثُ كلمات وهي : الخشكنان والبسكويت والملة. أما pancréas فقد وضعت لها ثلاث كلمات أيضا وهي : الحلوة والبنقرية والعقدة. إن هذا الخلاف ليس ناشئًا عن الترادف بقدر ما هوناتج عن نزعات علمية متنازعة : النزعة الموسوعية التي تنظر إلى الحديث من خلال القديم، والنزعة الشكلية التي تعتبر الحديث في ذاته ولحد ذاته، والنزعة الوطنية الاقليمية التي ترضى بالغموض على حساب القديم والحديث. فالنزعة الإنشائية تكاد تكون معدومة فنحن لا ننظر للعلم إلا من خلال ما عُرِفَ، خَوفًا من هاوية الفراغ. فلن توجد النزعة الإنشائية إلّا إذا عبرت المصطلحات العربية عن مفهوم التقدم العلمي وتعلقت بحدوده. ومن طبيعة ذلك التقدم ألا يخضع لمنطق عقلي يفرض تواصل المعرفة وترابط تقاليدها لأن العلم يتقدم بطريقة غير متصلة كثيرًا ما تتميز بنقض المعارف السابقة[36]. فالتقدم العلمي لا يكون الا بالثورة على العلم القديم في مفاهيمه ومصطلحاته المترابطة بعضها ببعض.

(36 أنظر : Pierre Laszlo, *conflits et revolutions, critique,* Août ʃ Septembre 1974, pp. 82 – 789

ان النقد التاريخي يبين أن المعرفة لم تتقدم في أوروبا إلا عندما حل أهل التقنيات محل أهل الدين والموسوعيين وقامت الطباعة مقام الخطاطة. ان مصطلحاتنا ستكون رائدة متناسقة ولا أقول موحدة ان عبرت عن مفهوم العلم الذي يعني ترك القديم في جله على جلالة قدره. فنتجنَّب التيه في المعارك الثانوية والثلاثية والرباعية المتمثلة في المترادفين أو الثلاثة أو الأربعة بالنسبة للمصطلح الأعجمي الواحد وذلك ما يقودنا إلى العنصر الرابع وهو:

4 - البحث العلمي: الغبن واللعنة

إن وحدة الثقافة ووحدة المصطلحات رهينة مساهمة أبناء الأمة الواحدة في البحث العلمي وتقدمه. والملاحظ أن وسائل العلم مخذولة في بلادنا وأهل العلم مغبونون بها حتى كادت تطلق عليهم لعنةٌ ميتافيزيقية عنصرية مُفادها أن عقولهم لم تُخْلق لَتَخْلِق. فما هي وسائلهم من العلم؟ ان مجموع الأقطار العربية تهتم قليلاً بالبحث العلمي وتخصص أَقَلَّ من واحد في المائة من مداخيلها له[37] والحال أنه يعتبر الركن الأساسي لمصطلحاتها ولمناعتها السياسية والإجتماعية والثقافية.

ان هذا البحث لن يثمر ولن يزدهر ما لم يعتمد مبدأي التنظيم والتصنيف اللذين يقودان إلى وضع النظريات الإنشائية المتناسقة وإلى إنشاء المدارس العلمية المتنافسة والمتسابقة من أجل تنمية المعرفة التي ينبثق عنها القطب المولد فيتولد عنه المخترعات وتكثر حتى يُصْبح انتاجه العلمي يساوي أو يكاد تصوراته النظرية. ويتجسم ذلك في تقارب تواريخ المخترعات كما تدل على ذلك الأمثلة التالية: «وقد اقتضى العقل مائة واثني عشر عاما ما بين سنة (1727 - 1839) للتوصل للتصوير الفوتوغرافي، 56 عامًا ما بين سنة (1820 - 1876) للتوصل للتلفون، وخمسة وثلاثين عامًا ما بين سنة (1867 - 1902) للتوصل للراديو، وخمسة وعشرين عامًا ما بين (1925 - 1950) للتوصل للرادار، واثني عشر عامًا ما بين سنة (1933 - 1945) للتوصل للقنبلة الذرية، وخمسة أعوام ما بين سنة (1948 - 1953) للتوصل للترانزستور وعامين ما بين سنة (1958 - 1960) للتوصل للنقل الكهربائي اللاسلكي الملتحم»[38].

---

37) حسن صعب: تحديث العقل العربي، بيروت 1969، ص 165 - 201.

38) نفس المرجع، ص 168.

ولا شك أن العقيدة العلمية وحرية الفكر في جميع أبعادها وفي جميع الميادين ونشر المعرفة الصحيحة بين جميع أفراد الأمة تجعل من العلم قاسمًا مشتركًا يساهم في تنميته مساهمة جماعية حتى يُصبح تجربة من تجاربنا عملاً بقول صيني مشهور: «إذا أعطيت المرءَ سَمَكَةً تَغَذَّى بها مرة واحدة وإذا علمته الصيد تغذّى كلَّ حياته»[39] وفي انتظار مرور العقلية العلمية لا بدّ أن نطرق العنصر الخامس.

5 – الترجمة : بين المثالية والضرورة

يجب أن نقر أن علمنا علم ترجمة في غالب الأحيان. وهي صنعة نبيلة يكون توحيد مصطلحاتنا على قدر تصورنا لها ولشروطها. ان الترجمة تقنية من التقنيات الحديثة[40] وليست ضربًا من ضروب الأدب إذ أنها تطورت حتى عوضت الترجمة الأوتوماتيكية[41] المترجمين. أما نحن فما زلنا ننظر لمترجماتنا من خلال ترجمة مثالية نتصورها توهّمًا ولا ندركها عملاً. إذ أن معظم ترجماتنا سليقية حدسية تؤول فيها الترجمة إلى رجم لأننا لم نجد معايير علمية قارة تفصل بين مترجمين خصمين كثيرًا ما ينقلبان في خصامهما إلى سفسطائيين أو إلى موسوعيين هما أقرب إلى اصمين منهما إلى متحاورين في العلم. فالترجمة تفرض أن نضع لها في العربية نظمًا تضبط جل قواعدها[42] إذ لا توجد ترجمة مثالية بل توجد ترجمة ضرورية لا بدّ منها بحثًا عن الدقة والوضوح. فمن الترجمة ما يكون بالتعريب emprunt قطعًا ومنها ما يكون بالنسخ calque ويسميه بعضهم المسخ لتأدية صور وأشكال ذهنية خلقتها عبقرية اللغة المترجم عنها لأسباب اجتماعية وثقافية خاصة بها دون غيرها ومنها ما يكون ترجمة حرفية littérale وبها تلحق الترجمة الجانبية oblique أو التقريبية approximative ومنها ما يكون قياسا analogie أو مكافأة equivalence أو مؤلفة adaptation فلا يكفي أن نقر مسبقًا أن التعريب لا يستعمل إلا عند الضرورة. فما هي تلك الضرورة وما هي ما لم نصفها انطلاقا من الاستعمال والمقارنة والتجربة؟

39) نفس المرجع ، ص 170.

40) J.A. Vinay et J. Darbelnet, *Stylistique comparée du français et de l'anglais,* Paris 1958.

41) Antony G. OEttinger, *automatic langage translation lexical and technical aspect, with particular reference to russian,* Cambridge, Massachusetts, 1960.

42) نفس المرجع الوارد في حاشية (40) ، ص 46–54.

ان هذه المعطيات المذكورة على سبيل الاختصار تبدو بديهية. ذلك صحيح لكنها تحتاج إلى بيداغوجيا تؤديها وتطبقها. ولا يمكن أن نُغَيِّر تجاربنا ما لم نربط هذه المعطيات بتجربتنا في ميدانين هامين يتعلقان باختياراتنا وطرائقنا اللغوية التي سرنا عليها إلى يومنا هذا في المجامع والجامعات وفي مستوى الأفراد.

الاختيارات اللغوية الأساسية : خطر التمذهب على فصاحة اللغة

ان النزعة إلى توحيد المصطلحات وبالأخرى إلى توحيد الثقافة كثير ما تلجأ إلى وضع أسس احكام مسبقة تعتبرها مقدمات بديهية يظن أصحابها أنها كافية لتكون منهجًا مفيدًا. ومن تلك المقدمات :

أ) **التمذهب اللغوي** الذي يربط اللغة بالعقل والمنطق ويميز مثلاً بين لغة الانسانيات ولغة العلوم. فيكفي أن ننظم لغتنا كي تنظم عقولنا وتتحد مصطلحاتنا. وهذا ما يقودنا إلى أن نفترض مثلاً أن لغة الأدب تتميز بالمشترك ولغة العلوم بالأفراد. ذلك ما يستلزم إقامة الحجة عليه لأن إقرار هذا المبدإ يستوجب استقراء مظاهر اللغتين واحصاء مصطلحاتها الفنية حتى نُجزم بهذا الرأي الذي لم يوجد له تطبيق إلى الان في العربية.

إن هذا المنزع كثيرًا ما يقود إلى البلبلة وإلى تأييد مبدإ إقرار المترادفات في الأداب والإنسانيات مثلاً. لكنه يتجاهل ان لكل لغة من اللغتين مظهرًا عاما ومظهرًا خاصا فيه من الابتذال والغرابة والدقة والوضوح نسبا تكاد تكون متساوية فضلاً عن أن تكاثر الألفاظ في المصطلحات الفنية الأدبية العربية يعود جوهريًا إلى الدراسات في الأدب العربي الذي لم تتجدد نظرياتها ولم تتطور أو إلى الترجمة وما وراءها من فوضى. فلو ألقينا نظرة على مصطلحات المدرسة الأدبية الشكلية الروسية للاحظنا ما أتت به من مفاهيم جديدة.

ولنا أن نلحق بهذا المتمذهب ما مفاده ان لغة العلم تحتاج إلى غرابة لطيفة – ولعلها نوع من اللغة الماورائية métalangue – تميزها عن الكلمات العامة عملا بمبدإ الأوروبيين الذين لجأوا إلى اللاتينية واليونانية لاستسقاء كلماتهم العلمية منها. لكن يجب أن ندرك أولاً أن لذلك الغريب أصلا في اللغات الأوربية وان علوم الطب الحديثة

مثلاً قد أخذت تتخلص شيئًا فشيئًا من اليونانية واللاتينية اللتين حذفتا من برامج الطب في أكثر الأقطار الأوروبية. ان لغة العلوم بما في ذلك الآداب والإنسانيات تستدعي نوعا من الاختصاص لا على أساس الغرابة بل باعتبار انعدام وجود العلاقة المنطقية بين الكلمات ومعانيها. فالاسم لا ينطبق على المسمى. والاسماء لا تعبر عن الأشياء بقدر ما تعبر عن اصطلاح نصطلح عليه. فالتصاق الكلمات بالأسماء ناشيء عن التكرار والعوائد لا عن صلة وثيقة بين الإسم والمسمى. فلو كان كل ما يدعي بصالح صالحا لساد الصلاح الدنيا. ولذلك قال بعضهم أن كلمة كلب لا تعض.

فلو أخذنا بهذا الرأي الجديد لاستطعنا أن نثري معجَمنا بالمصطلح المتجدد عوضا أن نُحَمِّل اللفظ الواحد عبئين: عبء المعنى القديم وعبء المعنى الجديد. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن للمترادفات في هذه الحالة سببًا. فهي ليست عبئًا في حد ذاتها. فلا يكفي أن نخلص اللغة من مترادفاتها وأضدادها لنَأمَنَ الاضطراب. فالمهم في هذه الحالة أن ندرس الأسباب الموضوعية(43) التي خلقت تلك المترادفات حتى تساعدنا على تجنبها حسب الإمكان إذا لم تكن تؤدي وظيفة تعبّر عن تطور استعمالاتنا وأذواقنا.

ب) **الاستعمال أو العدالة اللغوية**: إن أهم مبدإ يمكن الاعتماد عليه في هذا الصدد يتصل إتصالاً وثيقًا بموقفنا من الاستعمال في مظهره العام. إننا نلاحظ إننا غير متفقين على وجوه الاستعمال في العربية الفصحى مثلا. اننا نقر ضمنيًا وجود استعمال مثالي ازلي كثيرًا ما يكون اسطوريًا نريد أن نقيس عليه دون أن نعرف حدوده ومناهجه. أما في الواقع فإن لنا استعمالات في الاختصاص الواحد تستوجب وضع نظام عام لها نسير عليه. **ومن أهم قواعد ذلك النظام أن نقر ان الاستعمال المطرد أساس القاعدة**. ولا يمكن الفوز بذلك الاستعمال إلا بالاعتماد على الوصف الذي يقر الاستعمال الغالب في زمان معين ومكان معين. ولا بدان يكون الوصف متواصلاً حتى نجدد الاستعمال والقواعد ونخلصها من جمود القياس المنطقي. فلا يكفي أن نقضي العمر في تأليف الكتب في عثرات اللسان عند العامة وعند الخاصة كما فعل الشيخ عبد القادر المغربي وغيره دون أن يكون لها نفع لأنه لم يبحث عن السبب الذي جعلنا نقول

43) التضاد في اللغة العربية, J. Berque et J.P. Charnay, *l'ambivalence dans la langue arabe*, Paris 1967.

الجُرْأة ، لا الجَرأة والنِّسر لا النَّسر والخِطة لا الخُطة. فهل اللغة لقلة مستعمليها أو لغلبتهم؟ من يمثل الصواب ومن يمثل الذوق؟ هل لنا حق فيهما وفي تطويرهما؟

ان المعجمية الإجتماعية lexicologie تقر أن كل استعمال مطرد يشهد على ضرورة وكل ضرورة تعبّر عن حاجات فئة أو طبقة من المجتمع. فالكلمَات والمصطلحات شاهدات على مجتمعها تستوجب من المعجمي أن يقرها لتكون مصطلحات في ميادينها. ولذلك فإن المعجم المثالي هو المعجم الذي يقر عددًا من اللغات من أكاديمية وعلمية وأدبية وعادية وشعبية وحتى بذيئة وما لها من صلة في علم النفس والإجتماع. وهذا يعني أنه توجد في اللغة الواحدة مستويات لغوية لها وظيفتها الفنية والاجتماعية. لا شك أنه يستحيل عقلاً وتطبيقًا ان نضع للحدادين لغتهم لأننا لسنا موكلين على حرفهم وخصائصها. ويؤسف أن نضل مستبدين بتلك اللغة من دون خبرة فيها ودون معرفة لمشاكلها.

إن القضاء على إحدى هذه المستويات يعني أننا نحكم بالأعدام على حق أصحابها في التعبير عن حاجاتهم ومشاكلهم. فيكون ذلك نوع من الظلم اللغوي مثله مثل الظلم الإجتماعي. ولعلهما ناتجان عن بعضهما بعض. ولذلك فإننا نعتبر أن أزمة مصطلحاتنا ناشئة عن ضيق حدود استعمالنا. ان هذا التضييق سبب من أسباب الغموض والاضطراب والفوضى في معاجمنا العصرية.

إن تطوير مفهوم الاستعمال مربوط بتصورنا لمعنى الفصاحة. لكن ما هي الفصاحة عند اللغويين؟ ان تعريفاتهم النظرية والتطبيقية لها تفيد أنهم اتفقوا على أن لا يتفقوا عليها إن اعتبرنا اختلافاتهم الواردة في مزهر السيوطي[44]. أما المعجميون فلقد اختلفوا فيها اختلافًا تاريخيًا تدل عليه عناوين معاجمهم ومحتوياتهم. فهم لم يسلموا من الوقوع في نفس الخطأ الذي يقر وجود فصاحة مثالية قارة لا يدرك أحد معناها ومميزاتها كما أنهم ربطوها أيضًا بمعنى البداوة والسذاجة. ولا تزال هذه النظرة مسيطرة علينا إذ أننا لا نجد نصوصا من الجاحظ أو العلميين العرب أو من الكتاب والصحافيين المشاهير المعاصرين في معاجمنا قديمًا وحديثًا. أن تناقضنا واضح بين ما ندعو إليه من وضع مصطلحات تنتسب إلى الحداثة وبين ما نقره من مصطلحات متصلة بالبداوة بأكثر من

44) السيوطي : المزهر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، (ج 211/1).

سبب . ويبدو ذلك واضحًا بقدر ما نستغرب لو لاحظنا أن المعجم الفرنسي يعتمد في جمع مادته على فلاحي مناطق البروفانس أو الألب وفصاحتهم . **ان الخروج من هذا المأزق يستدعي أن نقر أن الفصاحة فصاحات من ذلك فصاحة القصيدة وفصاحة القرآن وفصاحة كبار الكتّاب والعلماء القروسطيين وفصاحة الصحافة عِوضًا عن أن نقضي العمر في التأليف في كتب لحن العامة ولحن الخاصة وقل ولا تقل**. ان حالة العربية تدعونا إلى أن نعتبر تلك الملاحن تطورات في اللغة وفي فصاحتها . وهي تشمل المستوى الصرفي والنحوي والبلاغي والمعجمي . فإن كان ذلك التطور مطردًا ودل عليه الوصف اللغوي وأيده الإحصاء في أغلب الأقطار العربية ، يمكن لنا أن نقر أسس فصاحة جديدة تأخذ بعين الاعتبار ما طرأ على الفصاحة السابقة من تطور وتغيير ولو كان ذلك عن طريق القياس الخاطئ . وفي العربية الكلاسيكية من وجوه هذا القياس مما يدل على أنها قد استعملته باطراد . ان هذا التصور للفصاحة يربطها ربطًا وثيقا بالاستعمال فتكون الفصاحة الحية هي الاستعمال ذاته . فلو توفرت كل المعطيات السابقة لوجدنا فيها ما يعيننا على استدراك أمر طرائقنا اللغوية التي استقرت وبلغت من الاشباع ما لا يمكن تجاوزه من دون أن يكون ذلك على حساب الدقة والوضوح . فنجنح إلى طريقة التركيب التي تحشو اللفظ الواحد معاني كثيرة . ولعل ذلك سبب من أسباب وجود المترادفات والأضداد وان كانت ترجع أحيانًا إلى أحوال تطور اللغة وبيئاتها المختلفة .

الطرق اللغوية : من القياس إلى التوليد

إن هذه الطرق معروفة وهي تنحصر في المجاز وكثيرًا ما يُعْنَى به احياء القديم وفي الاشتقاق والتعريب والنحت وأحيانًا اللغة العامية ولقد قيدت هذه الطرق بقيود القياس الشكلي . ولقد بينا في هذا الصدد ان أغلب قرارات مجمع اللغة مقيدة مكبلة لاعتمادها القياس المجحف الذي يسترجع باليسرى ما جادت به اليمنى . ولقد خصصنا دراسة شاملة لهذه الطرق من خلال تجربة مجمع اللغة العربية[45] لمدة ثلاثين سنة (1934–1964) فوجدناها تحتاج إلى تحسين عميق ان لم تكن تحتاج إلى نظر .

---

45) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية ، تاريخه وأعماله ، تونس 1975 .

إن طريقة المجاز لا تفيد إن كانت ترمي إلى أحياء القديم من اللغة وذلك أن علوم القدماء على أهميتها لا تعبر في جلها عن علوم عصرنا. فهي تمثل مرحلة مفيدة من علوم الانسان العربي ومعرفته لكنها ليست العلم في ماضيه وحاضره ومستقبله. ان تطابق المعارف يدل على اشتراك ذهني فيه من أعراض الالتباس الفكري ما لا يبشر بخير. لقد بين مصطفى الشهابي بدقة الفرق الشاسع بين محتوى معاجمنا القديمة ومحتوى العلم الحديث[46]. ولقد اهتممنا بالقضية أيضا فدرسنا مساهمة مخصص ابن سيده في تطوير العربية[47]. لقد لاحظنا في هذا الصدد نوعًا من التطرف العلمي الذي يتغنى بالقديم للتغني أو للتفنن دون أن يدرك كنهه ودون أن يستعمله. ان دراستنا التي ركزناها على استعمال مصطلحات ابن سيده في معجم أسماء النبات لأحمد عيسى ومعجم الحيوان لأمين المعلوف ومعجم الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي بينت أن الأول استعمل من المخصص(9) مصطلحات من (5852) مصطلحًا واستعمل الثاني (35) مصطلحًا من (1428) مصطلحًا واستعمل الثالث (19) مصطلحًا من (9996) مصطلحًا. ولا حاجة بنا إلى التنبيه إلى عديد خلافاتهم في هذا الصدد إذ أننا قد شرحناه في محله الذي يمكن الرجوع إليه.

ان هذه الدراسة تبين أن الاعتماد على المعاجم القديمة لا يفيد في العلوم. فلا يمكن لنا أن نستغلها استغلالا محدودًا إلا إذا اعتمدنا منهجين متلازمين: ينحصر أولهما في استقرائها استقراءًا عميقًا يجنّبنا الحكم لها أو عليها بالتخمين وبالنية الحسنة أو السيئة. فيمكن إذاك أن نضمن ترتيبها وتصنيفها حسب مناهج علمية تربطها بأصول العلم الحديث. أما المنهج الثاني فانه يحتم الاتفاق على ميادين استعمالها الدقيق حتى لا يبقى عرضة للتأويل الذي يؤول بنا غالبًا إلى الاضطراب والفوضى.

أما الاشتقاق الذي يتمثل في الاشتقاق الصغير فإنه يكون الطريقة المثلى لوضع المصطلحات الحديثة ان اتفقنا على نظام يقيد صيغة ويخصصها. ان الصيغ الدالة على الآلة والأداة متداخلة متناقضة والصيغ الدالة على الأمراض المبداة والأمراض البادية لا

---

46) مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية، ص 33 – 40.

47) محمد رشاد الحمزاوي: مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة أو مساهمة التراث العلمي العربي في تطوير العربية، حوليات الجامعة التونسية 7/9 – 31.

تتميز عن بعضها بعضًا من ذلك أننا نستعمل صيغتي فَعَل وفُعَال لنفس المرض[48].

دمل دمال : furonculose

شحم وشحام : graisse

فيل وفيال : elephantis

أدم وأدام : dermatite

ويمكن لنا أن نجد أمثلة كثيرة من هذا النوع في جميع مصادر المجرد والمزيد من ذلك أن مصطفى الشهابي والكواكبي وهما من سوريا يختلفان في الصيغ التي يجب استعمالها – وإليك أمثلة[49] :

معرق ومَعرقة : diaphorétique

مخدر ومَخْدرة : stupéfiant

مقيء ومَقيأة : emétique

ان سبيل التوحيد تكاد تكون مستحيلة ما لم تثبت اختصاصات الصيغ. وتزداد القضية تعقدًا عندما نلاحظ إعراض المجامع والبحاثين عن بعض الصيغ مثل : مفعَّل التي يمكن أن تعتمد للتعبير عن مصطلحات علم الحساب مثل :

مسدس : hexagone

مسبع : heptagone

كذلك صيغة فعول التي يمكن أن تستغل استغلالا كبيرًا في الكيمياء

خلول : dialysable

خثور : coagulable

لهوب : inflammable

وما دمنا في ميدان التخصص فإنه يحسن بنا أن نعتني بالاشتقاق الكبير الذي كثيرًا ما استعمل للتسلي والتفنن إذ يمكن أن يدرس دراسة علمية بغية استعماله في مستوى الميتالغة أو ما يعبر عنه بالغريب العلمي عند بعضهم. ان «لغة الخنفشار» تعتبر رد فعل عنيف على قياس النحويين ودعوة الى اعتبار الارتجال طريقة من طرق الوضع.

---

48) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية ، ص 153–154.

49) نفس المرجع ، ص 107.

ويمكن لهذا الرأي أن يطبق على الاشتقاق الأكبر باعتباره طريقة من طرق التنمية اللغوية التي تساعد على تخصيص المصطلحات بقدر ما تقلل من طغيان التراكم والاشباع اللذين يعتبران سببين من أسباب الإشتراك في الصيغ والمعاني.

في التعريب نواجه نفس الاضطراب. فنلاحظ أننا لم نوفق إلى يومنا هذا إلى وضع خطة موحدة لتعريب الأصوات الأعجمية[50]. فلقد وضعنا بعض القواعد المعقدة لنقل الأصوات الحديثة باعتبار طرق السلف دون أن نأخذ بعين الاعتبار تطور عوائدنا الصوتية لا بالنسبة للعرب فحسب بل بالنسبة للذين نقلنا عنهم قديمًا والذين ننقل عنهم حديثًا. ولقد اشتد الخلاف في العلوم التي تستوجب الترجمة والعلوم التي تستوجب التعريب أي استعمال الدخيل.

ولا شك أن الحل ينحصر في دراسة مقارنة تقوم حكما فصلا من طرقنا القديمة وطرقنا الحديثة وتنير لنا السبيل في هذا الميدان. فيمكن لنا أن نستخرج منها قاعدة عامة نسبية زمنيًا تقر الميادين التي يجب فيها التعريب اطلاقًا مثلما هو الشأن في علوم الكيمياء.

أما النحت فيكفي أن أشير في شأنه أني قمت بدراسة مقارنة[51] للمنحوتات الواردة في معجمي الكيمياء والفيزياء اللذين جمعهما المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط. فلاحظت مما لاحظت أن «لا» العربية تستعمل لتأدية السوابق التالية:

لا – A اتحاد لا لوني combinaison achromatique
لا – An لا توافقي anharmonique
لا – Assy تحليل لا تماثلي synthèse assymétrique
لا – In لا عضوي inorganique
لا – Non لافلز non métal

وان ذا وذات العربيتين تعبران عن uni - penta - mono - iso - bi

مراحل ذو معدنين/ذو فلزين relai bimétal

50) نفس المرجع، ص 166.

51) محمد رشاد الحمزاوي: السوابق واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة حوليات الجامعة التونسية 11/39–81 وفي هذا المؤلف.

ذو لون واحد isochromatique
ذات الوتر الواحد monochorde
ذو الخمس corps pentavalent

أما السابقة anti فلقد ترجمت ولم تعرب لكن صيغتها مضطربة. فهي تترجم أحيانا بالمضاد والضديد في ضديد النيوترينو anti neutrino ومضاد الكلور anti chlore ، فلقد تبدلت الصيغة من الكيمياء إلى الفيزياء. فما هو معيار هذا الاختلاف؟ لا نعلم عن ذلك شيئًا سوى الاضطراب القائم أمامنا.

ويعود هذا الاضطراب إلى أننا لم نتبه إلى وضع القضية على أسس منهجية قومية وذلك حسب ما يلي :

أ) وضع قائمة في جميع السوابق واللواحق اللاتينية المستعملة في اللغات الأوروبية الحديثة التي ننقل عنها اليوم.

ب) استقراء جميع الطرق العربية القديمة والحديثة التي استعملت لنقل البعض منها.

ج) استنتاج قاعدة عامة توحد بين متناقضها وتستكمل ناقصها تمهيدًا إلى نظام محكم يشملها جميعًا.

ويمكن لنا أن نتتبع نفس المنهج فيما يتعلق بمدى استعمال العامية في بعض العلوم لا سيّمَا ما يعبر منها عن الألبسة والأطعمة والنبات والعوائد التي تختلف من قطر عربي إلى آخر ، فضلاً عما يمكن استعماله من العامي المشترك بين الأقطار العربية مثل أداة النفي واللاحقة الدالة على الحرفة كقهواجي ، وموسيقار الخ...

وخلاصة القول أن قضية التوحيد تحتاج إلى برنامج يكون موضوع مخطط لتنمية اللغة مثله مثل المخططات الإقتصادية والإجتماعية التي تُعْتَبَر اللغة جزءًا منها. ويمكن أن يكون ذلك على النمط التالي :

– رصد ما يزيد على واحد في المائة من مدخول كل قطر عربي للبحث العلمي ولمكافأة الباحثين مكافأة مفيدة حتى يتفرغوا لذلك البحث.

– ربط قضايا اللغة بالقضايا الإجتماعية والإقتصادية والإدارية والمذهبية في الأقطار العربية.

– تكوين هيئة علمية عربية عامة تنسق برنامج البحوث وذلك حسب سنوات معينة. ولا بأس أن يشترك في تلك الهيئة الاختصاصيون في علم الاقتصاد والإجتماع والنفس وخبراء انمائيون.

– وضع مراجع نقدية مفهرسة تعرف بالإنتاج العربي حسب اختصاصاته المختلفة.

– تكليف لجان مختصة لوصف التراث القديم والحديث وتقييمها علميًا.

– تخصيص كل قطر عربي بعلم من العلوم وقضاياه لتطبيق هذا البرنامج حسب أعوام معينة.

– عقد مؤتمرات متوالية في البلدان المسؤولة عن اختصاصها لتقييم الأعمال المنجزة واتخاذ القرارات الجماعية.

فوحدة الثقافة تفترض وحدة المنهج وتوزيع الأعمال والمسؤوليات وتنظيمية القواعد حتى لا يتحوّل التوحيد إلى تمذهب شكلي لا هدف له إلا الاستبداد الفردي بعلمنا المشترك وذلك لغايات فيها من الخطر على وحدة الثقافة ما يفوق اختلافاتنا الموضوعية الحالية.

المحــور الثــانـي

الفَصَاحَة وَالتَدَاخُل اللغَوي

الفصاحة والمعجم :
منهجية تنميط مداخل المعجم الفصيحة : أسسها ومقاييسها

1 – القضايا اللسانية المعجمية :

1 – 1 للمعجم قضايا عديدة[1] من أجلها تكونت جمعية علمية متخصصة فريدة من نوعها في العالم العربي تعنى بتلك القضايا بالذات عناية لسانية معجمية وتدعى «جمعية المعجمية العربية بتونس[2] (جمع)» التي تصدر باسمها مجلتها «المعجمية العربية» التي ستسعى الى التعبير عن اهتمام أهل الاختصاص من المعجميين بوضع أسس مقاربة معجمية لسانية تطبق على العربية وتنطلق من مسائل جوهرية منها بالخصوص مسألة المصطلحات المعجمية المفاتيح الأساسية قديمًا وحديثًا[3] ، ومنهجيات وضع المعجم ، وأصناف المعاجم ووظائفها[4] الخ.

1) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا ، تونس 1983.

2) تكونت تلك الجمعية بموجب التأشيرة 5125 ، بتاريخ 9 نوفمبر 1983.

3) لا يوجد حسب علمنا إلى الآن دراسة اهتمت بتلك المصطلحات المفاتيح باستثناء ما جاء منها في مؤلفنا المذكور في الحاشية (1) أعلاه ومنها : المعجم ، القاموس ، الجمع ، الوضع ، المادة ، المدخل ، الحقل المعجمي ، المعيجمة البسيطة والمركبة ، التعريف الإسمي ؛ التعريف المنطقي ؛ الترتيب بالإشتراك والترتيب بالتجنيس الخ. وهي في حاجة الى الضبط والتعريف والتطبيق.

4) للمعجمية العربية مدارس ومناهج اهتم بها بالخصوص حسين نصار في مؤلفه : المعجم العربي نشأته وتطوره ، القاهرة 1956. لكن القضية تتطلب مقاربة لسانية حديثة جادة.

1 – 2 وفي هذا السياق سبق لنا أن عالجنا عدة قضايا نعتقد أنها تستحق العناية وهي تتعلق بمناهج وضع المصطلحات وصلتها بالمعجم لأن المصطلح مسخّر في نهاية الأمر ليصبح مدخلاً من المداخل التي سيستوعبها المعجم العام أو المعجم المختص. ولقد فصلنا القول في تلك المناهج التوثيقية واللسانية النظرية والمطبقة في «المنهجية العربية الموحّدة لوضع المصطلحات وتنميطها ومعالجتها آليًا»[5] وكذلك في دراستنا المخصصة «للمنهجية العربية لوضع المصطلحات: من التوحيد الى التنميط»[6].

1 – 3 ونعود في مقاربتنا هذه إلى قضية التنميط وصلتها بالمعجم لا سيّمَا وأن ما سبق لنا أن قلناه في شأنها وضع لغاية نظرية وموجزة تستحق مبادرة ثانية مدعومة بملاحظات وبعينات تطبيقية مبررة لسانيًا ورياضيًا الغرض منها أساسًا التأكيد على المناهج المعتمدة لاختيار مدخل معجمي معين دون غيره.

2 – 1 لأن الكلمات والألفاظ أو المصطلحات تتنافس وتتزاحم لتفوز بمنزلة الإختيار في المعجم لا سيّمَا وأن الترجمة تولد من مصطلح واحد ترجمات من ذلك أن كلمة telephone قد ترجمت الى العربية، بقطع النظر عن رواجها، فضلاً عن الكلمة «تليفون» المعربة بالكلمات التالية: هاتف، مِقْوَل، مِسَرّة، إرزيز، تلغراف ناطق الخ... فكيف نختار اللفظ اللائق؟ أنختار الفصيح؟ لكن ما هي أسس الفصاحة القديمة والحديثة[7] رغم الجهود التي بذلت لمنهجتها حديثًا؟[8] والملاحظ أن هذه الحالة ليست خاصة بالعربية وحدها. فالفرنسية قد ترجمت المصطلح الإنكليزي walkie-talkie بثماني

---

5) محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العربية الموحدة لوضع المصطلحات وتنميطها وتخزينها، معد للنشر.

6) محمد رشاد الحمزاوي: ... من التوحيد الى التنميط، مجلة الفكر 6/س 30، مارس 1985، ص 7 وما بعدها.

7) محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، ط. تونس 1982. ولقد دعونا فيه الى ضرورة مراجعة أصول الفصاحة على أسس وباعتبار تطور أساليب العربية المعاصرة.

8) مكتب تنسيق التعريب: ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي اللسان العربي، المجلد 18 الجزء الأول سنة 1980، ص 175 – 178. حيث تربط الفصاحة بالسلاسة، وثلاثية الكلمة وسهولتها ومؤالفاتها للميدان المدروس إلخ وهي كلها مبادئ لا تقاس كمًّا.

كلمات[9] وكذا الشأن فيما يتعلق بالخلاف بين الإنكليزية البريطانية والإنكليزية الأمريكية اللتين تعبران عن هوائي التلفزيون بـ aerial و antenna.

2 – 2 وليس ذلك أمرًا غريبًا ولا شاذًا باعتبار اختلاف المترجمين في إدراك معنى المفهوم الجديد. إن هذه المترادفات أو ما يسمى **بالإشتراك** اللفظي أمر طبيعي في مرحلته الأولى. لكنه يصبح خطرًا على الفصاحة وتشويشًا معجميًا، ما لم توضع له مقاييس لسانية ورياضية موثقة ومرقمة، والا عدنا الى مقاييس فصاحية ذوقية وحسية، هي أصل الخلاف والمهاترات. وعلى هذا الأساس يسعى المتخصصون من أهل الذكر إلى الإعتماد على اللسانيات الحديثة لضبط الفصاحة، كلٍ في لغته، وذلك ما يدعى **بالتنميط** ويقابله في الفرنسية (La normalisation) وفي الإنكليزية (standardization). فما هو التنميط ؟

3 – **مفهوم التنميط** :

3 – 1 يبدو لنا أنه يعني مفهوم **الفصاحة ومقاييسها** عند القدماء ولقد رأينا من المفيد والضروري أن نعرفه أولاً تعريفًا سلبيًا باعتباره يختلف اختلافًا كليًا عن **مفهوم التوحيد** الذي يتلخص عمومًا في التوفيق بين ترجمات مختلفة وضعت لمصطلح واحد دون البحث عن أسباب تلك الترجمات ومسانيدها ومصادرها التوثيقية وأسسها اللسانية. وذلك أمر مطرد إن اعتبرنا خلفية المترجمين وثقافتهم ومناهجهم التي كثيرًا ما تؤول الى مضاعفة عدد المترادفات ودعم أسس آفة الاشتراك اللغوي المستبدة بالمصطلحات العربية المولدة في مختلف المجامع والجامعات والمعاهد الوطنية المختصة. ولقد سعى مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم إلى ضبط منهجيات التوحيد[10] الذي كان يقر أحيانًا بالتصويت.

---

9) الاشتراك من طبيعة كل لغة سواء لأسباب ذاتية خاصة بها أو من الترجمة وخلافاتها.

10) أنظر الحاشية (8) من هذا البحث.

3 – 2 ولقد كان مصطلح «**التنميط**» موضوع خلاف وجدل إذ عبّر عنه بمصطلحات مختلفة منها: «المواصفة» التس استعملت رسميًا تعبيرًا عن اسم منظمة عربية إقليمية مختصّة نعتمد هذا المفهوم وهي المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس على غرار المنظمة الدولية للتنميط(ISO)[11]. ولقد عبّر عنه كذلك بمصطلح «**التعيير**» أو «**المعايرة**» كما الصقت به كلمة التقييس التي تقابل حسب رأينا كلمة metrologie و metrology, بالفرنسية والإنكليزية.

3 – 3 ورأينا أن مفهوم التنميط أو المواصفة لمّا يدرك إدراكًا واضحًا في ميدان اللغة لا سيّمَا في اللغات المتقدمة التي تعتمده. وهو مجهول أو ضبابي عند اللسانيين العرب المحدثين لا سيّمَا فيمَا يتعلق بتطبيقاته على المصطلحات ومداخل المعجم على الخصوص. فلا يمكن أن تجد له أثرًا في تراثنا إلّا في محاولات الخليل بن أحمد في ضبط أصول الكلمات – لهذا لا بأس أن نعيد على الأذهان ما سبق لنا أن عرفناه به إذ أنه «مصطلح مأخوذ من لغة الصناعة ظهر تقريبًا في سنة 1873 في الانكليزية والفرنسية ويفيد ضبط معيار المادة المصنوعة من حيث مواصفاتها الفنية والتجارية: القياس، المتانة، الجودة، السلامة والقواعد الفنية المعتمدة وطنيًا أو دوليًا في صنعها والمشروطة لتسويقها الخ... ولقد اعتمدت اللسانيات هذا المصطلح. وهو يفيد في ميدان اللغة اختيار صيغة أو استعمال مصطلح أو تعبير معين دون غيره من الصيغ أو الاستعمالات او المصطلحات والتعبيرات الموجودة في ميدان معين من اللغة العلمية أو لغة الكلام وذلك بالإعتماد بالخصوص على مقاييس وأسس تعتبر شرط الكفاية نظرًا إلى أن شرط اللزوم متوفر في طرق الوضع ومناهج الترجمة[12]. ولقد أخذناه من «النمط». فلقد جاء في المعجم الوسيط: النمط، الصنف أو النوع أو الطراز من الشيء – يقال «عندي متاع من هذا النمط»[13].

---

11) المنظمة الدولية للتنميط (ISO: International Standardization organization)

12) محمد رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تاريخه وأعماله، تونس 1975 حيث يؤرخ ويصف ويقيم طرق الوضع المعتمدة في مجمع اللغة العربيّة وغيره من سنة 1974 إلى سنة 1970.

13) محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العربية...، مجلة الفكر 1985، ص 6–8.

4 – أسس التنميط ومبرراتها اللغوية :

4 – 1 تنقسم أسس التنميط أو مقاييس ضبط الفصاحة والفصيح إلى قسمين :
أ) **المبادئ الكيفية** : وهي خمسة مترابطة تكون بنية متلازمة تشد بعضها بعضًا كالبنيان المرصوص. فلا يمكن اعتماد واحد منها دون غيره من المبادئ الأخرى. وهي تشمل.

التوثيق : وهو يستوجب وضع قائمة من المصادر والمراجع للإلمام بالميدان المدروس أو المصطلحات المطروحة التي ينوي المعجم استيعابها. والمطلوب أن يكون ذلك التوثيق وافيًا بالغرض ويشمل قائمة من المصادر والمراجع التي تضبط من دون فوضى ولا موسوعية المسألة المطروحة دون إهمال أو تكرار أو اسقاط. **فالتوثيق يهدف الى حصر حدود الحقل اللغوي أو المعجمي المدروس.**

4 – 2 **الاطراد أو الشيوع** : كان يفيد عند القدماء رواج الكلمة أو المصطلح عند الناس لأن أبا عمرو بن العلا كان يقيس على «الأكثر» الذي يفيد عندهم كـذلك «القيـاس» و«الغـالـب» و«الأغلب» ، و«الكثير» و«المتـواتر» و«المطرد». ويدخل في ذلك مفهوم «الجمهور» أي رواج المصطلح عند أهل الذكر من اللغويين والفقهاء. والاطراد والشيوع في اللسانيات الحديثة يعتمد عمومًا الاستعمال الرائج بين المتكلمين بلغة معينة. ويضبط ضبطًا حسابيًا إحصائيًا. أما في العربية فهو يضبط فيها بحسب «الجمهور» المعاصر من أهل الذكر من المتعلمين والمثقفين المستعملين للغة العربية الفصيحة دون غيرها. في الميدان المعجمي يستحسن ضبطه بالإعتماد على خمسة مصادر لتأييد كل مصطلح والاحتجاج له.

4 – 3 **يسر التداول** : المقصود به أن يختار اللفظ السهل ، المختصر الذي ييسر التخاطب والتواصل. ويوافق عند القدماء **الإيجاز**. أما في اللسانيات الحديثة فهو يستمد أصوله من «**مبدإ الاقتصاد اللغوي**» أو ما يعبر عنه «**بالجهد الأدْنى**» ومفاده تفضيل أقصر لفظ ينطق به في أقصر مدة.

4 – 4 **الملاءمة** : والمقصود بها ألا يتداخل المصطلح المترجم المختار مع غيره من المصطلحات وأن يعبر في الحالات الفضلى عن ميدان واحد فيكون لفظ واحد

لمعنى واحد. وتكون تلك الملاءمة ضعيفة أو قوية على قدر تقلص أو تعدد الميادين التي يستعمل فيها. فكلمة أزوت (Azote) تؤدي مفهومًا واحدًا في ميدان الكيمياء. أما كلمة أداة فإنها ضعيفة الملاءمة لأنها تستعمل في ميادين عدة: وتستمد الملاءمة أصلها من الإفراد والاشتراك اللغويين[14] فالمصطلح يكون ملائمًا ملاءمة قصوى لميدانه إذا تفرد به. ويكون ضعيف الملاءمة إن أصبح مشتركًا تتداخل فيه ميادين وعلوم متعددة. وبعبارة أخرى فإن ملاءمة اللفظ أو المصطلح تعبر عن قدرة تخصّصه أو «إعجازه» إذا صح هذا التعبير الذي نفضله على «ما ورائيته» المقابلة لـ "Metalinguistique" والمخصصة للألفاظ والمصطلحات المتخصصة التي يستعملها أهل الاختصاص.

4 – 5 **الحوافز**: المقصود بها كل ما يحفز المتكلم أو المستعمل على اختيار المصطلح لأسباب صرفية ومعجمية منها صيغته البسيطة والاشتقاق منه بكثرة مع تجنّب الصيغ المعقّدة والألفاظ الغريبة والحوشية والمعربة أو المنحوتة والغامضة. فالحوافز تستمد أصلها من مبدإ **التوليد اللغوي** ومفاده اختيار اللفظ أو المصطلح الذي يتولد منه مشتقات أكثر **وهو اللفظ الذي يخرج المفهوم من الموجود بالفعل إلى الموجود بالقوة**.

4 – 6 إن هذه المبادئ الكيفية اللسانية التي طورنا مفاهيمها وركزنا أصولها العربية القديمة والحديثة تكون الجزء الأول من مبادئ التنميط التي يشمل جزؤها الثاني المبادئ الكمية اللسانية والرياضية التي وضعنا أسسها واستنبطنا مبرراتها خصيصًا للعربية دون غيرها من اللغات آملين أن تكون سندًا لوضع تنميط دولي تستفيد منه كل اللغات:

ب) المبادئ الكمية:

4 – 7 **الإطراد أو الشيوع**: يقاس المصطلح المقترح باعتبار المصادر والمراجع التي تؤيد المصطلح الواحد وتحتج له. ولقد حصرناها في خمسة مصادر على أقل

14) ويقابلان كلمتي Monosémie و Polysémie.

تقدير. فيختار اللفظ الأغلب ورودًا فيها ، كما تدل على ذلك اللوحة التالية حيث يسند له عدد حسابي تنازلي بحسب تنازل المصادر المؤيدة له :

عدد المصدار والمراجع المثبتة للمصطلح	العدد المسند
5 م. م.	10
4 م. م.	8
3 م. م.	6
4 م. م.	2
2 م. م.	1

4–8 **يسر التداول**: يقاس على أساس الحروف الأصول في العربية التي تتركب منها المصطلحات. فيختار المصطلح الأقل حروفًا أصلية كما تشهد بذلك اللوحة التالية وذلك حسب عدد تنازلي كذلك.

عدد الحروف الأصول للمصطلح	العدد المسند
الثنائي الحروف	10
الثلاثي الحروف	8
الرباعي الحروف	6
الخماسي الحروف	4
السداسي الحروف	2

وذلك لأسباب صرفية ورياضية. والكلمات الغالبة في العربية لا ثنائية ولا رباعية ولا خماسية بل ثلاثية لأن «الثلاثي متمكن في العربية ، كما قال سيبويه في «الكتاب» ولأن قانون زيف (Loi de Zipf) يُفيد بأن شيوع اللفظ على عكس طوله. ولقد أثبتنا كل الحروف الأصول للمصطلح الواحد ، على قلة

ورود بعضها (15 كلمة ثنائية في القرآن) حتى يبرر دور الكلمات الثلاثية التي تحتل مكانة تكاد تكون مثلى حسبمَا يشهد بذلك الرقم المخصص لها في اللوحة السابقة.

4 – 9 **الملاءمة**: تضبط بحسب الميادين التي يستعمل فيها المصطلح كما تشهد بذلك اللوحة التالية:

عدد الميادين المستعمل فيها المصطلح	العدد المسند
ميدان واحد	10
ميدانان	8
ثلاثة ميادين	6
أربعة ميادين	4
ستة ميادين	2
أكثر من ستة ميادين	1

فهي تخضع لمبدإ رياضي مفاده أن قوة ملاءمة المصطلح على عكس توسعه الى ميادين عديدة. فيسند أعلى عدد للمصطلح الذي يقتصر استعماله على ميدان واحد.

4 – 10 **الحوافز (أو التوليد اللغوي)**: تضبط بحسب المشتقات التي تتولد من المصطلح الواحد. فيختار المصطلح الذي تشتق منه صيغ أكثر من غيره كما تشهد بذلك اللوحة التالية:

أنواع المشتقات	العدد المسند
10 مشتقات فأكثر	10
9 مشتقات	9
8 مستقات	8
7 مشتقات	7
6 مشتقات	6
5 مشتقات	5
4 مشتقات	4
3 مشتقات	3
2 مشتقات	2
1 مشتقات	1

والملاحظ أن اختيار المصطلح يكون حسب عدد تصاعدي متصل بعدد المشتقات التي يمكن توليدها منه.

4 – 11 فالخلاصة من هذه المبادئ الكيفية والكمية للتنميط والمبررة لسانيًا وحسابيًا **أنها تضبط لأول مرة ضبطًا مرقمًا مقاييس الفصاحة** في مستوى المفردات والمصطلحات فضلاً عن أنها تضبط **أصول الجمع** واختيارها ونعني بذلك مداخل المعجم وذلك باعتماد مقاييس كيفية وكمية يمكن الإحتجاج لها لغويًا ولسانيًا.

5 – **التنميط المطبق والمقارن :**

5 – 1 يجد القارئ في اللوحتين التاليتين مثالين مطبقين من التنميط مأخوذين من العربيـة ومن الفرنسية. فلقد نمطنا في المثال الأول لترجمَات كلمة Téléphone من الفرنسية إلى العربية أما في المثال الثاني فلقد نُمِّطَ لترجمة walkie-talkie من الإنكليزية إلى الفرنسية.

– تنميط ترجمَات telephone العربية الواردة في المصادر والمراجع العربية الموثَّقة على جذاذة المصطلح المعني.

الرقم	الترجمات	الاطراد	يسر المعالجة	الحوافز	الملاءمة	المجموع
1	تليفون	9	6	6	9	30
2	هاتف	9	8	8	9	34 *
3	مِسَرَّة	1	3	6	1	11
4	مِقْوَل	1	3	6	1	11
5	إرْزيز	1	2	6	1	10
6	سماعة كبريت	1	1	1	1	4
7	سماعة حديث بالسلك	1	1	1	1	4
8	آلة تكلم على بعد	1	1	1	1	4
9	آلة متكلمة	1	1	1	1	4
10	تلغراف ناطق	1	1	1	1	4

– تنميط ترجمات: walkie-talkie إلى الفرنسية الواردة في المصادر والمراجع الفرنسية الموثقة

الرقم	الترجمات	الاطراد	يسر المعالجة	الحوافز	الملاءمة	المجموع
1	Walkie-Talkie	9	5	10	0	24
2	Émetteur-récepteur	6	2	10	10	28 *
3	Radiotéléphone Portatif	1	4	3	3	11
4	Interphone	1	5	6	8	20
5	Top-Toc	1	5	6	8	20
6	Combiné	1	5	1	6	13

5-2 إن المصطلح الفصيح الفائز في العربية هو «هَاتف» يليه «تليفون» باعتبار مجموع الأرقام المسندة لها والمتقاربة. وبالتالي يمكن في بعض الحالات اعتماد لفظ ثانٍ مرادف إذا كان عدده عاليًا ويترك للإستعمال الإختيار النهائي بينهما. أما المصطلح الفصيح الفائز في الفرنسية فهو: émetteur-récepteur باعتبار مجموع الأرقام المسندة إليه مع المحافظة علىwalkie-talkie الانكليزية الدخيلة على الفرنسية مرادفًا له.

5-3 **الخلاصة**: والغاية من هذا:

– التطبيق للمبادئ التي اقترحناها لضبط أصول الفصاحة.

– التحسيس بأن قضية التنميط سواء في مستوى الألفاظ والنصوص أو مستوى المصطلحات بالخصوص، قضية قائمة في جميع اللغات المعاصرة باعتبار الدور الذي تلعبه تلك المصطلحات في تقدم العلوم وتبادل المعارف.

– المقارنة بين العربية والفرنسية باعتبار أن العربية ليست اللغة الوحيدة التي تواجه قضايا المصطلح الحديث ومشاكله التي يمكن لها أن تستوعبها جميعًا وضعًا وتوحيدًا وتنميطًا تأييدًا لشجعاتها وفصاحتها الجديدة المتجددة.

اللغة مرآة العقيدة :
تخريج اجتماعي لغوي من خلال نظرة
مفسري القرآن والفقهاء لمسألة الاستعارة اللغوية*

يهدف بحثنا هذا إلى معالجة قضية «الاستعارة اللغوية» بالقرآن حسب نظرة مفسري القرآن والفقهاء وبالإعتماد على ما وفرته لنا الدراسات اللغوية الحديثة من معلومات. ذلك أن تلك النظرة التي سنخرجها تخريجًا اجتماعيًا لغويًا تستحق الاعتبار، بقدر ما لحقها من غبن وما أحاط بها من آراء غلبت عليها السطحية والتسرع. وتتجلى لنا مكانة تلك النظرة باعتبار أنها كيفت تصورنا لمفهوم الإستعارة اللغوية في العربية وتركت إلى يومنا هذا أثرًا في كثير من اللغويين الذين يؤيدونها سرًا وعلانية؛ ونحن نعتبر أن تلك المقاربات وما كان لها من آثار عميقة في الماضي أو الحاصر خاصة، ستسمح لنا بابداء بعض الآراء المتعلقة بصلة تلك المقاربات بمفهوم الحداثة التي تهدف الثقافة العربية الإسلامية الى استيعابها.

من البديهي أن الحدث القرآني يكون في حد ذاته حدثًا لغويًا عظيمًا، يساوي أثره في اللغة العربية الجاهلية الأثر العقائدي والإجتماعي والإقتصادي الذي أفاد به

*) لا نعنى هنا بالإستعارة اللغوية المصطلح البلاغي المشهور بل ما سماه العرب قديمًا «المعرب» أو «الدخيل». ويمكن للقارئ أن يدرك سبب التسمية للبحث المخطط هنا لها.

الإسلام نظرة المجتمع الجاهلي إلى الكون. ولن نجازف إن لاحظنا أن المظهر اللغوي للقرآن يعكس مظهره العقائدي ويعبر على العموم عما أتى به من جديد وما إليه من قضايا ومسائل. إن لغة القرآن، لا سيّما مصطلحاته الفنية ومنها «الإستعارة اللغوية» تستحق بأن تنعت بأنها لغة معجمية اجتماعية. لأن المعجمية الإجتماعية [1] التي تعتبر علمًا اجتماعيًا لغويًا يهدف إلى تفسير المجتمعات وحضاراتها بالإعتماد على الألفاظ التي تولدها، ممّا يساعد على إدراك مختلف مراحل تطور تلك الحضارات ومجتمعاتها. ونحن نعتقد أن قضية الإستعارة اللغوية حسب نظرة مفسري القرآن والفقهاء تخضع لهذه المقاربة الإجتماعية اللغوية، وتبررها في مناسبات عدة. إننا نرى أن القرآن قد زعزع المعايير الأسلوبية للغة العربية الجاهلية، وكانت تمثلها القصيدة الشعرية التي يوهمنا اكتمالها اللغوي والفني بأن النحو العربي قد نشأ قبل الإسلام وقبل ظهور مدرستي البصرة والكوفة[2]. ولقد اجتهد البيانيون لعرض ما أتى به القرآن من جديد لغوي وتفانوا في تخريجه وتبريره. ويكفينا أن نذكر في هذا الشأن بعض المؤلفات التي خصصت لهذه القضية من ذلك:

مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المثنى[3] (ت 825م)
تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة[4] (ت 889م)
النكت في إعجاز القرآن للرماني[5] (ت 386هـ)
إعجاز القرآن للباقلاني[6] (ت 1013م)

وهي مؤلفات تعتبر محاولات للإحتجاج لأسلوب القرآن سواء للدفاع عنه أو للتوفيق بينه وبين اللغة العربية الجاهلية[7]؛ إن تلك المحاولات تشهد بأن القرآن كان عدولاً

---

1) أنظر: G. Matoré, *la Méthode en lexicologie; domaine français*, Paris 1953, 126 p.
2) إننا ننوي أن نعود إلى هذه القضية لأننا نفترض أن النحو العربي قد قنن وقعد قبل ظهور الإسلام. وسيساعدنا على اعتماد هذا الرأي ما تميزت به لغة القصيدة الشعرية من قواعد لغوية مكتملة.
3) أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، جزءان، الطبعة الأولى.
4) إبن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، القاهرة 1954/1973.
5) الرماني (أبو الحسن)، النكت في إعجاز القرآن؛ ورد في مؤلف عنوانه ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، بدون تاريخ، ص 69–104.
6) الباقلاني (أبو بكر): إعجاز القرآن، القاهرة 1904؛ ص 549.
7) اجتهد البيانيون والمفسرون والفقهاء للتوفيق بين أسلوب القرآن وأسلوب القصيدة دون التوفيق دائمًا فيما رموا اليه.

واضحًا عن أسلوب القصيدة. ويهمنا من ذلك العدول مظهر مهم[8] ، وهو «الاستعارة اللغوية».

فنحن نلاحظ أن القرآن كان المدونة الأولى التي وضعت قضية «الاستعارة اللغوية» وأبرزت حدتها ضمن اللغة العربية ؛ كما نلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل عمدًا مصطلحات فنية مستعارة من غير العربية للتعبير عن أهم عناصره ونعني بتلك المصطلحات الألفاظ التالية : القرآن ، السورة ، الآية التي نضيف إليها الفاصلة والإعجاز. وقد اعتمدها المفسرون والفقهاك ليوضحوا أن القرآن قد عدل عن لغة القصيدة في ميادين شتى إذ يتبين لنا أن ما أتى به من مصطلحات أساسية قد وضع لينافس ويقابل المصطلحات الفنية التي كانت تستعملها القصيدة والشعر الجاهلي منها : القصيدة ، البيت ، القافية والفصاحة - ويبدو أن مصطلح حزب قد وضع ليقابل معنى ديوان. ويبدو كذلك أن المفسرين والفقهاء قد وضعوا مصطلح تضمين[9] ليؤيد مفهوم الإعجاز وما يعتمد من بلاغة. ولقد نبه الجاحظ حسبمَا رواه لنا السيوطي ، إلى تلك المقابلة من دون أن يفسرها تفسيرًا واضحًا ودون أن يبررها اجتماعيًا ولغويًا. فلقد ذكر «قال الجاحظ سمى الله كتابه إسما مخالفًا لما سمي به العرب كلامهم على الجمل والتفصيل سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانًا وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية»[10].

إن هذه القائمة من المصطلحات لم تظهر ، خلافًا لما اعتقده الجاحظ ، بصفة اعتباطية. فهي ليست مجرد مقابلة بين لغة الشعر الإنساني والنص القرآني المقدس. بل

---

8) تشمل عدولات القرآن مختلف الميادين اللغوية. ولقد بين البيانيون المذكورون أعلاه أن القرآن قد زعزع أسلوب القصيدة ، وصرفها ونحوها وبلاغتها.

9) نعتقد أن البلاغة تمثل المظهر المستقر أو السنكروني من الأسلوب وأن التضمين يمثل المظهر المتطور منه الذي يشهد بجهود الأسلوبين العرب المسلمين لوضع معايير علم لغوي ، وهو التضمين أو «الأسلوبية» بمفهومنا الحديث لتفسير وتبرير العدول الأسلوبي وتطورات اللغة الفصحى. ولقد استعمل مجمع اللغة العربية مصطلح التضمين لحل مشكل الأساليب الجديدة التي برزت من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين ، أنظر في هذا الشأن محمد رشاد الحمزاوي *L'Academie de langue arabe du Caire: histoire et œuvre*, Tunis 1975, pp. 405 – 423

10) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1370 – 1951 ، ج 1 ، ص 50.

إنها مقابلة بين العهد القديم والعهد الجديد تنعكس بوادرها من خلال اللغة ممّا سيكون له أثر على آراء المفسرين والفقهاء.

فنحن نلاحظ أن القرآن كان المدونة الوحيدة التي آعترفت بظاهرة الاستعارة اللغوية أسلوبًا جديدًا. ولقد دافع القرآن عن ذلك العدول بطريقتين متكاملتين. أولها أنه لم يتحرج من آستعمال ألفاظ مستعارة قد وصفها وجمعها Jeffrey [11]. أما الطريقة الثانية فهي تبرز لنا في موقف قرآني دفاعي تكرر على الأقل ثمانية مرات[12] ومفاده أن القرآن قد أنزل بلسان عربي مبين (قرآن عربي مبين). ان هذا التأكيد على عروبة القرآن يعتبر أولاً ردًا على مختلف أعداء الإسلام الوليد، ومنهم اعداؤه العقائديون، الذين اعتمدوا قوة الشعر ولغته، ومحتواه لمهاجمة الدين الجديد وأهم خصائصه وهو الإعجاز الذي تعتبر الاستعارة اللغوية جزءا منه[13].

وتلك بالطبع خدعة لنكران صفة الإعجاز عن القرآن. ولقد وجدت تلك التهمة مبررًا لها في مختلف الألفاظ التي آستعارها القرآن الذي يشهد بدوره بتلك التهمة ويرد عليها في الآية التالية: ﴿أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء؟﴾[14].

فالتهمة تعتمد على ما يبدو على تناقض بين تأكيد القرآن على عروبته وآستعماله ألفاظًا أعجمية آعتبرها القرآن مجرد هدى وشفاء. والملاحظ أن المجادلة اللغوية كانت سلاحًا حادًا قد آستعمل في الخلافات العقائدية والسياسية ممّا تشهد به إلى يومنا هذا المعارك القائمة بين العقائد والمذاهب المعاصرة.

فان استثنينا قرآن مسيلمة الكذاب (ت 633م)[15]، وقرآن قبيلة برغواتة البربرية[16]، فإننا لا نعرف نصوصًا تعبر عن مواقف عدائية تهاجم القرآن في هذا

11) Jeffrey, *The Foreign Vocabulary in the Qur'an*, Padova 1948

12) القرآن: 2/12، 37/13، 103/16، 113/20، 195/26، 28/39، 44/41، 43/43، 12/46.

13) إن مفهوم الإعجاز يعني عموما العجز عن الإتيان بمثل القرآن. وهو يحدد لغويًا باعتبار كل العدولات الواردة في القرآن ومنها الاستعارة اللغوية. فالإعجاز يفيد في هذا الصدد معنى الجديد وكل ما يأتي بمعلومات كثيفة جديدة الأثر، أنظر هذا المفهوم عند A. Martinet, *eléments de linguistique générale*, Paris 1960, p. 200.

14) القرآن 44/41.

15) الزركلي، الإعلام (الطبعة الثالثة)، ج 125/8.

16) أنظر محمد الصادق بلعشي: ***La conversion des berbéres à l'Islam***, Ed. M.T.E., Tunis 1981, p. 112.

الميدان بالذات . فلم يبق إلا أن نعتمد نص القرآن نفسه ودفاعه عن عروبته لنستخلص منه تلك الإتهامات والهجومات . وذلك ما نجد أثره في مختلف مؤلفات دعاة الإسلام . ولا بد أن نسجل في هذا الشأن أنّ ذلك الدفاع كان يعتبر في نفس الوقت غمزًا للمؤلفة قلوبهم ، وهمزًا ولمزًا للمترددين الذين يمكن أن تستهويهم آراء أصحاب المعارضة . إذ أن المهم في الأمر ، فيما يتعلق بالقرآن ، لا ينحصر عند المسلمين في ما وجد به من ألفاظ أعجمية قليلة ، بل إن المهم هو الإسلام الذي يهدف إلى الهدى والشفاء والحكمة ، والتقوى الخ .

في هذا المستوى من المجادلة يبرز دور ٱلمفسرين وٱلفقهاء ممن يهمنا أن ندرك مقاربتهم للمسألة ؛ إذ إننا نهدف هنا إلى عرض آراء البعض منهم دون سواهم . وسيبدو عرضنا ٱعتباطيًا بقدر ما سيقتصر على عدد قليل منهم . ولذلك فإن حدود هذه الدراسة لا تسمح لنا بتقديم نظرة شاملة عن الموضوع ؛ ونحن ننوي التوسع فيها للإلمام بموضع الاستعارة اللغوية في اللغة العربية عمومًا .

يبدو أن عبد الله بن عباس (ت 68 هـ)[17] كان أول من عالج القضية . ونحن نعتمده أصلاً من أصول القضية باعتبار ما حمّلته الرواية[18] من أخبار في هذا الميدان ؛ وإن كان هذا الصحابي لم يدرس دراسة نقدية وافية لمعالجة الغموض والمشاكل التي تحيط بشخصيته . إن الرواية تفيد أن هذا المفسر قد أخذ على نفسه ، خلافًا لأبي بكر الصديق الورع ولعمر بن الخطاب الماهر[19] ، إثبات ألفاظ مستعارة بالقرآن ، والدفاع عن تلك الإستعارة عملاً بحديث[20] يدعو إلى معرفة غريب القرآن . ولقد كلف إبن عباس بتوضيح ذلك للعرب وخاصة للخارجي نافع بن الأزرق (ت 683 م)[21] الذي استنجد ، حسبمَا يروي ، بابن عباس ليفسر له المفاهيم

= وقد جاء ذكر هذه القبيلة فيما ألفه ابن حوقل والبكري وابن خلدون ولقد كان هذا القرآن المكتوب كله بالبربرية يشمل 80 سورة . فالاستعارة فيه أصبحت الغالبة وإن كان من المفيد أن نعرف ما اشتمل عليه من مصطلحات عربية استعارتها اللغة البربرية .

17) السيوطي ، الإتقان ، ج 113/1 . 18) نفس المصدر . 19) نفس المصدر .

20) نفس المصدر ، وهو حديث يدعو المسلمين الى معرفة غريب القرآن .

21) نفس المصدر ، ص 120 – 133 . ولقد جمع غريب ابن عباس فؤاد عبد الباقي في مؤلفه معجم غريب القرآن . وهو يشمل أيضا مسائل نافع بن الأزرق ؛ القاهرة 1950 ، 892 ص ... ولقد نظم هذا المعجم تنظيمًا الفبائيًا ونقي من الروايات المختلفة .

الجديدة الواردة بالقرآن، ومنها الاستعارات اللغوية. ولا بدّ أن نلاحظ في هذا الصدد أن فرقة العجاردة الخارجية قد رفضت إعتبار سورة يوسف[22] من سور القرآن لأسباب عقائدية وأيضًا لأسباب لغوية. ولقد اشتق بعض المفسرين، – ولعل ذلك بتأثير منهم – إسم يوسف من أسف العربية (حزن) لامن أسف العبرية (جمع ووحد)، وإن كانت السورة نفسها تبدأ بآية مشهورة تؤكد مرة أخرى أن القرآن قد أنزل قرآنا عربيًا مبينًا[23] فيبدو أن إبن عباس قد كلف بمواصلة الدفاع عنه في الوسط الإسلامي الجديد العهد كما دافع عنه الرسول في الوسط الجاهلي الذي كان يكن العداء للغة القرآن وللعقيدة التي يعبر عنها.

إن إبن عباس كان أول من استعمل مصطلح «الغريب» للتعبير عن الإستعارة اللغوية وعن مختلف الألفاظ العربية التي طرأت عليها مفاهيم جديدة عند استعمالها في القرآن. ولقد عالج ذلك الصحابي القضية حسب طريقتين: فهو يؤكد أولاً على أصل الكلمات المستعارة. مبينًا أن «مَسْطورًا» حميرية «ورَبِّيُون» حضرمية، و«اشْمَأَزَّتْ» من لغة الأوس و«حَبْوًا» حبشية، «وطَهَ» نبطية، و«أعناب» سريانية، و«هيت لك» قبطية الخ. والمهم في هذا الشأن لا ينحصر في نقد هذه الأصول اللغوية والإشارة إلى تناقضاتها الصارخة[25] بل المهم أن نشير إلى نزعة ابن عبّاس ونزعة المتسترين إتقاء وراءه، للتدليل على وجود ألفاظ مستعارة بلغة القرآن تملأ – حسب اللغويين المعاصرين – الفراغات اللغوية العربية بألفاظ حضارية وعقائدية جديدة وضعت لتعبر نوعًا ما عن صلات الجزيرة العربية بمحيطها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

أما طريقة إبن عباس الثانية فهي تدافع عن الاستعارة في القرآن بالقياس على ما جاء منها في الشعر العربي الجاهلي[26]. ولا شك أن هذه الطريقة تحتاج إلى

22) Regis Blachère: *Le Coran*, T2/462.

23) القرآن 2/12.

24) السيوطي: الإتقان، 235/134/1، 138–140.

25) نفس المصدر، ص 139 حيث يقر إبن عباس أن طه مرة من أصل أثيوبي ومرة أخرى من أصل نبطي.

26) نفس المصدر، ص 120–133 حيث يسعى إبن عباس إلى أن يفسر لابن الأزرق معنى «غريب» واستعماله في الشعر الجاهلي، كأن الخارجي المتطرف كان يقتنع بمجرد الإستشهاد على غريب القرآن بما وجد منه في الشعر الجاهلي. ولقد جرح الكثيرون، ومنهم الفقهاء، تلك الطريقة؛ انظر السيوطي: الإتقان 119/1.

نظر[27]. فابن عباس ينطلق من معادلة لغوية مفادها أن القرآن عربي ، لأن أسلوبه يساوي أسلوب القصيدة. فهو ليس بدعة ولا يمس بالتراث الثقافي العربي الذي تمثله القصيدة.

أما الشافعي (ت 820م) فهو قد وقف من القضية موقفا دينيا لغويا مميزًا ، إذ روى عنه أنه أنكر أن تكون لفظة «قرآن» من قرأ – وهو محق في ذلك – بل يعتبرها إسم علم يدل على كلام الله الموحى لرسولهة ﷺ[28]. فلقد أطلق مصطلح «الأعجمي» في الرسالة[29] على الاستعارة ويعني به كل ما ليس عربيًا وبالخصوص كل ما هو فارسي. فعالج القضية معالجة قياسية سطحية تعتمد تمنطق المتكلمين إذ أنه بنى رأيه على تعجيز البشر بغية الاحتجاج لإعجاز القرآن. فهو ينكر على كل إنسان الإحتجاج لو جود الإستعارة بالقرآن ، إن لم يأت بحجة تشهد بأنه قد أحاط باللغة العربية كلها ؛ وذلك ما يعجز عنه البشر إذ لا يحيط بها إلّا نبي ؛ ممّا يفيد أن آدعاء الإحاطة بها يعتبر زهوًا وغرورًا وعلى هذا الأساس فالقرآن قد نزل كله بلسان عربي مبين كما تشهد بذلك الآيات القرآنية الثمانية المذكورة أعلاه. فالشافعي يتعلق بنصوص تلك الآيات ولا يرى داعيًا إلى تخريجها لغويًا ولا تاريخيًا ولا اجتماعيًا.

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى ، فإنه قد عالج القضية في مؤلفه مجاز القرآن معالجة تؤكد رأي الشافعي. غير أنه خلافًا للشافعي يعتمد اللغة ليبين أن المصطلحات الفنية المفاتيح بالقرآن مثل قرآن ، سورة ، آية الخ هي مصطلحات مشتقة من العربية[30]. وهو يؤيد من جهة أخرى رأي إبن عباس عندما يذكر بصريح العبارة أو بالإشارة أن «في القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ، ومن الغريب والمعاني»[31] إلّا أنه يؤيد رأيه الأول بحكم فقهي لغوي يفيد أن «من زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول : ومن زعم أن «طه بالنبطية فقد أكبر»[32].

---

27) نفس المصدر حيث يمكن استقراء جميع الأبيات الموضوعة أو التي لم تنسب إلى أصحابها.
29) الشافعي ، الرسالة القاهرة ، 1358 هـ ، ص 41 – 45.
30) أبو عبيدة معمر بن المثنى : مجاز القرآن ، ج 1/1 – 7.
31) نفس المصدر ، 8/1.
32) نفس المصدر ، 17/1.

ونحن لا نغالي إن لاحظنا أن المعادلة التوفيقية التي تعتبر أن أسلوب القرآن نسخة طبق الأصل من أسلوب القصيدة ، هي معادلة تعُود حسب رأينا إلى عهد أبي عبيدة. فهي تمثل نظرة من النظرات المتعددة للموضوع. ويعسر أن يكون ابن عباس قد تصور منهج الإستشهاد الذي يحتج لأسلوب القرآن بأساليب لغوية مستعملة في الشعر الجاهلي.

فنلاحظ بالعكس أن أبا عبيدة كان مبتدع ذلك المنهج والداعي له لأن مؤلفه قد وضع خصيصًا لتأييد ذلك المنهج الذي قدم منه نماذج تطبيقية دقيقة ومتنوعة يستشهد فيها للقرآن بالشعر الجاهلي.

لكن تلك المعادلة لا تصح في كثير من الأحوال ، لأن الأمثلة المعتمدة شاذة لا يتوفر فيها تواتر يقاس عليه[33] ، ولأنها لا تخلو من تناقضات. من ذلك أن أبا عبيدة يحكم على اللذين يقولون بوجود الاستعارة بالقرآن لكنه لا يتحرج من أن يقرأن «إبليس» أعجمية[34] ونلاحظ من جهة أخرى أن المؤلف يسوق 394 شاهدا منها 69 شاهدا غير منسوبة إلى أصحابها ، ومنها أبيات لأبي نواس لأبي ذؤيب الهذلي. ولا بد أن نضيف أن طريقة أبي عبيدة كانت تنحصر غالبًا في تخريج معاني ألفاظ القرآن سواء المستعارة منها أو غيرها ، بجمل عامة منها «مجازه كذا» ، و«تأويله كذا» ، و«معناه كذا»[35] فهو لا يعتني بمعنى الكلمة الأساسي ولا بمدلولها ومظاهرها الصرفية والنحوية الخ...

ألف أبو عبيد إبن سلام الهروي (ت 837م) غريب القرآن والغريب المصنف الذي يعني به دارسون مختلفون[36]. ويبدو أنه اهتم بالموضوع ممّا دعانا إلى الإعتناء برأيه فيه. وقد رواه عنه خاصة الجواليقي (ت 502هـ 1144م) في مؤلفه المعرب[37] والسيوطي في الإتقان[38]. فالروايتان تفيدان أن صاحبنا يعتمد على ابن عباس

33) لا يكفي أن يأتي الإستعمال في شاهد واحد جاهلي ليدل على إستعمال متواتر.

34) أبو عبيدة: مجاز...... 38/1.

35) تفيد تلك الجمل نفس المعنى.

36) يوجد مخطوط ذلك المؤلف بالمكتبة الوطنية بالعطارين (تونس) ولقد كلفنا عددًا من طلابنا لتحقيقه ونشره.

37) الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم القاهرة 1969/1389.

38) السيوطي، الإتقان... ، ج 137/1.

ومواليه[39] ليقر وجود ألفاظ مستعارة بالقرآن ، كما يعتمد على أبي عبيدة لينكرها ، فيوفق في موقف مذبذب بين الرأيين فيقول : «فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة. ولكنهم ذهبوا إلى مذهب ، وذهب هذا إلى غيره. وكلاهما مصيب إن شاء الله»[40].

لقد سعى أبو عبيد الهروي إلى التوفيق بين الروايتين. فهو أعجمي مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ولكنه كان مسلمًا تقيًا[41] ، اجتهد للفوز بحل وسط يوفق بين النزعتين المتعارضتين تعارضًا واضحًا. فهو يقر أن القرآن يحتوي على ألفاظ مستعارة أصبحت عربية لأن العربية قد استعملتها. فينحصر توفيقه في قوله : «فهي عربية في الحال أعجمية الأصل» فهذا القول يصدق الفريقين معًا[42].

ولقد اتبع الطبري (ت 923م) في مؤلفه جامع البيان[43] الحل الوسط الذي اقترحه أبو عبيد الهروي مقتربًا من رأي الشافعي في الموضوع نفسه. فهو يرى أن تلك الألفاظ المستعارة عربية وأعجمية «إذ كانت الأمّتان له مستعملتين في بيانها ومنطقها ، استعمال سائر منطقها وبيانها»[44]. إن هذا الفقيه كان يعتقد أن وجود تلك الألفاظ في العربية وفي الفارسية يخضع لمبدئ عام هو مبدأ تداخل اللغات. فيستنتج من ذلك انعدام لغة مدينة للغة أخرى. إلا أنه لا ينكر مع ذلك رغم تناقضات واضحة ، رأي التابعي أبي ميسرة الذي يقول بوجود ألفاظ مستعارة بالقرآن[45]. فهو لا يتحرج من تفنيد رأي أبي ميسرة مقرًا بصريح القول خلاف ذلك : «إن فيه من البيان ما ليس بعربي ولا جائزة نسبته إلى لسان العرب»[46].

ونلاحظ أن هذا المفسر يؤكد رأي أبي ميسرة عندما يقر أن تلك العبارة المبينة نفسها هي من وحي الله.

---

39) الجواليقي المعرب ص 53 حيث يذكر مجاهد وعكرمة وهما من موالي ابن عباس.

40) نفس المصدر.

41) كان من أعداء الشعوبية. توفي بمكة وكان يرغب في أن يدفن بها.

42) الجواليقي : المعرب ، ص 53.

43) الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، ط ثانية ، القاهرة 1954/1373 ج 1/8–11.

44) نفس المصدر ، ص 9.

45) نفس المصدر ، ص 10.

46) نفس المصدر.

لكنه يعتمد الشافعي وأبا عبيد في مجال آخر. فهو يستغل قياس الشافعي الشكلي، ملاحظًا أن الوادي ينتسب إلى الجبل كما ينتسب إلى السهل(47). ويستند إلى أبي عبيد فيقر موقفه التوفيقي مؤكّدًا أن ما يصح في شأن الوادي يصح في شأن الألفاظ المستعارة التي تنتسب على السواء الى العربية وإلى الأعجمية. وذلك ما آل بفقيهنا الفارسي الشافعي إلى مأزق لأنه أراد أن يوفق بين جميع الآراء من دون أن يقر واحدًا منها.

أما أبو حيان الأندلسي (ت 1345م)(48) الذي يختلف عن إبن حيان الأندلسي (ت 1076م)(49) المؤرخ، فهو يهمنا باعتبار رأيه في القضية المعبّر عنها في تفسيره «البحر المحيط»(50). ولقد ركّز رأيه على الوصف والروايات العديدة. فهو يخبرنا بأن كلمة يوسف من أصل عبري حسب بعض المفسّرين ومن أصل عربي حسب مفسرين آخرين(51). كما أنه يفيدنا أن عبارة «هيت لك»(52) هي عبرية حسب أبي زيد، وسريانية حسب إبن عباس، وقبطية حسب السعدي(53)، وعربية حسب مجاهد، مولى إبن عباس(54). ويجتهد أبو حيان فيقدم كل التخريجات – التي تبدو لنا خاطئة كلها – والتي أبداها المعجميون والمفسرون(55) فنتيه مع التائهين. وكأننا بهذا المفسر الظاهري قد ترك للقارئ حرية الاختيار بين رأي ابن عبّاس ورأي الشافعي.

عالج السيوطي (ت 1505م) القضية حسب مقاربتين مختلفتين في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» و«المزهر في علوم اللغة»(56). فهو يعالج القضية في مؤلفه الأول حسب نظرة فقهية بحتة مترجمًا في الإتقان جميع آراء المفسرين والفقهاء المتعلقة بالموضوع،

---

47) نفس المصدر، ص 11.

48) الزركلي: الإعلام ج 26/8.

49) نفس المصدر، ج 328/2.

50) أبو حيان، البحر المحيط، 8 أجزاء، بدون تاريخ. ولقد اعتمدنا منه الجزء الخامس الذي يوجد به تفسيد سورة يوسف.

51) نفس المصدر ص 272 ويبدو أن الصحابي طلحة بن مسرف قد قرأ: «يأسف».

52) القرآن 13/12.

53) أو حيان: البحر المحيط 293/5 وما بعدها.

54) نفس المصدر.

55) نفس المصدر والملاحظ أن تفسيرها صوتيًا يسير من دون ربطها صوتيًا بهوت وهيأت الخ.

56) السيوطي: المزهر في علوم اللغة – جزءان (ط ثانية بدون تاريخ).

وإن كان يميل بوضوح[57] إلى رأي التابعي أبي ميسرة الذي يقول بالمعرب في القرآن.

في المزهر[58] وفي مؤلفات أخرى[59] يفيدنا السيوطي صراحة برأيه اللغوي في القضية. فهو يقر أن الاستعارة اللغوية موجودة باللغة العربية كلها بما في ذلك مظهرها العادي أو القدسي. فنلاحظ أن رأيه هذا يعبر عن تطور واضح إذا ما قارناه برأي أستاذه وصاحب مدرسته الفقهية التي إليها ينتسب في الموضوع وهو الشافعي.

إن هذه المقاربات التي تشترك على العموم في التناقض، لا تختلف كثيرًا بعضها عن بعض. فهي تهمنا بقدر ما تقابل مقاربات اللغويين العرب المسلمين من أمثال الخليل بن أحمد (778 م)[60] وسيبويه (ت 177 هـ)[61] وإبن جني (ت 1002 م)[62] والجواليقي (ت 1144 م)[63] والخفاجي (ت 1959 م)[64]. ولقد لفت انتباهنا مقاربتهم اللغوية البحتة للموضوع، وإن كان بعضهم يذكر اتقاء ارآء بعض المفسرين والفقهاء[65]. إن هذه المقاربات المتخالفة تثير الإهتمام وتساعدنا على إدراك الأسباب التي دعت المفسرين والفقهاء إلى رفض الاستعارة أو قبولها. ونحن نستغرب من أن نرى الخليل يعالج المظهر الصوتي من الإستعارة ويخصص لها مصطلحين فنيين أحدهما المحدث والآخر المبتدع[66]. واهتم سيبويه بالمظهرين الصوتي والصرفي منها[67]. أما إبن

57) السيوطي : الإتقان المذكور سابقًا 136/1.

58) السيوطي : المزهر 269/1 – 270.

59) السيوطي : المهذب في فيما وقع في القرآن من المعرب. يذكر السيوطي هذا المؤلف المعجم بالإتقان (ج 135/1) ويبدو أنه فقد. وقد حققه ونشره عبد الله الجبوري، بمجلة المورد، الصادرة عن وزارة الإعلام العراقية ج 1 (1391هـ 1971) فصلتا 2/1، ص 97 – 126.

60) الخليل بن أحمد : كتاب العين بغداد 1967.

61) سيبويه : الكتاب. جزءان، القاهرة 1316هـ.

62) إن جنى : الخصائص. جزءان، القاهرة 1371هـ 1952م

63) أنظر حاشية عدد 36.

64) شهاب الدين الخفاجي : شفاء الغليل فيمًا في كلام العرب من دخيل، بدون تاريخ. وانظر في شأن هذا المؤلف الزركلي الإعلام 228/1.

65) الجواليقي : المعرب، ص 51 – 58 يشهد بأحسن مثال عن تعلقه بالإتقاء الذي يتركه عندما يعالج القضية في متن معجمه.

66) الخليل بن أحمد : كتاب العين، ص 58 وما بعدها.

67) سيبويه : الكتاب 342/2 – 343.

جني فلقد اعتبرها قياسية[68] عندما تخضع للأوزان العربية. ويتسع مجال معالجتها مع الجواليقي الذي تشمل مقاربته كل مظاهرها اللغوية ما عدا الإستعارة الأسلوبية. فهو يؤكد بالخصوص على المعرب منها والأعجمي[69] ويعالج القضية معالجة علمية بذكره أصول الكلمات المستعارة، واستشهاداتها واستعمالاتها وخاصة هياكلها التي تتركب منها لا سيّمَا صدورها ولواحقها. ويعتبر معجم الجواليقي معجمًا مختصًا، فريدًا من نوعه في العربية ولعله كذلك في اللغات الأخرى في عصره ذاك. ولقد أكمل الخفاجي نقصه بأن عالج في مؤلفه «شفاء الغليل» الاستعارات الأسلوبية وقد سمّاها الدخيل[70].

ويحق لنا بعد هذا العرض السريع لآراء اللغويين في القضية أن نتساءل عن أسباب اختلافهم في معالجة المسألة عن المفسرين والفقهاء. وقد تواصل ذلك الاختلاف بصفة خفية إلى يومنا هذا فيبدو لنا أن تلك الإختلافات ناشئة أولاً عن المحيط الإجتماعي اللغوي. فإبن عباس مثلاً كان يدعو في مقاربته الأولى للموضوع إلى أن يبرر وأن يدافع عن القرآن مبينًا ما أتى به من جديد، لا سيّمَا في باب الاستعارة التي اعتبرها ثراء وتأييدًا للغة العربية[71]. ويدل مصطلح الغريب (الغريب عن القوم الدخيل، اللاجئ) على تسامحه ذلك. فهو يعبر عن موقف مجتمع قبلي من الغير ويعكس موقفه من الثقافات الأخرى الناشئة من مجتمعات أخرى. فالأمر عند إبن عباس يعني إيواء الغريب اللاجئ وحمايته والتعايش معه. ولقد سعى إبن عباس في مقاربة ثانية أن يقف من القضية موقف أبي عبيدة معمر بن المثنى عندما اجتهد للتوفيق بين أسلوبي القصيدة والقرآن. إن تلك المعادلة التي لا تنتسب إلى عهده، حسب رأينا بل إلى عهد أبي عبيدة وتعتبر ملحقًا للرأي السابق. وهما يخضعان بدون شك لنوايا معينة ودقيقة. فلقد كان يهدف من وراء رأيه الأول إلى الحد من تمييز لغة القرآن التي كانت تمثل في نهاية الأمر تطورًا بالنسبة للغة القصيدة. ويمكن أن تحل منها محل اللغة الدارجة العامية في ذلك العهد[72]. فهي تكون في حد ذاتها حكمًا مباشرًا على معايير

---

68) ابن جنى : الخصائص 1/357 – 369.

69) الجواليقي : المعرب، المقدمة.

70) الخفاجي : الدخيل، ص 10.

71) السيوطي : الإتقان 1/123.

72) اعتبرنا الرأي الذي يفيد بأن القرآن أنزل بسبع لغات وفي ذلك نظر. وإن كان من الممكن اعتماده لتبرير ملاحظاتنا.

القصيدة التي عوضت ألفاظها المفاتيح بألفاظ مفاتيح من القرآن كان أغلبها مستعارًا. إن تلك المجادلة اللغوية تعبر في الحقيقة عن تجابه اجتماعي اقتصادي وسياسي وثقافي يعتمد تجابه المجتمع القبلي والمجتمع الجماعي الإسلامي.

لقد كان القرآن يهدف الى محو قوانين الجمالية الجاهلية وبالتالي محو تصورها للكون وشريعته. فكانت الاستعارات من أهم العناصر في ذلك الصراع. وليس من الغريب أن يهاجم القرآن القصيدة وبصفة خاصة الشعراء[73] لأن الشعر والشعراء كانا وسائل إعلام خطيرين يحاربان العقيدة الجديدة، وما أتت به من جديد من ذلك الإستعارات. ومن المفيد أن نلاحظ أن القرآن لا يحكم على الشعر والشعراء في حدِّ ذاتها بقدر ما يحكم عليهما باعتبارهما أداة لدعاية معينة تستعمل اللغة سلاحًا فتاكًا للقضاء عليه. وعلى ذلك الأساس فإن دفاع إبن عباس عن لغة القرآن وآستعاراتها، دفاع عن أصول العقيدة الجديدة التي تنتسب إلى الإعجاز اللغوي. ويبدو أن الرسول قد كلفه بتلك المهمة[74] دفاعا عن أصول الثقافة الجديدة وعن عناصرها برمتها.

أما المقاربة الثانية، سواء أكانت من عنده أم من عند أبي عبيدة فهي قد تولدت جزئيًا عن رد فعل الذين عارضوا القرآن. فاقتضى الأمر مجابهتهم باعتماد حجتهم وذلك بأن يبيّن أن أسلوب القرآن جزء لا يتجزء من أسلوب القصيدة العتيقة، وبالتالي لم يطرأ جديد ولم يتغير شيء ولا يوجد خلاف بين العروبة لغة والإسلام دينًا — اللذين يكونان حلقتين مترابطتين من سلسلة واحدة — ممّا يفيد أن لغة القصيدة عبارة نص القرآن ومحتواه. والملاحظ أن هذه العودة إلى التراث المشترك تعبر عمومًا عن التوافق الحاصل بين الرسول وعشيرته، بعد عودته من هجرته إلى المدينة. فيستنتج من ذلك أن موقف إبن عباس كان متأثرًا بالقطيعة بين الرسول وعشيرته ثم بتوافقه معها ممّا دعاه أولا إلى الدفاع عن أسلوب القرآن أسلوبًا مخالفًا لأسلوب القصيدة ثم ثانيًا إلى التوفيق بين الأسلوبين. فأقر أضدادًا يبدو أنها أصبحت من خصائص الثقافة العربية الإسلامية[75].

73) القرآن 224/26.

74) يروى عن الرسول أنه قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه علم التأويل» فهذا الحديث موضوع لأسباب عدة ولكنه يعبر عن الحال التي أشرنا إليها.

75) جاك بارك وج ب شارناي: الأضداد في اللغة العربية باريس 1967، ص 437

J. Berque et J. Charnay: *L'ambivalenc dans la langue arabe*, Paris 1967, 437 p.

يبدو أن موقف الشافعي من القضية كان يخضع لنفس العوامل لأن رأيه فيها كان يظهر ردًا على الداعين إلى قطع الصلة القائمة بين العروبة والإسلام. ولا بد أن نذكر هنا أن الشافعي قد عاش في فترة كثرت فيها الملل والنحل[76] وولى فيها النفوذ العربي الذي قام مقامه شيئًا فشيئًا نفوذ الفرس وثقافتهم. ووافق ذلك ظهور حركة الشعوبية التي تقابلت فيها العروبة والإسلام ولعبت اللغة في ذلك دورًا مهما. فكان دعاة الإسلام المتغلبين يدعون باسم أصحابهم من غير العرب، إلى تداخل الثقافات من ذلك الثقافة اليونانية والفارسية والهندية، والعبرية، والمسيحية الخ. فهم يؤيدون بطبيعة الحال وجود الإستعارة اللغوية في القرآن ويقولون أيضًا بفضل الديانات الأخرى على الإسلام. فكان رد الشافعي بأن اعتمد العروبة لمقاومة هذه النزعة الجديدة فهاجمها في عقر دارها مشهرًا بالفلسفة الأرسطوية التي ترتكز عليها والتي أفسدت على المسلمين أمرهم[77].

إن الدعوة إلى هذا التداخل اللغوي والثقافي لا يعتبر عن مهاجمة القرآن العربية فحسب بل عن نكران النفوذ العربي برمته. ويبدو أن الشافعي كان متفطنا لتلك الظاهرة السياسية الثقافية التي كان لها أثر عظيم في عصره لأنه لاحظ أن الفرس الذين هزمهم العرب سياسيًا باسم الإسلام العربي كانوا يسعون إلى استرجاع النفوذ السياسي باعتماد النفوذ الثقافي. ألم تغزو أثينا روما ثقافيا وكانت الثانية قد غزتها عسكريًا – فيكفي أننا مدينون في المستوى اللغوي، لسبيويه الفارسي الذي وضع أهم كتاب في النحو العربي، ولا داعي بنا إلى تعداد الأمثلة الدالة على مساهمة الفرس الكبرى في تنمية الثقافة العربية الإسلامية. ولقد كانوا متعلقين باتقان العربية لأن جهلها كان يكون عقبة في سعيهم الى الفوز بمساواة العرب المسلمين مساواة كاملة.

إن هذا المظهر من القضية يحتاج الى دراسة عميقة تؤيده. ولقد اعتمدناه بالضرورة لأنه يفسر مناهضة الشافعي للإستعارة اللغوية. لأنها تكون حسب رأيه خطرًا على العرب وعلى الإسلام بالخصوص باعتبار ما طرأ عليه من ملل ونحل. وكان الشافعي يقرن الحركة الداعية الى الاستعارة بالفرس. ولهذا اطلق عليها مصطلح

---

76) أنظر: H. Laoust: *Les schismes dans l'Islam*, Paris 1965, 466p

77) دورية تراث الإنسانية، ج 140/9.

الأعجمي لا الغريب الذس ٱستعمله المفسرون والفقهاء من أمثاله. ولقد حاولت حركات متطرفة بعد ذلك ترجمة القرآن الى الفارسية والصلاة بالفارسية كذلك. ولقد أشار إليها ابن فارس من بعده في مؤلفه «الصاحبي في فقه اللغة»[78] ورد عليها فيه. ويبدو أنها وجدت في عهد الشافعي الذي قرن بين هذه الحركة والدعوة الى القطيعة بين العروبة والإسلام خدمة للإعاجم الذين كانو يرغبون في «عجمنة» الثقافة العربية الإسلامية عجمنة تامة.

وتظهر مناواة الشافعي لذلك النفوذ الفارسي الجديد المتأرجح من خلال المصطلح الفني «الأعجمي» الذي أطلقه للدلالة على الإستعارة اللغوية. فهو يفيد «الفارسي» بالخصوص كذلك الغامض والمشتبه. ولا غرابة أن يصدر مثل هذا الحكم عن فقيه كان حكم ضمنيًا على فقيه آخر من أصل فارسي وهو أبو حنيفة (ت سنة 767 م) الذي كانت مدرسته الفقهية تدعو إلى الإستحسان إذا إلى التساهل الذي يبدو أنه كان يفيد عند الشافعي ٱنقراض مفهوم العروبة. إن هذه النظرة إلى الاستعارة لا تمنعنا من أن نلاحظ أن الشافعي قد أقر بدون أن يشعر القطيعة بين الإسلام والعروبة عندما انحاز الى العروبة فحسب. وهو في نكرانه للإستعارة بالقرآن لأسباب اجتماعية لغوية، قد اختار التحيز للقصيدة أي للفصاحة ضد الإعجاز الذي يعتمد على الاستعارة التي تعتبر عدولاً عن قواعد القصيدة وتجديدًا أسلوبيًا يختص به القرآن.

وهكذا يبدو أن القصيدة قد ٱستعادت مكانتها الثقافية واللغوية. ولقد عبّر أبو عبيدة أكثر من غيره على معادلة إبن عباس التعادلية التي تفيد بالخصوص، دون أن تصيب في ذلك دائمًا، بخضوع قواعد القرآن لقواعد القصيدة، ويظهر هذا الموقف غريبًا من رجل أصله يهودي ٱعتنق الإسلام وٱتهم بالإنتساب إلى الشعوبية والخوارج وحتى الشيعة[79]. فهو يسوي بين ٱستعمال القرآن وٱستعمال القصيدة ويقر ضمنيًا الأولوية لِمَفهوم العروبة. إن صاحب مؤلف «مثالب العرب» هذا بصري النزعة، قد كان شغوفًا بالقواعد المعقدة والمهيكلة البصرية التي تعتمد الشعر ٱحتجاجا للغة ممّا جعل الكوفيين ينفردون بتبرير مبدئ الشذوذ اللغوي الإيجابي الذي يشهد به القرآن ويشهد بأن القرآن تجاوز يدل على تطور لغة القصيدة.

---

78) إبن فارس : الصاحبي في فقه اللغة، القاهرة 1238−1910، ص 30.

79) أبو عبيدة : مجاز 1/10−11 (أنظر مقدمة الناشر فؤاد سزكين).

إن الآراء السابقة تصبح محل نظر إن اعتبرنا موقف أبي عبيد منها إذ أنه سعى إلى التوفيق بينهما. فالتوفيق بين لغة القرآن ولغة القصيدة يعبّر عن حل وسط يأخذ بعين الإعتبار المظهر الاتنولوجي أو الجنسي الذي يمثله تراث القصيدة والمظهر العقائدي الذي يمثله الإسلام والقرآن.

إن هذا التوفيق الذي ٱستمد على ما يبدو من سيرة الرسول، يعبّر في الحقيقة عن مظهر غالب في الثقافة العربية الإسلامية الإستقطابية، المتوحدة والساعية الى البحث عن تضامن عناصرها ولو كان ذلك أحيانًا على حساب التقدم والتطور. ولقد كانت تلك الثاقفة تحير بالخصوص الفقهاء والمفسرين، المتسامحين في جلهم والذين كانوا يطمعون في وجود حل مرضى للوحدانية الثقافية الإسلامية العربية. أو ليس ذلك المشكل هو القضية الأبدية التي يختص بها الإسلام ماضيًا وحاضرًا لا سيّمَا وأن مفهوم العروبة لا يوافق أحيانًا لأسباب قاهرة وضرفية، مفهوم الإسلام؟

إن الطبري الذي أقر بتداخل الألفاظ عند الأمم واشتراك معانيها كان يهدف الى القضاء على آراء الشعوبية السلبية التي شجعها في بعض الأحيان، صاحب مدرسته الفقهية ورئيسها الإمام الشافعي، فلقد كان يرمي إلى المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية وإن كان يقر بصريح العبارة بوجود أمتين[80]: أمة العرب وأمة العجم. فهو يخضع بكل وضوح التفسير اللغوي لاعتبارات فقهية وسياسية ممّا يؤول به إلى تخريجات متنوعة ومتنافرة تدل على وعيه بالتخريجات النسبية السابقة.

أما أبو حيان الأندلسي فهو قد ٱعتمد رأيًا لا يختلف كثيرًا عن سابقيه. فلقد عرض علينا آراء عديدة ومتنافرة جعلته لا يخرج عن نطاق النزعتين الكبيرتين المتقابلتين الداعيتين إما للإسلام أو العروبة ولذلك فإنه لا يقترح علينا رأيًا جديدًا. فهو بربري الأصل، يتقن لغات مختلفة وله مؤلفات باللغات الإسلامية[81] (التركية والفارسية

---

80) الطبري: الجامع... 9/1.

81) الزركلي: الإعلام، ص 26 حيث يذكر مؤلفاته وهي:

أ) زهور الملك في نحم الترك.

ب) الإدراك للسان الأتراك

ج) منطق الخرس في لسان الفرس.

د) نور الجبس في لسان الحبش.

والأثيوبية) غير العربية. وكان ينزع الى الإعتراف بوجود الإستعارة في القرآن. إلا أن مذهبه الظاهري كان يمنعه من التصريح بذلك. وكان يمثل تمثيلاً صريحًا النزعة الموسوعية الفوضوية التي تؤيد كل الآراء على اختلافها. ولهذا فإن معالجته للموضوع كانت تعكس، من وراء تمذهبه الظاهري، وضعية الثقافة العربية الإسلامية التي كانت تدافع عن كيانها باعتماد معرفة موسوعية فياضة.

ولقد اتبع السيوطي منهجًا فيه كثير من الإقتباس يعبر عن ازدواجية شخصيته الفقهية اللغوية التي تأخذ بكل شيء من طرف دون أن تتجاهل تسليط النقد على المادة اللغوية مثلما هو الشأن في مؤلفه المزهر. ومن البدهي أن ذلك الرجل المثقف الشافعي النزعة والمعتدل في آرائه كان يعتمد نظرة مزدوجة في معالجة القضية. فهو يتبع منهج الفقهاء في مؤلفه الإتقان في علوم القرآن، ويحذو حذو اللغويين في المزهر. وكان يشير ضمنيًا إلى أن معالجة القضية معالجة لغوية هي المثلى إلا أنه لا يهمل النظرة الفقهية لاعتبارات تاريخية ووثائقية. وكان يرتكز عليها اتقاء، مثله مثل الجواليقي في كتاب المعرب، لتأييد مقاربته اللغوية عندما اعتمد التابعي أبا ميسرة ليقر وجود الإستعارة بالقرآن. وكأننا بالسيوطي قد سعى إلى التوفيق بين نظرتين هامتين دون الخلط بينهما وهما النظرة الفقهية والنظرة اللغوية. وفعل ذلك عائد الى أثر ثقافة عصره الموسوعية وإلى تأثره بآراء لغويين لامعين من أمثال الخليل.

ولقد لاحظنا أن كل المفسرين والفقهاء كانوا يشتركون في التعلق بمبدإ واحد هدفه التوفيق بين حداثة الإستعارة الإسلامية – أي الإعجاز وما فيه من جديد – ومعايير العروبة اللغوية الثابتة[82]. فكأننا بهم يؤيدون بآرائهم سيرة الرسول الإسلامي في العودة إلى عشيرته قريش بعدما عادته. ولقد تسببت بعض مراحل الأزمة في القطيعة فنتجت عنها مواقف وآراء تنكرت الى عنصر من عناصر الثنائية المتكونة من العروبة والإسلام.

أما في عصرنا هذا فلقد كثر الجدال في هذه القضية التي اعتنى بها أهل السلفية واعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة. فكان الأولون من داعاة وحدة إسلامية مناضلة

82) وذلك لا يعني أن الشعر الجاهلي لم يحتو على ألفاظ مستعارة. ويبدو أن تلك الألفاظ قد أهملت في تلك الفترة وتعلقت الهمم بألفاظ ممتازة مثل قرآن سورة، آية الخ.. فلقد كانت طاقتها المعجمية متفجرة فشدت إليها الإهتمام.

ووطنية ترى أن الإستعارة دخلية على لغتنا وثقافتنا. فهي مثلها مثل الجندي الأجنبي في أرض الوطن[83] وبذل المجمعيون جهدهم حسبمَا يقر ذلك دستور مجمعهم[84] للدفاع عن حرمة اللغة العربية ضد كل الاعتداءات الثقافية واللغوية. والملاحظ أن عددًا معينًا من أعضاء المجمع كانوا ينتسبون إلى حركتي الوحدة الإسلامية والوحدة العربية[85]. ولقد تركوا آراء ومواقف معاصرة من القضية تستحق الاستقراء والتحليل على ضوء النظريات اللغوية العصرية. ونحن نعتقد أن القضية الأساسية التي يجب طرحها لا تتعلق بالعثور على أثر الجدال القديم في الجدال الحديث فحسب بل تستدعي أن ننظر نظرة جديدة الى ما جد فيها في الماضي والحاضر حتى نحدد معنى الاستعارة، وهي ظاهرة كونية، وذلك ضمن حركية ثقافية عصرية شاعرة بتداخل الحضارات وبمساهماتها في تطور الإنسان.

83) محمد رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (بالفرنسية) تونس 1975 ص 26 وما بعدها.

84) نفس المصدر، ص 41 – 48.

85) نفس المصدر، ص 73 – 91.

الاستعارة اللغوية قديمًا وحديثًا : منزلتها من التوليد اللغوي الفصيح واثراء المعجم العربي الحديث

تعريف : إننا لا نقصد بالاستعارة اللغوية الاستعارة البلاغية المعروفة بل نعني بذلك ما شهر بالمعرب والدخيل وهو كل ما تستعيره لغة معينة من لغة أخرى ، مجاورة أو مباعدة أو وراثة ، في مستوى الألفاظ والصرف والنحو والأساليب ، سعيًا وراء تحقيق توازن نظامها الذي خلى من مقولات لغوية لم توفرها بوسائلها الذاتية وذلك لأسباب حضارية وثقافية .

ولقد اخترنا أن نستعمل مصطلح «الاستعارة اللغوية» عوضًا عن المصطلحات المتعارفة وذلك لسببين مترابطين :

– معناه العام الذي يعبر تعبيرًا شاملاً عن هذا المظهر من التوليد اللغوي دون أن يكون فيه لبس .

– متابعة مختلف تصوراته عند العرب القدامى والمحدثين ومعرفة مدى إدراكهم لمعناه نظريًا وتطبيقيًا بالاعتماد على ما أطلقوا على الاستعارة اللغوية من مصطلحات مختلفة وهي عديدة لا تأمن اللبس والاضطراب .

وإسنادًا إلى ما سبق فإننا نهدف إلى دراسة هذه المسألة من ناحيتين :

أ) الناحية التاريخية أو الديكرونية التي تساعدنا على توضيح معانيها وتطبيقاتها وتطوراتها من خلال الألفاظ المستعملة للتعبير عنها.
ب) الناحية الوصفية المزامنة لنا أو السنكرونية بغية تقدير مساهمتها في عملية التوليد اللغوي واثراء المعجم العربي الحديث.

1 – الاستعارة اللغوية من الناحية التاريخية:

فكيف نشأت القضية وكيف تطورت؟ وما هي حالها اليوم؟

إننا نعتقد أن الاستعارة كامنة في العربية مثلها مثل اللغات الأخرى لأنها ثابتة في الاستعمال العربي منذ الجاهلية ممّا يشهد به الشعر في مناسبات عدة. قال امرؤ القيس:

ودوّيّـــة قفر تمشّى نعـــاجهـــا   كمشي النصارى في خفاف الارندج

«والأرندج كلمة معربة وهي اسم لضرب من الجلد أسود اللون أو المدبوغ بالعفص»[1] والملاحظ أن هذه الاستعارة وغيرها لم تكن ذات شأن عند الجاهليين. فلم ترو عنهم حسب علمنا مجادلات في هذا الشأن ولم يحكموا على الشعراء ممّن استعملوا الاستعارة ولم يآخذوهم على استعاراتهم باسم الفصاحة التي اتخذت معنى خاصًا في الإسلام، فتبدو بحسب المقام، مصطلحًا عربيًا إسلاميًا أصبح كلمة مفتاحًا* مع الحدث القرآني، وهو أعظم حدث لغوي في العربية.

إن النص القرآني يعتبر الوثيقة اللغوية الأولى التي طرحت هذه القضية على بساط البحث في العربية. لماذا؟ لوجود استعارات دلالية وأسلوبية في القرآن استرعت إهتمام من اهتموا به تهجمًا عليه أو دفاعًا عنه، لأنه خلافًا للكتب المقدسة الأخرى وبصفة استثنائية[2]، اعتمد اللغة معجزة من معجزاته.

فلقد أحدث القرآن على – حد اللسانيين المحدثين – مقابلة لغوية مقصودة بينه

1) عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب ط. الثانية، القاهرة 1957، ص 56.
*) هي كلمة فنية محور، كثيرًا ما تعبر عن التصور الأساسي للموضوع المطروق.
2) لقد انطلقت الدراسات اللغوية من كتب دينية، ذلك شأن الفيدا عند الهنود.

وبين الشعر تظهر من خلال المصطلحات المتقابلة التالية :

القرآن	الشعر
السورة	القصيدة
الآية	البيت
الفاصلة	القافية
التضمين	البلاغة
الإعجاز	الفصاحة

إنها مقابلات جديرة بالاعتبار لأنها تبرز مناسبات الوصل[3] بين أجزاء كل جدول كما تبرز مناسبات تعويض[4] متنافرة تصور لنا ما بين الجدولين من اختلاف يعبران عن تصويرين مختلفين للقوانين الجمالية وبالتالي عن مذهبيتين اجتماعيتين لمجتمعين مختلفين إن أخذنا بعين الإعتبار الحقول الدلالية للكلمات المتقابلة وما تعبر عنه من قيم إجتماعية ومجادلات ناتجة عن التقابل الموجود بين القرآن والشعر.

فالقران فرض نفسه على الشعر معجزة لغوية بما في ذلك استعاراته. والشعر دافع عن نفسه وعن اصالته متهمًا القرآن بالخروج عن الفصاحة العربية. فتبدو لنا المعركة معركةً بين القديم والحديث. ولقد أكد القرآن على معجزته بقدر ما هاجم الشعر استعاراته اللغوية. إننا نستشف حدة تلك المجادلة من مهاجمة القرآن للشعراء إذ جاء فيه :

«والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون»[5]. وتزداد المهاترة شدة فيمَا اعتد به القرآن من دفاع عن استعاراته بالتأكيد على عروبتها في الآيات التالية التي تؤكد بصفة خاصة على كلمة شاهد[6] وهي «عربي». قال تعالى :

---

3) من وضعنا ونعني بها ما يعبّر عنه دي سوسير بـ rapports associatifs وهي مجموعة الكلمات أو الأفكار التي تترابط بمحاورها مثل تعليم ، تربية ، أمية الخ....

4) من وضعنا ونعني بها ما يعبر عنه بـ rapports paradigmatiques وهي تمثل الرصيد اللغوي الذي يستمد منه المتكلم ألفاظه وعباراته للتعبير عن أفكار مختلفة وذلك بتعويض كلمة بأخرى أو عبارة بأخرى حسب المقال والمقام.

5) الشعراء 224/26.

6) من وضعنا ونعني بها mot témoin وهي كل كلمة تشهد على تحول في المجتمع في مراحل تطوره.

-﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾[7]
- ﴿وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا﴾[8]
- ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾[9]
- ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيًا وصرفنا فيه من الوعيد﴾[10]
- ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[11]
- ﴿قرآنا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾[12]
- ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيًا لقوم يعلمون﴾[13]
- ﴿أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[14]
- ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا﴾[15]
- ﴿إن جعلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾[16]
- ﴿وهذا كتاب مصدق لسانًا عربيًا لينذر الذين ظلموا﴾[17]

ومما يؤيد هذا الدفاع ما أورد السيوطي في **الإتقان** «فالأكثرون ومنهم الامام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى قرآنا عربيًا»* .

وبالطبع فلقد اندثرت جميع آثار التهجمات الجاهلية على القرآن لا يشهد على وجودها إلّا ردود القرآن عليها . فما هو المصطلح اللغوي الذي أطلق على الاستعارة القرآنية المعنية؟ يبدو أن الاستعمال العام السائد في عصر القرآن كان يقر لفظة **الأعجمي** ممّا تدل عليه الآية الرابعة والأربعون من سورة فصلت ، ويمكن أن نتصور وجود مصطلح آخر نستقرئه من حديث مرفوع عن أبي هريرة «اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[18] .

---

7) يوسف 2/12 .
8) الرعد 37/13 .
9) النحل 103/16 .
10) طه 113/20 .
11) الشعراء 95/26 .
12) الزمر 28/39 .
13) فصلت 3/41 .
14) فصلت 54/41 .
15) الشورى 3/42 .
16) الزخرف 3/43 .
17) الأحقاف 12/46 .
18) نفس المصدر ، ص 113 .
*) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، القاهرة 1951 ، ج 135/1 .

ولقد اشتق المفسرون من لفظة غرائب مصطلح **الغريب** ، ورووا أن ابن عبّاس (ت 688 م) كان أول من تكلم في الاستعارة اللغوية ونسبوا إليه أقوالاً وآراء كثيرة فيها نظر. والملاحظ أن مفرد غرائب هو غريبة وليس غريبًا فضلاً عن أن ما نسب إلى ابن عباس يبدو من وضع المتأخرين الذين أرادوا الاتقاء. ولذلك يبدو لنا أن المصطلحات التي عوضت مصطلح الأعجمي هي المصطلحات التي استعملها الخليل بن أحمد (ت 778 م) في مقدمة كتاب العين. فلقد سعى إلى تعريف الاستعارة اللغوية تعريفًا لغويًا علميًا باعتبار مظهرها الصوتي فقال «إذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة أو شفوية «وهي (ر – ل – ن – ف – ب – م) ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو إثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة ، مبتدعة ليست من كلام العرب لأنك لست واجدًا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلّا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو إثنان أو أكثر»[19]. **فالمحدث والمبتدع** وصفان مترادفان للاستعارة يدلان على حدث كلامي حسب علم اللغة الحديث ، يفيد ما يطر على كلام العرب ونظامهم الصوتي من بدعة بمعنى الأسلوب الصوتي الجديد الذي يخالف أسلوبهم الصوتي.

لكن الخليل يردف المصطلحين السابقين بمصطلح ثالث يستحق الاعتبار وهو **المولد** لأنه يعتبر الكلمات الخماسية الخالية من حروف الذلق والشفوية مولدات لا تجوز في كلام العرب «لأنه ليس منهن شيء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئًا وإن أشبه لفظهم وتأليفهم ، فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنت»[20]. ويزودنا الخليل في مقدمته بمصطلح لغوي رابع لا يخلو من أهمية وهو ما أسماه **الدخيل**. فيقول في هذا الشأن «فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم... ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل»[21].

فالخليل قد استعمل أربعة مصطلحات وهي المحدث ، والمبتدع ، والمولد ، والدخيل. فما هي صلاتها بالإستعارة اللغوية عموما؟ وهل لها خصائص تميزها الواحدة عن

19) الخليل بن أحمد ، كتاب العين طبعة عبد الله درويش ، بغداد 1967 ، المقدمة ، ص 58.

20) نفس المصدر ، ص 59.

21) نفس المصدر ، ص 60.

الأخرى؟ يبدو لنا أن هذه المصطلحات مترادفة باعتبار أنها تفيد جميعًا **الدخيل** وما يتصف به من الحداثة لأنه ليس من الأصل ، يولد من الحاجة إليه أو من إرادة اللبس والتعنت ، فهو بدعة جديدة . ويؤيد رأينا في الترادف ما جاء في المقدمة «قال الليث : قلت فكيف تكون الكلمة **المولدة المبتدعة** غير مشوبة بشيء من هذه الحروف؟»[22] ولم يميز الخليل بين الدخيل الذي يتلاءم مع أوزان العربية والدخيل الذي فيه اعتياص . ولعل ذلك يعود إلى أن هم الخليل كان متعلقًا أولاً بظاهرة الاستعارة وأوصافها الصوتية لا بحسب أنواعها الصرفية . ولا بدّ في هذا الصدد من ابداء ملاحظتين :

أ) إن تفسيرنا لهذه المصطلحات لا يمنعنا من أن نشك في ورودها بكثرة في نص واحد وجيز مثل مقدمة كتاب العين الذي أملاه الخليل . ولا غرابة أن تكون من وضع المتأخرين لا سيّمَا لغويي عصر الاحتجاج لأن كتاب العين بمَا في ذلك مقدمته لم يسلم من التجريح إذ أن بعضهم قد شك في نسبته إلى الخليل باعتبار الأخطاء الواردة فيه[23] .

ب) أن القاعدة الصوتية التي رويت عن الخليل لتمييز العربي من غيره ليست مطردة في الرباعي والخماسي ، وإن كثرت فيهمَا الكلمات المحدثة والمبتدعة لطول مقاطعها . إن الخليل لم ينتبه إلى أنه يوجد بالقرآن كلمات رباعية وخماسية فيها حروف ذلق وشفاه وهي ليست من أصل عربي من ذلك :

- ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾[24] (قرطاس)
- ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[25] (أساطير)
- ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون﴾[26] (الأرائك) . يضاف إلى ذلك أن الخليل لم يتبين المحدث الثلاثي وهو كثير في العربية وقد استعمل عوضًا عن كلمات عربية موجودة مثل الورد عوضًا عن الحوجم والناي عوضًا عن الزمخر[27] .

---

22) نفس المصدر ، ص 58 .

23) السيوطي : المزهر ، ج 77/1 .

24) الإنعام 7/6 .

25) المؤمنون 83/23 .

26) يس 57/36 .

27) الشيخ عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ص 22 .

إن المصطلح الذي يلي مصطلحات الخليل تاريخيًا هو مصطلح **ما أعرب** الذي استعمله سيبويه (ت770م). وهو تلميذ الخليل في الكتاب «باب ما أعرب من الأعجمية» و«باب إطراد الإبدال في الفارسية»[28]. فلقد عالج من الإستعارة مظهريها الصوتي والصرفي. ولقد تناول فيهما بالدرس ما طاوع أصوات العربية وأوزانها وما اعتاص منها، خلافًا لما قاله الخليل. فهو يقول في هذا الصدد «إعلم أنهم ما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة فربمَا ألحقوه ببناء كلامهم وربمَا لم يلحقوه، فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم ألحقوه ببناء هجرع وبهرج ألحقوه بسهلب»[29] وهو يلاحظ أن العرب تستطيع أن تغير الكلمة الأعجمية تغيرًا كاملاً. «وربمَا غيروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فابدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيًا غيره وغيروا الحركة وابدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنه أعجمي الأصل فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم»[30].

أما ما لم يبلغوا به بناءهم فهو نحو ابريسم واسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان.

الغريب هو المصطلح الذي يلي المصطلحات السابقة، ولقد ورد ذكره في مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 825م) الذي يقول «وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب، ومن **الغريب** والمعاني...»[31] فهو لا يعرفه ولا يطبق له وذلك لاحتمالين: أما أنه معروف لا يحتاج إلى توضيح وأما أنه ما زال غامض المعنى في عصره. والملاحظ في هذا الشأن أن صاحبنا ينكر الاستعارة في قوله المشهور «نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول»[32].

ولم يستعمل الشافعي (ت 820م) مصطلح الغريب وهو من معاصري أبي **عبيدة**. وإنما يقول **بالأعجمي** حيث يؤكد «فقال منهم قائل: إن في القرآن عربيًا **وأعجميًا**، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب»[33].

---

28) سيبويه : الكتاب ط. بولاق 1316هـ ؛ ج 342/2 – 343.

29) نفس المصدر. 30) نفس المصدر.

31) أبو عبيدة معمر بن المثنى : مجاز القرآن، جزءان، القاهرة 1970، ج 17/1.

32) نفس المصدر.

33) الشافعي : الرسالة، ص 41 تحقيق أحمد محمد شاكر الذي يذكرها في مقدمة المعرب للجواليقي، القاهرة 1969، ص 12.

ولقد نقل لنا السيوطي تعريفًا عن الغريب الذي قسمه إلى **غريب عربي** من ذلك «واخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال ابن عباس ما كنت أدري ما قوله: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» حتى سمعت قول بنت ذي يزن: «تعال أفاتحك أخاصمك»[34].

وإلى **غريب غير عربي** من ذلك:

«أسفار»: «قال الواسطي في الإرشاد هي الكتب بالسريانية وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية»[35] ولا شك أن في هذه الآراء نظر، وليس من موضوعنا أن نتطرق إليها لأنه سبق لنا أن عالجنا أسبابها في مكان آخر[36].

أما ابن جني (ت 1002م) فلقد تطرق في الخصائص إلى الاستعارة اللغوية في باب أسماه «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[37] ويعني بذلك الاستعارة التي تخضع للأوزان العربية، فيقول في هذا الشأن «قال أبو علي: إذا قلت الخشنكان – فهذا من كلامهم لأنك باعرابك إياه قد **أدخلته** كلام العرب. ويؤكّد هذا عندك أن ما **أعرب** من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها»[38] فإنه أشار إلى الدخيل وإلى المعرب بعبارتي «قد أدخلته» و«ما أعرب». فهو صرفي مثله مثل سيبويه لا يهمه من الموضوع إلا الدخيل المطواع.

ويعتبر الجوهري (ت 1005م) أول من استعمل مصطلح **التعريب** للدلالة على الاستعارة اللغوية التي عرفها تعريفًا عامًا ونظريًا إذ يقول في الصحاح «وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها»[39] وهذا تعريف غامض إذ لا نعلم ما هي المناهج وما هي أصولها؟ ولا غرابة أن يكون الجواليقي (ت 1114م) أول من نظر إلى موضوع الاستعارة اللغوية نظرة شاملة لأنه خصص لها معجمًا لعله الأول من نوعه

34) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، 1951، ص 113.

35) نفس المصدر، ص 137.

36) محمد رشاد الحمزاوي: *Emprunt linguistique... cahiers de Tunisie,* Tome XXII, 1974, pp. 177–195

37) ابن جني: الخصائص، ج 357/1.

38) نفس المصدر.

39) الجوهري: الصحاح، القاهرة 1956، ج 179/1.

في تاريخ اللغات كلها. وهو حدث ثوري لأنه اعتبر أن الاستعارة جزء من اللغة لا سيّمَا اللغة العربية. فكيف عبر عن هذه الاستعارة؟ نجد عنده مصطلحات كثيرة منها :

الأعجمي يقول : «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي»[40].

الدخيل يقول أيضا : «ليعرف الدخيل من الصريح»[41].

المعرب ورأيه فيه : «والأسماء المعربة (في الصرف وتركه) على ضربين : أحدهما لا يعتد بعجمته وهو ما أدخل عليه لام التعريف نحو «الديباج» والديوان والثاني ما يعتد بعجمته – وهو ما لم يدخلوا عليه لام التعريف كـ «موسى وعيسى»[42]. ولقد عالج من الاستعارة مظاهرها الصوتية والصرفية والنحوية في مستوى المفردات – في المستوى الصوتي يقول «والاستبرق غليظ الديباج ، فارسي معرب وأصله استفره»[43] ويذكر في المستوى الصرفي «البرسام : أيضًا معرب وهو هذه العلة المعروفة و «بر» هو الصدر و «سام» من أسماء الموت – وقيل «بر» معناه الابن – والأول أصح لأن العلة إذا كانت في الرأس يقال لها «سرسام» وسر هو الرأس وقيل تقديره : إبن الموت[44] أما في المستوى النحوي فهو يعتمد «بلاس وجمعه بلس – هكذا تقول العرب – وبياعه البلاس ...»[45].

إن الجواليقي يكاد يعيد مصطلحات سابقيه إلا أنه يؤكد على مظهر معين من الاستعارة اللغوية وهو **المعرب** الذي يبدو متفرعًا إلى معرب طاوع العربيّة[46] ومعرب استعصى عليها[47].

أما السيوطي (ت 1505) فلقد أطلق على الاستعارة مصطلحين يختلفان

---

40) الجواليقي : المعرب ، القاهرة 1969 ، ص 51.

41) نفس المصدر.

42) نفس المصدر.

43) نفس المصدر ، ص63.

44) نفس المصدر ، ص 93.

45) نفس المصدر ، ص 94.

46) وهو ما يمكن أن نعبر عنه بالفرنسية بـ Emprunt intégré.

47) وهو ما يقابل الفرنسي Emprunt intégral.

باختلاف كتبه. فلقد ترك لنا كتابًا لم يحقق إلا أخيرًا اسمه **المهذب فيمَا وقع في القرآن من المعرب**[48] وعالج الموضوع نفسه في المزهر وسماه أيضًا **المعرب**[49] وفي الاتقان في علوم القرآن وسماه **الغريب**.

عند الخفاجي (مولود سنة 1571م) يستبد مصطلح **الدخيل** بالإستعارة اللغوية. ولقد وضعه المؤلف عنوانًا لمؤلفه **شفاء الغليل فيمَا في العربية من دخيل**[50] واعتنى بمظهر جديد منها وهو الاشتعارة في مستوى الجمل وذلك ما يعرف اليوم بتعريب الأساليب. فالدخيل يشمل الأساليب التي تدخل الفصحى سواء من اللغات الأعجمية أو من العامية. وهو هنا يفيد معنى الغريب.

لقد رأينا أن نكتفي بهذا القدر من اللغويين القدامى وذلك لاعتبارين: أولهما أن من عالج القضية بعد السيوطي فهو ينسب الى العصور الحديثة ويدخل في الجزء الثاني من موضوعنا هذا. أما الاعتبار الثاني فهو ناتج عن كوننا لم نفز بجميع النصوص التي تساعدنا على تقديم نظرة شاملة عن الموضوع.

إن الدراسة التاريخية التي أتبعناها تفيد على ما فيها من نسبية أن الإستعارة جزء من العربية وأن مصطلحاتها كثيرة فيها غموض واضطراب (انظر اللوحة رقم 1). والغالب عليها يفيد أن اللغويين العرب والمسلمين قد تصوروا الاستعارة اللغوية في مظهر غالب وهو ضرورة مطاوعتها لقوانين العربية مهما كان الميدان الذي تدخل فيه. ويلي **المعرب** إحصاء وبالترتيب الأبجدي **الدخيل** (4 مرات) **والغريب** (4 مرات). وهي كلها أوصاف يمكن أن تطلق على **المعرب** (6 مرات). فهي جميعها باستثناء المعرب تدل على حكم على هذه الاستعارة التي لا يرغب فيها. فإن استقرت فإن الأمر يستوجب أن تعرب فتصبح عربية. ولعل أكثر المصطلحات حيادًا وأقربها إلى الاصطلاح اللغوي، هو مصطلح **المحدث** الذي أطلقه الخليل على الاستعارة اللغوية ولم تكتب له الغلبة.

---

48) السيوطي: المهذب فيما وقع في القرآن من العرب، تحقيق عبدالله الجبوري، مجلة المورد العراقية، ج 1—1291/2، 1971، ص 97—126 وقد قدمنا له بمجلة حوليات الجامعة التونسية، ج 10/ص 209 — 211.

49) السيوطي: المزهر، ج 268/1.

50) شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل فيمَا في العربية من دخيل، دار أحياء الكتب 1285هـ/ 1866م.

2 – الاستعارة من حيث حالتها اليوم :

في هذا القسم لا نهتم بالمواقف النظرية والمصطلحات التي يبدو أنها لا تختلف عن مصطلحات العصور الكلاسيكية العربية مثلما بيّنّا ذلك في الصفحات السابقة[51] ومثلما يتبين في المعجمين الوسيط[52] والمنجد[53]. بل نركز جهدنا على أمثلة تطبيقية مأخوذة من حرف الباء من المنجد والمعجم الوسيط لندرك أهمية الإستعارة المطبقة ولنميز مواقف المعاجم العربية الحديثة منها وبالتالي مكانتها من البيداغوجية العربية المعاصرة. لقد ابتدأنا باستخراج جميع الاستعارات من المعجمين المذكورين والموجودة بحرف الباء منها. ولقد دوناها في (لوحة رقم 2) وضعناها في آخر النص وأثبتنا في جدول اليمين استعارات المنجد وفي جدول اليسار استعارات المعجم الوسيط. فما هي النتائج التي يمكن أن تستقرأ من اللوحة المعنية؟ أنها تبدو كما يلي :

1 – المنجد يحوي 83 استعارة ممّا يقارب 1485 مدخلاً من مداخل حرف الباء. وذلك ما يمثل تقريبًا 5 في المائة من مجموع المداخل.

2 – المعجم الوسيط يحوي 102 معربًا ودخيلاً مما يقارب 2430 مدخلاً من مداخل حرف الباء. وذلك ما يمثل 4 في المائة من مجموع المداخل. إن النسبتين محترمتان لا تختلفان عن نسب الاستعارات في المعاجم الاروبية ولا سيّمَا معجم لاروس الفرنسي.

3 – إن المعجمين يحويان 34 لفظًا مشتركًا، أما الباقي فهو مختلف تمام الاختلاف. والملاحظ أن هذه الاستعارات المشتركة هي من الاستعارات القديمة. ممّا يدل على أن المنجد يحتوي ما يقارب من 50 في المائة من المصطلحات القديمة وهذا دليل على المحافظة. ولقد سعى المعجم الوسيط إلى أن يجدد استعاراته فلم يحو من الاستعارات القديمة إلا الثلث (102/34).

4 – إن جل الاستعارات الواردة في المعجمين تعبر عن ميادين مختلفة منها الشؤون العامة والطعام واللباس والعلوم لا سيّمَا الكيميا وما إليها.

---

51) محمد رشاد الحمزاوي : *L'Académie de langue arabe du Caire*, Tunis 1975 ص 161–272 ؛ 361–372 ؛ 517–522.

52) المعجم الوسيط : ج 275/1، ج 597/1.

53) المنجد، ص 205، 516.

5 – المنجد لا يفرق بين الدخيل والمعرب ويكتفي أحيانًا بأن يقول (**عربيتها كذا**) أو (**فارسية عربيتها كذا**) أو (**الكلمة معربة**). مثال ذلك :

البابور : عربيتها الباخرة.

البخت : كلمة فارسية عربيتها الحظ.

برنيطة : عربيتها القلنسوة (كذا !)

البلاس : والكلمة معربة.

6 – إن اعتبرنا الأوصاف الواردة في النقطة الخامسة السابقة نلاحظ أن المنجد قد وصف 12 لفظة بـ «عربيتها كذا» أو «فارسية عربيتها كذا» وكلمة واحدة بـ «معربة». أما الباقي من استعاراته وهي 70 فلقد أتت غير موصوفة. فما هو السبب؟ هل هو قصور وعدم قدرة على الوصف أو أنه نوع من الاتقاء حتى لا يتهم الاباء اليسوعيون أصحاب المنجد، «بتنصير» العربية؟

7 – المعجم الوسيط لا يصف إلا 36 استعارة من 102 من الاستعارات الواردة في حرف الباء. وهذا قصور واضح لا ندري إن كان يدل على عجز في التعريف أو هو عائد إلى الغفلة أو الاضطراب ومن ذلك الأمثلة التالية :

البابا ؛ البخت ؛ البلسم ؛ البيطار.

فهل هي معربة أو دخيلة؟ وقد وصف البعض منها الجواليقي في معربه.

8 – الباقي من استعارت المنجد وهي 66 استعارة موصوفة بما يلي :

أ) يطلق عليها وصفًا عامًا بحسب العبارات : عربيته كذا، فارسي الأصل، فارسي، فارسيته، فارسي معرب وإليك أمثلة :

– البابوج : فارسيته بابوش

– البربج : عربيتها الاردبة.

– البركار : فارسي.

– بنزهير : فارسي الأصل.

– البارياء : فارسي معرب.

– البيمارستان : فارسي معرب.

إن الاستعارات الموصوفة بهذه الطريقة لا تتجاوز 13 استعارة في حرف الباء : فما يعني بالمعرب والدخيل حسب المعجم الوسيط؟ هل يفيد ذلك أن المعرب هو

كل ما طاوع الأوزان العربية والدخيل هو كل ما اعتاص ولم يطاوعها لأن مجمع اللغة العربية واضع هذا المعجم يعرف التعريب بحسب ما جاء في صحاح الجوهري وهو التفوه بالأعجمي حسب مناهج العرب؟ لكن المعربات والدخيلات الموجودة في حرف الباء تفيد عكس ذلك بتاتا. إن **المعرب** حسب المعجم الوسيط هو كل كلمة أعجمية دخلت العربية في العصور الكلاسيكية واستعملها العرب القدامى بقطع النظر عن مطاوعتها أو عدمها لأوزانهم. وذلك ما تدل عليه الأمثلة التالية :

البازق ؛ الباذنجان ؛ البيرقدار ؛ البيمارستان.

أما **الدخيل** في المعجم الوسيط، فهو كل كلمة أعجمية دخلت العربية في العصور الحديثة بقطع النظر عن مطاوعتها للأوزان العربية أولاً. والأمثلة التالية تدل على ذلك :

البابا ؛ الباوبية ؛ البرلنت ؛ البرواز ؛ البربري ؛ بنتكوت.

نستنتج من هذا أن التعريفين يخضعان لعامل الزمن لا إلى العامل الصوتي أو الصرفي مثلما سعى إلى ذلك اللغويون المختصون القدامى. فما دخل العربية قديمًا فهو **معرب** وما دخلها حديثًا فهو **دخيل** – وهذا التعريف الذي يعتمده المعجم الوسيط لا يختلف عن تعريف الفصحاء المتفصحين من أمثال الشيخ أحمد الاسكندري، عضو مجمع اللغة العربية الذي يرى أن المعرب هو ما نقله العرب الفصحاء الذين يعتد بعروبتهم وعاشوا إلى نهاية القرن الثالث للهجرة وأن الدخيل هو ما نقله المتأخرون من العرب المولدين[54]. وهكذا تتفرع الاستعارة حسب المعجم الوسيط إلى إستعارة فصيحة وأخرى دونها فصاحة. **والغريب في الأمر أن المعجم الوسيط يحوي 12 معربًا و41 دخيلاً ممّا يبين أن الاستعارة الفصيحة مغلوبة قد استبدت بأمرها استعارة دونها فصاحة.**

9 – لقد استعمل المعجم الوسيط مصطلحات أخرى ودل عليها بعلامات من ذلك مصطلح «**مجمعية**» **(مج)** «**ومحدثة**» وهما يفيدان أن الأولى من وضع المعجم وأن الثانية قد أقرت بالمجمع لشيوعها واطاردها في الاستعمال. ولقد وضع المعجم هذين المصطلحين أمام بعض الكلمات المستعارة. وهما مصطلحان ينفيان العجمة عنها

54) محمد رشاد الحمزاوي : ...L'Académie ص 363.

– فالكلمات المتبوعة بـ (**مج**) و**محدثة** هي كلمات أعجمية الأصل من ذلك : البرنس (**محدثة؟**) – البنزين (مج؟). ولا شك أن هذا يدل على اضطراب في التصنيف.

10 – الاضطراب يظهر في اعتماد الوصف أو إنعدامه ، من ذلك أن المعجم الوسيط يقر «البوتقة» و«البوذقة : (د) «كما يقول» البوطة : البوتقة (د)» ولقد خلط هنا بين البوتقة والبوذقة وهما معربتان حسب معاييره السابقة والبوطة وهي دخيلة.

إن مشاكل الاستعارة عديدة ومعقدة لا سيّمَا إذا كانت لا ترضخ لقواعد مضبوطة لم ينص عليها في المستوى النظري والتطبيقي ، فضلاً عن مشاكل أخرى هامة من ذلك إقرار المستويات اللغوية الأعجمية التي يجب أن ننقل عنها الاستعارات. **فهل** يجب أن نكتفي بالاستعارات الأدبية أو نأخذ أيضًا من الاستعارات العامية؟ تلك قضية تحتاج إلى نظر وهي لا تختلف عن قضية أخرى وهي تتمثل في ضبط مقدار ما يؤخذ من الاستعارات القديمة والحديثة بحسب هدف المعجم ونوع مستهلكيه.

إننا نستنتج من دراستنا ومن القضايا التي أثرناها أن قضية الاستعارة اللغوية التي نشأت مع القرآن تعتبر عمليًا ، ومهما كانت الاختلافات في شأنها ، وسيلة من وسائل التوليد اللغوي في العربية وتنمية المعجم العربي بالرغم ممّا تقتضيه تلك الوسيلة من شروط كثيرًا ما يتجاوزها الاستعمال ويتجاهلها لا سيّمَا في ميدان العلوم ومنها الكيمياء. إلّا أن حالة الاستعارة في العربية الحديثة تبين :

1 – غموض مصطلح الاستعارة وتشعبه في العربية التي كثرت فيها مصطلحاته دون الوصول إلى مصطلح عام. ويحسن أن نطلق عليها اسم **الاستعارة اللغوية** مقابلة بالإستعارة البلاغية التي هي من نوعها وإن لم تكن من جنسها. وهذا لا يمنعنا من اعتبار مصطلح **معرب** لكل كلمة أعجمية تطاوع الأصوات والأوزان العربية **ودخيل** لكل أعجمية لا تطاوع أصواتنا وأوزاننا.

2 – وضع معايير مضبوطة في استقراء المعربات والدخيلات ومستوياتها باعتبار الشيوع والاطراد وإثبات ذلك في المعاجم.

3 – تجنب تداخل الاستعارات القديمة والحديثة وربطها بأنواع المعاجم وأهدافها وأهداف مستعمليها. فإن كان المعجم أصوليًا موجها لذوي الاختصاص يحسن أن تكثر الاستعارات القديمة مع ذكر ما يطرأ عليها من حديث. أما إذا كان المعجم موجها للطلاب والأدباء ، فإنه يحسن أن تغلب فيه الاستعارات الحديثة لأن

الطالب ، يحتاج إلى استيعاب اللغة المستعملة في زمانه ولا الى اللغة في استعمالاتها التاريخية المتوالية.

4 – إن الاستعارة اللغوية جديرة بأن تعتبر وسيلة من وسائل التوليد اللغوية التي تستوجب معايير مضبوطة لا مانع من إسنادها إلى قواعد مرنة تتطور مع تطور اللغة.

لوحة 1

المؤلف	مؤلفه	المصطلح المستعمل	العناصر المطروقة من الاستعارة
1 – القرآن		الأعجمي	جميع مقولات اللغة
2 – ابن عباس (ت 688 م)	غريب القرآن؟	الغريب	جميع مقولات اللغة؟
3 – الخليل : (ت 778 م)	كتاب العين (مقدمة)	المحدث ، المبتدع المولد الدخيل	الأصوات
4 – سيبويه : (ت 770 م)	الكتاب	ما أعرب	الأصوات والصرف في مستوى المفردات
5 – أبو عبيدة : (ت 825 م)	مجاز القرآن	الغريب	الدلالات والأساليب
6 – الشافعي : (ت 820 م)	الرسالة		لا وجود له في العربية
7 – ابن جني : (ت 1002 م)	الخصائص	ما أعرب ؛ الدخيل الأعجمي	الصرف والنحو في مستوى المفردات
8 – الجوهري : (ت 1005م)	الصحاح	التعريب	الأصوات
9 – الجواليقي (ت 1114 م)	المعرب	ممّا اعرب ، الأعجمي الدخيل	جميع مقولات اللغة
10 – الخفاجي : (ت 1571 م)	الدخيل	الدخيل	المقولات النحوية في مستوى الجمل خاصة
11 – السيوطي : (ت 1505 م)	1 – المذهب في ما وقع في القرآن من المعرب 2 – المزهر 3 – الاتقان في علوم القرآن	المعرب المعرب الغريب	جميع مقولات اللغة

لوحة 2 – جدول الاستعارات الواردة في حرف الباء في المنجد والمعجم الوسيط

الاستعارات بالمنجد – حرف الباء			الاستعارات بالمعجم الوسيط – حرف الباء		
البابا	البركان	تبنك	البابا	البرلنت	البلانة
بابل	البرميل	البهار	البابوية	البرميل	البنج
بابوج	البرنامج	البهرمة	البابوج	برهمات	البند
بابور	البرنس	البهور	البابونج	برمودة	البندار
البابونج	البرنيطة	البوتقة	الباذق	البرنامج	البندر
البادزهر	البازبورط	البودقة	الباذنجان	البرنس	البندقية
الباذنجان	البستان	البوري	البارود	البرنيطة	البندول
البارود	البسلي	البورياء	الباسليق	البرنيقي	بنزهير
البازدار	البشتختة	البوسطة	الباشا	بروتستو	البنزين
البازار	البط	البوقيصا	البأج	بروز	البنط
البازهر	البطاطا	البوليصة أو البولصة	البر	البرواز	البنفسج
الباسليق	البرطشيل	البوليس	الببغاء	البري بري	تنبك
الباش	البرطشين	البيدر	البترول	البيزار	البنك
الباشا	البطريق	البيدق	البجامة	بسبوسة	بنتكوت
البالة	البطرك	البيرق	البخت	بستر	البنكام
بالو	والبطريك	البيرمون والبارمون	البدرة	البستان	بهرام
البالون	والبطريرك	البيزار	البربج	البسلة	البوتقة
البامبا	البطل	البيكار	البربر	البشكور	البودقة
الببغاء	البعل	البتيلسان والبلسان	البربط	البشكير	البوذقة
البتية	بغداد	البمارستان	البرتقال	البشكلة	البارياء
البخت	البقدونس	والمارستان	البارجة	البوصلة	الباري
البخشيش	البوقال والباقول	البيوردي	البرج	البطريق	البوري
البربر	البلاس	والبيورلدي	البرجاس	البطرك	البوز
البربط	ابليس		البريزة	بغداد	البازيار
البرتقال	البلسم		البرسطاتة	بغدد	باسة
البرج	البلسن		البرسام	بقسماط	البوصي
البرجيس	البلستون		البرشام	بشماط	البوطة
البرزج	البلاط		البرطل	بقلاوة	الباقة
البرطاش برطلة	البلم		البرطمان	البلبول	بيطر
البرطيل	البنحكشت		البرعم	البلاس	البيطار
البرعم	البندر		البرغل	البلسم	البيطرة
البرغي	البندق		البيرق	البلسن	البمارستان
البرقير	البندقية		البرقدار	البلاط	
البرفين	البنفسج		البركار	البلطة	
البركار والبيكار	بنك		البركان	البلان	

التداخل* الأسلوبي في الفصاحتين الفرنسية والعربية

ترمي هذه المقاربة إلى إلقاء نظرة وصفية على المعربات الأسلوبية التي استعارتها العربية الحديثة من اللغة الفرنسية. وذلك يعني أننا نهتم بالمظهر المعاكس من هذه القضية، وان كان بعضهم قد سبق إلى وضع دراسة في شأنها تجاوزتها الأحداث[1] وخصص لها البعض الآخر دراسة حديثة[2] يستحسن أن يستدرك أمرهما على ضوء النظريات اللسانية الحديثة.

ان التداخل الأسلوبي يشمل في مفهومه الواسع جميع المظاهر الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغة والسيمية مما تعتبر لحنا (واللحن يعني لغويًا الميل والخروج عن الطريق قبل أن يعني الخروج عن قواعد الاعراب) بالنسبة للمعيار القياسي العربي، فإن كان يصعب على اللغوي المعاصر أن يحدد بدقة معنيي المعيار القياسي والأسلوب فإننا نعتبر أن الظاهرة الأسلوبية تتمثل في كل مادة لغوية تتميز «بكثافة اخبارية»[3] أي أنها

*) استعمل ابن جني هذا المصطلح في الخصائص للتعبير عن التداخل بين اللهجات.

1) H. Lammens, *remarquer sur les mots dérivés de l'arabe*, Beyrouth 1890

2) Fathi Nassr, *emprunts lexicologiques du français à l'arabe, des origines jusqu'à la fin du XIXe siècle*, imprimerie Hayet et Kamal, Beyrouth 1966

3) A. Martinet, *éléments de linguistique générale*, Paris 1960, p.2000

تتمثل في كل لحن يحوي أقصى عدد ممكن من الأخبار الجديدة[4] في جميع المستويات اللغوية.

وتنقسم هذه المواد الأسلوبية إلى نوعين منها ما ينشأ عن تطور داخلي في النظام اللغوي الواحد ومنها ما ينشأ عن تلاقح بين لغتين كما هو الشأن بين العربية والفرنسية. ولقد سمحت عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للغة الفرنسية أن تتبوأ منزلة اللغة المعطية وأن تتبوأ العربية منزلة اللغة الآخذة التي دخلتها بطبيعة حالها كثير من أساليب الفرنسية.

لقد كان إبراهيم اليازجي – وهو أديب لبناني ثنائي اللغة ومن نزلاء مصر – أول من نبهنا في العصر الحديث إلى قضية التداخل الأسلوبي بين العربية والانكليزية والفرنسية. فلقد أثار في مقالة مشهورة وهي لغة الجرائد[5] قضية المصطلحات والاستعمالات اللغوية الحديثة المختلفة التي كانت تنشرها الصحافة وتروجها، فلقد لاحظ حينذاك «بيد أننا مع ذلك كله لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظًا قد شذت عن منقول اللغة فانزلت في غير منزلها واستعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوهة... وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجمًا بحاله»[6].

إن هذه الملاحظات على غاية من الأهمية بقدر ما تعبّر عن معارضة الصفويين اللغويين هذه الظواهر الأسلوبية وبقدر ما تبرز أهمية دور الصحافة في تطوير اللغة العربية، ذلك أننا نعتبر من دون مجازفة أن الصحافة تكون أكبر حدث قد ساهم، بعد الحدث القرآني، في تطوير اللغة العربية. فهي تمثل انقلابًا عميقًا لن نفتأ من التأكيد عليه[7]، لأن الصحافة أصبحت «تتحمل مسؤولية نقل الأخبار وتبادلها العملي. فهي ترمي إلى أن تحصر مهمتها في توفير المفاهيم التي تضمن بحيادها التطابق مع الواقع تطابقًا كليًّا»[8].

---

4) E. Genouvrier et J. Peytard, *linguistique et enseignement du français*, Paris 1970, p. 262

5) إبراهيم اليازجي · لغة الجرائد، الضياء 1 (1898 – 1899) بالقاهرة.

6) نفس المرجع ص 3.

7) محمد رشاد الحمزاوي: أ) مجمع اللغة بالقاهرة: تاريخه وأعماله، تونس 1975، ص 19 وما بعدها حيث يطرق موضوع دور الصحافة وأهميته في تطوير العربية.

ب) الشعب (جريدة جزائرية) عدد 3132 بتاريخ 19 سبتمبر 1973 ص 8 في نفس الموضوع.

8) J. Berque, *les arabes d'hier à demain*, Paris 1960, p. 191

ولقد شن أهل الصفاء اللغوي – وكانوا ملة كثيرة – حربًا شعواء على جميع أنواع المعربات. وكانت هذه الحرب اللغوية تستمد قوتها من القومية العربية الوحدوية[9] ومن السلفية الداعية إلى الوحدة الإسلامية[10]. فتصدى المجمع العلمي العربي بدمشق المكون سنة 1919[11] ومجمع اللغة العربية بالقاهرة المكون سنة 1932[12] لتنقية اللغة وتصفيتها من الدخيل الأسلوبي. فأخذا على عاتقيهما الدفاع عن عبقرية العربية والمحافظة على سلامتها[13] وذلك ما جعل مجمع القاهرة يرفض مبدئيًا تلك الأساليب المعربة، ويستعيض عنها بالأساليب الفارسية واليونانية القديمة ولا يقبل الجديد منها إلا ما تفرضه الضرورة القاهرة[14].

ان هذا الرفض المطلق يعتبر أحسن دليل على خطر القضية. ولقد تطور شيئًا فشيئًا حتى نشأت منه محاولات تتحلى بالمرونة ويتغلب فيها الطابع الوصفي على الطابع التحليلي اللغوي[15] ويجدر بنا أن نلاحظ في هذا الصدد أننا سعينا إلى تقديم نظرة تأليفية عن مختلف النزعات المتقابلة في هذه القضية[16]. ولقد ساهم علماء من ثنائي اللغة، مثل المجمعي السوري، المرحوم مصطفى الشهابي، المتعلم في فرنسا، مساهمة فعالة لحل هذه القضية حلاً علميًا باعتبار أنها كثيرًا ما أدمجت في قضايا لها صلة وثيقة بالاعتبارات السياسية.

لقد أصبح اليوم من المتعارف أن اللغة الفرنسية قد أثرت في أغلب الميادين اللغوية العربية، إذ أننا نلاحظ في علم الأصوات مثلاً أن ثنائي اللغة من العرب لا سيّمَا في شمال افريقيا قد حافظوا على أصوات ومقاطع المصطلحات الفرنسية المعربة

9) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 24 وما بعدها.

10) نفس المرجع.

11) محمد رشاد الحمزاوي : المجمع العلمي العربي بدمشق وترقية اللغة العربية، بريل هولندا 1965.

12) رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة السابق الذكر.

13) مجلة مجمع اللغة العربية، ج 1 (1934) ص 22.

14) نفس المرجع، ص 14 وما بعدها.

15) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 383. ونذكر من تلك المحاولات محاولة الشيخ عبد القادر المغرب، وهي تعريب الأساليب بمجلة مجمع القاهرة، ج 332/1 – 349، ومحاولة إبراهيم السامرائي في دراسات في اللغة، بغداد 1961، ص 239 – 256. ولقد قدم الكاتب الأول بعض التحليلات اللغوية للموضوع واكتفى الثاني بعرضها فحسب.

16) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 369 – 387 ؛ 487 – 523.

مثل dynamo, cinéma, téléphone, neutron, microphone, gramme [17] كذا الشأن في أسماء الاعلام مثل Jean و Paul وأحيانًا باريس التي لا تلفظ بالراء المكررة بل بالغين التي تعتبر علامة على انتماء المتلفظين بها إلى الطبقة البرجوازية أو إلى زمرة المتشدقين. وكان الكاتب المصري محمود تيمور قد تهكم على هذا التشدق النابع عن موذة العصر.

ومما تجدر ملاحظته في موضوعنا أن مجمع اللغة كان قد قرر باقتراح من مصطفى الشهابي أن يفضل، عند نقل المعربات، النطق الفرنسي على النطق الانكليزي[18]. ولكننا نعلم أن هذا القرار لم يطبق دائمًا باعتبار تغلب عدد المتعلمين بالإنكليزية من المجمعيين وأهل الأدب. أما نظام علامات الترقيم الفرنسي، فإنه أثر تأثيرًا واضحًا في مجموعة قواعد حروف التاج والترقيم التي وضعتها وزارة التربية في مصر سنة 1931[19]. ولقد أثر استعمال الفرنسية في الجزائر على طرق التلفظ والترقيم في الكلام الجزائري بالعربية العامية[20].

ويمكن لنا في هذا السياق أن ندرج تأثير الكلمات الفواتح (Sigles) في العربية التي استعملتها لغتنا في القديم لأننا نجد لها أثرًا في مؤلفات الأدباء[21] والرياضيين[22] من علماء الاسلام في القرون الوسطى. لكن هذه السابقة لا تمنعنا من ملاحظة أثر الكلمات الفواتح الفرنسية في العربية الحديثة من ذلك ص.ب. (صندوق البريد) المقابلة لـ B. P. (Boîte Postale) الفرنسية؛ تلـ: (تليفون) المقابلة لـTél. (Téléphone) الفرنسية. ولقد كثر استعمال هذه الكلمات الفواتح للتعبير عن اسماء الهيئات الوطنية

---

17) Vincent Monteil, *l'arabe moderne*, Paris 1960, p. 62.

18) محمد رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 521.

19) وزارة التعليم بمصر. حروف التاج والترقيم، القاهرة1931.

20) Marcel Cohen, *Ponctuations du discours empruntées au français par l'arabe d'Algérie*. Extraits des mélanges géographiques et d'orientalisme, offert à E.F. Gautier, Tours 1937, pp. 152–156. (ترقيات الكلام الفرنسية التي استعارتها العربية الجزائرية)

21) Mohammad Ben Chanab, Listes d'abréviations, *revue africaine*, 61–62 (1920–1921) pp. 134–138 (قائمة الفواتح).

22) Mohammad al-Souissi, *La langue des mathématiques en arabe*, Tunis 1968, pp. 394–396 (لغة الرياضيات في العربية).

والعالمية والشركات التجارية والصناعية لا سيّمَا في أقطار الشرق الأوسط العربي الذي يعتبر أقل محافظة في هذا الموضوع من أقطار المغرب العربي. ويكفي في هذا الصدد أن تقارن الصحف التونسية بالصحف السعودية مثلاً لنلاحظ الفرق بين موقفيهما من هذه القضية.

ويبدو أن مقاومة هذه الفواتح تكون رد فعل ضد ظاهرة تعتبر دخيلة على اللغة العربية وان كانت تشهد على استعمالها نصوص عربية قديمة منها القرآن[23]. ولا شك أن استعمالها سيعمم في العربية الحديثة لأنها ناتجة عن مبدإ الاقتصاد الخطي المربوط بمبدإ الاقتصاد اللغوي بصفة عامة أو بما يسميه بعضهم بمبدإ السهولة. لكن هذه المبادئ لا تمنع بعضهم من أن يعتبر أن اقرار هذه الفواتح أمر صعب لأنه يضاعف مشاكل الكتابة العربية التي تكون في حد ذاتها نوعًا من الفواتح غير المشكولة. والملاحظ أن هذه القضية لن تجد حلاً مرضيًا ما لم نجد حلاً عميقًا لإصلاح الكتابة العربية اليدوية أو المطبعية.

في الصرف أمثلة كثيرة[24] تدل على تأثر العربية بالفرنسية وإن كان العرف اللغوي يقرأن التداخل الصرفي لا يطرد مثلما يطرد في مقولات اللغة الأخرى. إن هذا التداخل موجود في العربية منذ القدم فلقد نبهنا المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (Louis Massignon) إلى أثر المثال الصرفي اليوناني في المثال الصرفي العربي[25].

ولقد كثرت مظاهره في عصرنا من ذلك التّمييز بين المذكر والمؤنث في المفردات التي كانت تدل على الجنسين. ونلاحظ تأثير الفرنسية في مستوى المثنى وفي «اسم الجنس»*. إن هذه التّمييزات ناتجة عن الترجمات السريعة التي كان يقوم بها الصحافيون من ثنائي اللغة اقتداء بالمثال الفرنسي. فلقد أصبحت كلمة «زوج» التي كانت تطلق على المذكر والمؤنث منقسمة إلى «زوج» للمذكر و«زوجة» للمؤنث

---

23) Regis Blanchère, *Introduction au Coran*, Paris 1956, pp. 29, 46, 144 – 149 (مدخل إلى القرآن).

24) Vincent Monteil, *l'Arabe moderne*, pp. 105 – 158 (العربية الحديثة)

25) Louis Massignon, notes sommaires sur la formation des noms abstraits en arabe sous l'influence des modèles grecs, *Revues des Etudes Islamiques* (1934), pp. 507 – 512 (ملاحظات عامة في شأن وضع الأسماء المجردة العربية تأثرًا بالنماذج اليونانية).

*) استعملنا هذا المصطلح للدلالة على «neutre» اقتداء باسم الجمع لـ «collectif».

كذلك الشأن بالنسبة «لعجوز» التي انقسمت إلى «عجوز» للمذكر و«عجوزة» للمؤنث. فأصبحت علامة التأنيث (ـة) تقابل انعدام وجودها في المذكر الذي تساوي علامته الصرفية الصفر وبعبارة أخرى (التاء المستترة).

أما المثنى فلقد اسقط تطبيقه بعض المشاهير من الكتاب[26] ومنهم يحيى حقي الذي يستعمل «فتاة مزججة الحواجب» ؛ ونجيب محفوظ الذي يستعمل «على أسماعي». يضاف إلى ذلك مثال آخر يعتبر دليلاً قاطعًا على النقل المباشر عن الفرنسية وهو «الاذاعة والتلفزة التونسية» اقتداء بالمثال الفرنسي (Radio et Télévision Françaises) مع الفارق الذي يتمثل في أن الوصف يطابق الجمع في الفرنسية ويطابق المفرد في العربية ؛ ويمكن أن نذكر في هذا السياق ترجمة الضمير الفرنسي الذي يدل على «اسم الجنس» والذي عبر عنه في الترجمة العربية بطرق مختلفة[27]. منها ما ضمن صيغة المبني للمجهول العربية وظيفة التعبير عن «اسم الجنس».

إن هذه «الألحان أو الملاحن» ليست ناتجة ضرورة عن تأثير المثال الصرفي الفرنسي على المثال الصرفي العربي اذ يوجد من النصوص الكلاسيكية ما يؤيدها ويشهد عليها. لكننا نعتقد أن تأثير المثال الصرفي الفرنسي على ترجمات المترجمين أمر واقع لأن ذاكرة أولائك المترجمين التاريخية أصبحت قاصرة عن تذكّر ما سبق من الأمثلة القديمة.

ان النقل المباشر الأسلوبي يظهر ظهورًا بارزًا خاصة في مستوى النحت والألفاظ والتراكيب الدخيلة. وهي التي لا تخضع لأوزان العربية. لا شك أن العرب الأقدمين قد عرفوا النحت ، لكنهم لم يستعملوه استعمالاً مطردًا[28] مثلما هو الشأن بالنسبة للعرب المحدثين. فلقد كثرت الأساليب المنحوتة على غرار الفرنسية من ذلك.

قبتاريخي (قبل وتاريخ) ليقابل préhistorique.

قروسطي (قرن ووسط) ليقابل moyenageux.

---

26) أخذنا المثالين الأولين من Vincent Monteil, *l'arabe moderne*, pp. 128 – 129

27) نفس المرجع ، ص 236.

28) رمسيس جرجس : النحت في العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية 13/61 – 76. وهي محاولة تاريخية تأليفية فيها هنات قليلة منها أن الكاتب قد اتبع رأي ابن فارس القائل بأن الأفعال الرباعية منحوتة وهو رأي فيه نظر.

ولقد اطرد هذا النوع خاصة في علمي الكيمياء والفيرياء[29] من ذلك :
كهرجابي (كهرباء وايجابي) eléctro-positif .
كهرسلبي (كهرباء وسلبي) eléctro-négatif .
أما الدخيل من المصطلحات والألفاظ فإنه زودنا بسوابق ولواحق أصبح البعض منها جزءًا من العربية مثلما هو الشأن في «آن» في الرحمان و«آر» في موسيقار. فلقد فازت «بالجنسية اللغوية العربية» سوابق قارة مثل «هيدر» (hydr) في هيدروجين (hydrogène) وهيدريد (hydrides) و «كيلو» (kilo) في كيلوسعر (kilocalorie) و «بنتا» (penta) في البنتاكروماتية (pantachromatisme) . أما فيما يتعلق باللواحق فان فوزها بالجنسية اللغوية يعتبر أمرًا يسيرًا . ذلك ما تدل عليه الأمثلة التالية[30] .

آت	(ate)	كلور رصاصات	لتقابل	chloroplombate
آز	(ase)	ملتاز	لتقابل	maltase
ايد	(ide)	زرنخيد	لتقابل	arsenide
ايك	(ique)	حديديك	لتقابل	ferrique
جيا	(gie)	فكرولوجيا	لتقابل	idéologie
ونْ	(one)	خلون	لتقابل	acétone
يل	(yle)	نمليل	لتقابل	formyle
يوم	(ium)	كادميوم	لتقابل	cadmium

ان الضرورة العلمية قد فرضت هذه اللواحق لأنها تعبر عن وظيفة تمييزية للتفريق بين مختلف العناصر الكيمياوية ومعانيها . فلقد أصبح من المتحتم أن تؤخذ قرارات[31] لاستدراج هذه الأنواع من الأساليب حتى لا نظل نعاني من أمثلة غريبة يتعايش فيها العربي والدخيل معايشة لا تكون بردًا وسلامًا على اللغتين المتداخلتين من ذلك .
حمض الايدرو حديد وسيانيك ليقابل acide hydroferricyanique .

(29 Vincent Monteil, *l'arabe moderne* p. 135.
(30 أخذنا الأمثلة المذكورة هنا من معجمي الكيمياء والفيزياء اللذين وضعهما المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط سنة 1973 .
(31 انظر قضية السوابق واللواحق في هذا المؤلف .

حمض الايدروكسيلمين ثنائي السلفونيك ليقابل acide hydroxylamine disulphonique.

في النحو ضروب كثيرة من التداخل الأسلوبي عرفت عند اللغويين العرب المحدثين بتعريب الأساليب. فلقد عالجها بعد اليازجي كثير من اللغويين نخص بالذكر منهم أحمد العوامري(32) والشيخ عبد القادر المغربي(33) ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نذكر منها بعض الأمثلة:

1 – استعمال صيغة الاستفهام غير المباشر مكان صيغة الاستفهام المباشر السائد في العربية الكلاسيكية. «إسأله إن كان كاتب أخاه» عوضًا عن «اسأله: أ/هل/ كاتب أخاه» فيبدو أن إسقاط «أ» أو «هل» ناتج عن اقتصاد أو ايجاز في الترقيم الصوتي.

2 – استعمال «لو» في غير محلها من الجملة الشرطية وذلك للتعبير عن التلطف الموجود في العبارة الفرنسية ?voudriez-vous أو الانكليزية ?would you فنجد في العربية الحديثة من مثال «لو تفضلت تجلس» وهي مقابل للعبارة الفرنسية -voudriez vous vous asseoir? . وتعبر العربية الكلاسيكية عن هذه الطريقة بمَا يعرف بالعرض وهو الطلب بلين فتقول «لو تفضلت فجلست» وتستعمل «لو» دون جوابها في العربية الكلاسيكية إذا كانت تعبر عن اللوعة أو الحسرة مثال «لو زوجتهن!».

3 – استعمال «و/كـ» مكان الأداة الفرنسية «que» في المثالين التاليين «يبدو و/كـ/ أن» وهي ترجمة لـ«il parait que» عوضًا عن «يبدو أن» ونجد أيضًا «يقول وأن /بأن/ ترجمة لـ«il dit que» عوضًا عن «يقول إن». فيظهر من خلال المثال الأول أن المتكلم «يلحن» شعورًا منه أن «أن» قد قصرت عن تأدية معنى «que» الفرنسية. أما في المثال الثاني فإن الاستعمالين ناتجان عن نزعة إلى تعويض صعوبة التقاء الصوتين اللينين/u/ و /i/ لأن الأول مستدير مغلق خلفي والثاني منفرج أمامي مفتوح. فيبدو أن المتكلم العربي ينزع إلى تعويض /a/ بـ /i/ لأنها أكثر منها انفتاحًا.

ويمكن أن ندرج في باب التداخل الأسلوبي النحوي تراكيب وجملاً تعتبر نقلاً

---

32) أحمد العوامري: بحوث وتحقيقات لغوية، مجلة مجمع اللغة العربية 1/138–169، 2/256–292، 3/254–276، 4/211–224. ان الأمثلة النحوية المذكورة في هذه المحاولة هي من عندنا. أما العوامري فقد نظر إلى القضية نظرة محافظة لكنه قدم لنا وثيقة مهمة فيها أمثلة متنوعة ومفيدة عن التداخل الأسلوبي.

33) أنظر الحاشية عدد 15.

حرفيًا لتراكيب وجمل فرنسية[34]. فلقد استرعى نظرنا منها ما يلي :

1 – التراكيب الاوربّية المنقولة التي لها مقابل عربي مهجور «طلب يد فلانة» «demander la main de telle» عوضًا عن «خطب فلانة» «بكى بدموع حرى» «pleurer à chaudes larmes» عوضًا عن «بكى بدموع مرة».

فالتعبير عن الألم بمَا يحس منه والتعبير عنه بمَا يستطعم منه تعبيران يدلان على أسلوبين مختلفين. ويبدو أن العربية الحديثة قد اختارت الأسلوب الفرنسي في التعبير عن الألم.

2 – الأمثال الاوربّية التي تعبّر عن تصورات ذهنية من خصائص الحضارة العالمية التي تستند إليها الحضارة واللغة الفرنسيتان. فلقد نقلت العربية منها أمثلة خلقتها أو روجتها الفرنسية من ذلك :

«ذر الرماد في العيون» وهي مقابل : «Jeter de la poudre aux yeux»

«لا جديد تحت الشمس» وهي مقابل : «Il n'y a rien de nouveau sous le soleil»

«هو ملكي أكثر من الملك» وهي مقابل : «Il est plus royaliste que le roi»

ان هذه التراكيب التي لا تخرق القواعد النحوية العربية، بل تخرق في الواقع الصور والأشكال البلاغية العربية الكلاسيكية التي تستحق دراسة جديدة لمراجعة معاييرها وتحديدتها. لقد هجر الشعراء تشبيه المرأة الجميلة «بالبدر» منذ أن داسته أقدام رواد الفضاء الأمريكيين ومنذ أن كشف لنا عن مناخه البشع الذي لا يمت إلى جمال المرأة بشيء. وهجر اللغويون بعد الميداني الأمثال العربية التي عوضتها الأمثال العامية لما امتازت به صورها وأشكالها من جديد وجريً وما اختصت به من حيوية.

فيبدو أن نقل الصور والأشكال البلاغية الفرنسية بجدافيرها ناتج عن عقم الصور والأشكال البلاغية العربية الكلاسيكية وعن تعنت الصفويين والمتفصحين في رفض الصور والأشكال البلاغية العامية. فما أعجبها من صفوية!

(34 a) Vincent Monteil, *l'arabe moderne*, pp. 291–303, 306–312

b) Jaroslay Stetkevych, *The modern arabic literary language; lexical and stylistic developments*. The University of Chicago Press 1970, pp. 59 sq.

(العربية الفصحى الحديثة : تطوراتها المعجمية والأسلوبية).

في الميدان السيمي نلاحظ أن المفردات الحديثة قد أحدثت زوبعة في محتوى المعجم العربي. إن هذا الانقلاب المعجمي الذي نشأ أولاً من مرونة المقولات الصرفية والنحوية العربية قد استمد كثيرًا من مظاهره من المثال الفرنسي. فهو يعتمد في هذا الصدد على ما يدعي بالمجاز المرسل المعبر عنه بالفرنسية catachrèse . وهو ينحصر في إحياء المهجور من الكلمات أو الاستعارة من اللغات القديمة مثل اللاتينية واليونانية مثل Avis (طائر) التي أخذت منها طائرة في الفرنسية Avion وكانت تدعى فيما سبق أيضًا aérolocomotive, iptéronef, aéronef . ويمكن مقارنة ذلك بـ «ذرة» وهي تعني النملة الصغيرة في العربية القديمة، و«ذرة» وهي تفيد الطاقة في العربية الحديثة. أما الاستعارة من اللغة الفرنسية فهي تتمثل خاصة في الترجمة الحرفية التي نجد لها مثالاً واضحًا فيما يترجمه عن الفرنسية المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط.

إننا نستخلص من الملاحظات العابرة أن قضية التداخل الأسلوبي تستحق عنايتنا عسانا نستخرج منها مبادئ تجديد في الميدان اللغوي من ذلك أن التداخل ناشيء عن ظاهرة الاستعارة اللغوية الكونية التي تلتجئ إليها جميع اللغات. إنها تكون في حد ذاتها وسيلة من وسائل التنمية اللغوية لتملأ اللغات فراغها على حد تعبير اللغويين المعاصرين. فهي تفرض علينا أن نتجاوز وضع قوائم خاصة منها إلى وضع دراسات اجتماعية لغوية منظمة تبرز ما فيها من طريف وجديد يساعدنا على الاتفاق على وضع معايير فصاحة حديثة لأنه يبدو أن البلاغة القديمة المرتكزة على مبدأ «قل ولا تقل» قد أخذت تتقهقر أمام أسلوبية متسامحة متفتحة تعتمد الاستعمالات الحديثة الناتجة عن مبدإ السماع من المحدثين الذي أقره مجمع القاهرة[35]. وإن كان هذا السماع الجديد ينحصر في السماع من مشاهير الكتاب. والملاحظ في هذا الشأن أن المعجمية الاجتماعية[36] (lexicologie) لا تعترفُ للكتاب بهذا الامتياز لأنه لا يكفي أن يشتهر الكاتب ليكون مجددًا في أساليبه. فهي تفيد أن المادة الأسلوبية هي المادة التي تعتبر مادة «مفتاحًا» أو «شاهدة» تعكس تحولاً جذريًا في المجتمع. إن النماذج الأسلوبية التي استعرضناها بعجالة في هذا الشأن حرية بأن تكون موضوع دراسة معجمية اجتماعية الغاية منها تفسير الحضارات بالمصطلحات وبالتراكيب التي تنشئها أو تستعيرها.

---

35) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية والفنية، القاهرة 1963، ص 14.

36) Georges Matoré, *La méthode en lexicologie. Domaine français*, Paris 1953

الصدور واللواحق العلمية
ونقلها الى الفصاحة العربية الحديثة

من القضايا النظرية والتطبيقية التي ما انفكت تعترض سبيل المثقفين العرب المحدثين من علميين ولغويين ومترجمين قضية الصدور واللواحق (préfixes et suffixes)[1] التي ترد بكثرة في اللغات الهندو أوربّية التي تنقل عنها العربية مصطلحات العلوم والفنون ونخص بالذكر من تلك اللغات اللغتين الانكليزية والفرنسية لأنهما تستمدان أغلب صدورهما ولواحقهما من اللغتين اليونانية واللاتينية.

فالقضية على غاية من الأهمية بقدر ما نعلم أن العربية، وهي لغة سامية، لا تستعمل من الصدور واللواحق إلّا القليل المُمَات[2]. وتزداد هذه القضية أهميّة إن اعتبرنا جهود مثقفي القرن التاسع عشر والقرن العشرين في سبيل حلها. فلقد دارت في شأنها مناقشات ومهاترات يطول شرحها. واشتغل بها كثير من أهل الأدب واللغة والعلوم منهم رفاعة رفعت الطهطاوي، وهو مصري (توفي 1873) في كتابه المترجم

1) يطلق على هذين الإسمين مصطلحات أخرى من ذلك: سوابق وذيول، تتويج وتذييل، الزيادات، الاحشاء الخ. وهي مصطلحات أبرزناها في معجمنا «المصطلحات اللغوية العربيّة الحديثة» بتونس في مجلة حوليات الجامعة التونسية 14 – 19.

2) نجد آثار تلك الصدور واللواحق في الصيغ الفعلية وفي بعض الأسماء والصفات من ذلك أفعل وأستفعل وضيفن وزرقم وعفريت. وهي تحتاج إلى دراسة علمية ضافية تبرز خصائصها وامكانية استعمالها لمجابهة الصدور واللواحق الأوربية.

قلائد المفاخر في أخلاق بلاد أوربّا[3] والشيخ الطاهر الجزائري المقيم بسوريا (توفي 1920) في كتابه **التقريب في أصول التعريب**[4] ويعقوب صروف، وهو لبناني (توفي 1927) في **المقتطف**[5]، والشيخ أحمد الاسكندري وهو مصري (توفي 1938) في **مجلة مجمع اللغة العربية**[6]، والشيخ عبد القادر المغربي، وهو تونسي الأصل (توفي 1956) في كتابه **الاشتقاق والتعريب**[7]، والأمير مصطفى الشهابي، وهو سوري (توفي 1970) في كتابه **المصطلحات العلمية والفنية**[8] ومجمع اللغة في **مجموعة القرارات العلمية والفنية**[9] **ومجموعات المصطلحات العلمية والفنية**[10] **ومجموع مشاريع المعاجم** التي جمع مادتها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط[11]. وقد عرض هذا المكتب مصطلحات تلك المشاريع على المؤتمر الثاني للتعريب المنعقد بالجزائر من 12 إلى 20 ديسمبر 1973.

فلقد وقف رفاعة الطهطاوي والشيخ الطاهر الجزائري ويعقوب صروف والشيخ عبد القادر المغربي من القضية موقفاً عامًا متفتحًا دون أن يعالجوا مظاهرها الفنية البحتة أي باعتبارها تكون مشكلاً خاصا. فلقد أدمجوها في باب عام وهو باب التعريب بمعناه الضيق أي نقل الأسماء الأعجمية إلى العربية حسبمَا عبّر عنه الجوهري سابقًا وهو «وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها»[12]. أما الشيخ أحمد الاسكندري فلقد قاوم التعريب مقاومة «العدو الأزرق» حسب تعبير مصطفى الشهابي

---

3) رفاعة رفعت الطهطاوي، قلائد المفاخر في أخلاق بلاد أوربا، القاهرة 1834/1249 : 112 ص وهو ترجمة لكتاب Depping *«mœurs et usages des nations»*

4) الشيخ الطاهر الجزائري، التقريب في أصول التعريب.

5) الشيخ عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب، القاهرة 1947.

6) الشيخ أحمد الاسكندري : اقتراحات أسماء عربية لمصطلحات كيميائية، مجلة مجمع اللغة 5/49–57.

7) الشيخ عبد القادر المغربي : المذكور أعلاه.

8) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية والفنية في العربية في القديم والحديث الطبعة الثانية دمشق 1965، 218 ص.

9) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية والفنية، القاهرة 1962، 201 ص.

10) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعات المصطلحات العلمية والفنية. 10 أجزاء من 1957 إلى 1968.

11) المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربي. مطبعة فضالة. الرباط 1973 وهي معروضة في شكل مشروعات معاجم في الكيمياك والفيزياء والحيوان والجيولوجيا الخ.

12) الجوهري : الصحاح 179/2 من تحقيق عبد الغفار عطار، 6 أجزاء ط. دار الكتاب العربي بالقاهرة.

واستعاض عنه بترجمات عربية لمصطلحات كمائية وفيزيائية[13] أقل ما يقال فيها أنها لم تستعمل ولم يكتب لها الشيوع في الخاص ولا في العام.

فلم تفصل القضية عن باب التعريب العام إلّا في كتاب مصطفى الشهابي وفي مداولات مجمع اللغة العربية. فلقد وضع المجمع في شأنها قواعد منها سبع تتعلق بالصدور (A) و (An) و (hyper) و (hypo) و (macro) و (méga) و (mégalo) أما اللواحق فلقد وضع لها تسع قواعد وهي (able) و (gene) و (graphe) و (forme) و (ium) و (like) و (mètre) و (oîde) و (scope)[14] ولقد بينا في بحثنا «مجموع اللغة العربية بالقاهرة : تاريخه وأعماله»[15] أن المجمع المذكور قد تجاوز في أعماله التطبيقية تلك القواعد النظرية واستعمل سبعة وثلاثين صدرا وثلاثين لاحقة جديدة زيادة على الصدور واللواحق المذكورة في قراراته الرسمية. فترجمها وعربها بطرق مختلفة سعينا إلى وصفها وتحليلها وتصنيفها بغية استخلاص بعض القواعد العامة منها.

أما مصطفى الشهابي فانه اعتمد ما وضعه مجمع اللغة مبرزًا مبدأ عامًا مهمًا جدًا مفاده أنه بقدر ما يجب ترجمة تلك الصدور واللواحق في جل العلوم ، يجب أن تعرب بجذافيرها في بعض العلوم لا سيّمَا في الكيمياء[16]. واعتبارًا لدراستنا السابقة في الموضوع رأينا من المفيد أن نعالج القضية في ميدان جديد آخر يعتمد ما جمّعه المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط من مصطلحات لا سيّمَا وأن مصطلحاته تعتبر أحسن وثيقة لدرس هذه القضية درسًا شاملاً ، لأنه يبدو أن المكتب المذكور قد جمّع في قواميسه العلمية المتنوعة مختلف الطرق التي استعملتها الهيئات والجامعات والعلماء في الأقطار العربية لحل هذه القضية. ولقد قصرنا عملنا هذا على قاموس الفيزياء والكيمياء[17] اللذين هيأهما المكتب الدائم وجمّع مصطلحاتهما.

---

13) أنظر حاشية 6.

14) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجموعة القرارات العلمية والفنية. ص 70 – 79.

15) R. Hamzaoui, *l'académie arabe du Caire: histoire et œuvre,* Tunis 1975.

16) مصطفى الشهابي : مدى التعريب ، بحوث ومحاضرات مجمع اللغة العربية (1959– 1960) ، ص 131– 144 ، وتعقب المقال مناقشات بين أعضاء المجمع.

17) المكتب الدائم لتنسيق التعريب. مشروع معجم الكيمياء ، 350 ص وهو يحوي 3290 مصطلحًا ؛ ومشروع معجم الفيزياء والطبيعة ، 494 ص وهو يحوي 5050 مصطلحًا. ولقد أشرنا إلى الكيمياء برمز (ك) والفيزياء برمز (ف) في حواشينا الآتية.

إن المحاولة التي نقوم بها محاولة تجريبية نسبية غايتها منهجية ونعني بذلك استقراء الطرق العلمية المختلفة المستعملة في القاموسين المذكورين للتعبير عن تلك الصدور واللواحق علنا نفوز ببعض الظواهر المشتركة التي تسمح لنا بوضع قواعد عامة في شأنها لأنه يحسن بنا علميًا أن نقف من حين إلى آخر وقفة تأمل من انتاجنا العلمي اللغوي لنهذبه ونستجلي أمره ونتخلص من فوضى مواده الكثيرة التي تشعبت طرق وضعها بعامل الحاجة الملحة والظروف القاهرة منها خاصة الشوق إلى اللحاق بركب الحضارة في ميدان العلوم والفنون ومصطلحاتها.

فلقد لاحظنا في استقرائنا لمصطلحات المكتب الدائم وجود ستة وخمسين صدرًا وسبع وأربعين لاحقة صنفناها ورتبناها ترتيبًا الفبائيًا أعجميًا مع مقابلها العربي كما يظهر ذلك في اللوحات التابعة لهذه المحاولة. ولقد تعلقنا باستقراء الأمثلة التي يظهر فيها اختلاف اذ منها ما هو ناتج عن الاضطراب والتشويش ومنها ما هو وليد الضرورة.

ولقد مكنتنا اللوحات المعنية بالأمر من ابداء الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى:

إن الصدور واللواحق المستقراة تشابه نسبيًا الصدور واللواحق التي استقريناها من مصطلحات مجمع اللغة العربية. وهذا مظهر سيفيدنا عندما ننظر في طرح طرق معالجة قضيتنا في مستوى الهيئات العلمية العربية.

الملاحظة الثانية:

ان الصدور واللواحق المستقراة لا تشمل كل الصدور واللواحق اليونانية واللاتينية المتعارفة. فلم نجد منها في مصطلحات المكتب الدائم إلا ما فرضته الحاجة الملحة. فلم تفكر هيئة عربية أو باحث عربي في دراسة هذا الموضوع دراسة خاصة تستوجب العناية بها والتعمق فيها بغية استخراج مبادئ عامة منه يمكن ترويجها بعد الاتفاق عليها. فتصبح وسيلة من وسائل العمل المشتركة بين جميع الهيئات العربية المختلفة مثلما هو الشأن في قضية الصدور واللواحق اليونانية واللاتينية في المحافل العلمية الغربية.

الملاحظة الثالثة :

ان الترجمة غالبة في الصدور الستة والخمسين فلا نجد منها الا أربعة دخيلة* وهي :

كيلو (kilo) في كيلو سعر (kilo-calorie)[18]

مغ (mag) في مغنطرون (magnetron)[19].

ميكرو (micro) في ميكروفـــــــــاراد (microfarad)[20] (milli) في (milliammeter)[21] أو مللي أمبيرميتر (ou milliampernètre) .

وفيها من أنصاف الترجمة وأنصاف التعريب* ما يبلغ أحد عشر صدرًا من ذلك :

A – (اللا/الأ) في اللا أستجمية واللانقطية والأستكماتزم (Astigmatisme)[22].

anti – (مضاد/أنتيـ) في مضاد الكلور (antichlore) وفي انتيمونيات (antimoniate)[23].

hémo – (يحمور ، خضاب/هيمو) في يحمور الدم وخضاب الدم وهيموكلوبين (hémoglobine)[24].

hydro – (إماهة .../هيدرو) في إماهة – حلمأة – تميه (hydratation)[25] هيدروماغنيسيت (hydromagnésite) .

---

*) – نعني بالدخيل ما يعبر عنه بالفرنسية بـ (emprunt intégral) أي الكلمات الأعجمية التي تدخل العربية دون أن تخضع لأوزانها. وذلك ما يعنيه أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط.

18) فـ/244.

19) فـ/273.

20) فـ/284.

21) فـ/285.

*) نعني بالتعريب أو المعرب خاصة ما يعبر عنه بالفرنسية بـ (emprunt intégré) أي الكلمات التي تدخل العربية فتخضع لأوزانها. وذلك ما يعنيه الجواليقي في كتابه «المعرب».

22) فـ/27.

23) فـ/46–47.

24) كـ/189.

25) كـ/195.

marco – (أكبر/مكرو) في الجزئي الأكبر (macro-molecule) [26] وفي المَكْروفيزيا (macrophysique).

méga – (مضخم/ميغا) في مضخم الصوت أو ميغافون (mégaphone) [27].

méta – (مؤقت .../ميتا) في مؤقت الاستقرار – شبه مستقر (métastable) [28] ما وراء الثابت – نصف مستقر وفي حامض الميتافوسفوريك (acide métaphosphorique) [29].

para – (متوازي/باراوي) في مغناطيسي متوازي وباراوي مغناطيسي (paramagnétique) [29].

per – (فوق/بر) في فوق كلورات وبركلورات (perchlorate) [30].

poly – (تركيب/بَلْ ، بَلَ) في بَلمرية شاكلية تركيبية (polymérisme) [31] وفي بلمرات (polymères).

super – (فوق/سوبر) في سوبر فسفات (superphosphate) [32] وفي فوق التشبع (supersaturation).

فالمعربات تمثل بصفة عامة الثلث تقريبًا من مجموع الصدور المعينة بالأمر في بحثنا هذا إن لم نعتبر ما جاء منها من أنصاف الترجمات.

أما فيمَا يتعلق باللواحق فانها تنزع ، خلافا للصدور ، إلى الدخيل والتعريب في أغلب الحالات لأننا نلاحظ أن الدخيل منها يشمل خمس عشرة حالة من ذلك :

ane – (آن) في بوتان buthane وايثان (ethane) [33].

ates-ate – (آت) في كرومات الأمونيوم (chromate d'ammonium) وفي منجنيات ومغنيات (manganates) [34].

eme – (يم) في راسيم (racème) [35].

---

26) ف/266.

27) ف/281.

28) ک/230.

29) ک/230.

30) ک/260.

31) ک/274.

32) ک/325 ، 336.

33) ک/83 ، 165.

34) ک/41 ، 225.

35) ک/287.

forme – (فورم) في يودوفورم (iodoforme) [36].

gel – (جيل) في هيدروجيل (hydrogel [37].

gène – (جين) في كـازينوجين (cassinogène) وفي هيـدروجين (hydrogène) [38].

hyde – (هيد) في أسيتالدهيد (acetaldehyde) [39].

Ia – (يا) في أمونيا (ammonia [40].

Ique – (يكا) في علم الأستاتيكا الهوائية (aérostatique) [41] في ذياكوستيكا (diacaustique) في حامض الفوسفوريك (acide phosphorique .

Ine – (ين) في بنزين (benzine) [42].

Ium – (يوم/يا/ين) في كادميوم (cadmium) وفي الومينيا (aluminium) [43] وفي سيلينيوم وسيلين (sélenium) .

lyte – (ليت) في البخار الالكتروليتي (gaz élestrolytique [44].

ous (eux-ère) – (وز/آوى) في سيليكاوى (silififerous, silicifère) [45].

tron – (ترون) في بيتاترون (bétatron) [46].

on (on, ale) – (م/ين) في الأنـدم (alundum, alundon) في بلاتين (platinium, platine) [47] في تنتالم (tantalum, tantale) .

أما الأمثلة المتناصفة ترجمة وتعريبا فهي تبلغ أربع عشرة لاحقة. من ذلك

eux (ous) – (نفيـذ/وز) في نفيـذ (poreux) وحـامض الزنيخور (acide arsenieux) [48] (arsenious acid) .

graphe – (مقياس/غراف ، جراف) في بـار وجراف وبـار وغراف (barographe) وفي مقياس طيف الكتلة (spéctrographe de masse) [49].

---

36) ك/206.

37) ك/196.

38) ك/93، 197.

39) ك/5.

40) ك/38.

41) ك/11، 12، 113.

42) ك/67.

43) ك/54، 34، 307.

44) ك/155.

45) ك/310.

46) ف/44.

47) ك/36، 271، 328.

48) ك/9.

49) ك/39، 424.

Ide (ure) – (مركب/يـــــد ؛ يـن ، آت ، ور) في أسيت أميت (acétamide)[50]وفي زرنخيد ومركب الزرنيخ (arsenide, arseniure) وفي كربيد (carbide, carbure) وفي جلسريـن وغليسرين (glycéride) وفي اللانثاميدات (lanthamides) وفي كبريتيد وكبريتور (sulphide, sulfure) .

Ine – (وم/يـن ، آت) في أستـــامين (acétamine) [51] وفي بروم/برومين (bromine) وفي بروتينات (protéines) .

isme – (ية/زم) في المغنطيسية الحديدية المضادة (antiferrimagnétisme) وفي الاستكماتزم (astigmatisme) [52] .

Ite – (حجر.../يت) في حجر الشب/الوميني (aluminite) [53] .

mètre – مقياس ؛ عداد.../متر) في عداد الغاز ، مقياس الغاز ، مغوار (gazomètre)[54] وفي أميتر أو أمبيرميتر (ammeter, ampermètre) .

oîde – (وى/واني/شبـ/ويد) في محلول غروى وغراواني (solution colloidale) وفي سيلولويد (celluloide) [55] وفي غراواني وشبغرى (colloîde) .

oine – (عقيـق/وان) في عقيـق أبيض وكلسدوان (calcedoine, (chalcedony)[56].

one (ones) – (خلون/ون ، آت) في أسيتون أو خلون (acétone) [57] وفي فلوريـدات الكربـون (fluorocarbons, fluor de carbone) وفي هرمونـات (hormones).

ose (oses) – (خلية/وز ، آت) في سيلولوز/خلووز/خليوز (cellulose) وفي هكسوزات (hexoses) [58] .

ous (eux-ère) – (أنظر eux) [59] .

---

50) ك/5 ، 51 ، 90 ، 186 ، 214 ، 331 .
51) ك/5 ، 80 ، 280 .
52) ف/21 ، 27 .
53) ك/34 .
54) ف/14 ، 191 .
55) ف/76 ، 96 ، ك/111 .
56) ك/98 .
57) ك/6 ، 179 ، 194 .
58) ك/43 ، 193 .
59) ك/9 ، 310 ، 347 .

scope – (كاشف ، كشاف ، مكشاف مجسم/سكوب) في كاشف أو كشاف أو مكشاف كهربائي (eléctroscope) [60] وفي مجسم الصدر أو ستريوسكوب (stéréoscope) .

stat – (مثبت/ستة) في مثبت حراري أو ترموستة (thermostat) [61] .

نستخلص من اللواحق المستقراة عكس ما استخلصناه من الصدور السابقة الذكر أي أن المعرب والدخيل من اللواحق يكاد يبلغ النصف أي /29/ من مجموع /47/ لاحقة أن لم نعتبر ما جاء منها من أنصاف الترجمات . وذلك يؤيد المبدأ الذي دعا إليه مصطفى الشهابي القائل بالتعريب في الكيمياء خاصة وبالترجمة والتعريب في العلوم الأخرى ، وإن لم يقم مبدأه هذا على دراسة إحصائية بل على تخمين فضلاً عن أنه لم يشر إلى غلبة التعريب في اللواحق أكثر منه في الصدور مثلما يدل عليه استقراؤنا . وتعليل ذلك يسير لأن العربية مضطرة إلى تعريب اللواحق بكثرة لأنها تؤدي وظيفة تمييزية تسمح بالتمييز بين مختلف العناصر الكيمياوية التي تكاثرت وتنوعت حتى أصبح من الضروري تمييز خصائصها باللواحق لا سيمَا إذا تشابهت أصولها مثل (ferrique, ferreux) .

لكن لا بدّ لنا أن نحترز من هذه النتيجة أن اعتبرنا ما يلحق المبدأ المذكور أعلاه من اضطراب في مستوى التطبيق وذلك ما عسانا أن نبينه في الملاحظة التالية :

الملاحظة الرابعة :

انها تشير إلى الاضطراب الذي يلاحظ في استعمال الصدر الواحد أو اللاحقة الواحدة في نفس الكلمة التي ترد مترجمة في الفيزياء ومعربة في الكيمياء مثلاً :

اللانقطية ، اللا أستجمية ، (astigmatisme) [62] .

الأستكماتزم (astigmatisme) [63] .

ويلحق بهذه الملاحظة الرابعة ترجمة الصدر الواحد أو اللاحقة الواحدة في نفس الكلمة بطريقة تختلف بحسب الفيزيا أو الكيمياء من ذلك .

---

60) ف/151 ، 435 .

61) ف/457 .

62) ف/27 .

63) ك/27 .

déformation – تشويه ، انبعاج[64] ، déformation – عيب شكلي[65] .
dégénération – انحطاط ، انحلال ، dégénération – فساد[66] .
déhydration – نزع الماء[67] ، déhydration – اخراج ، انتزاع ، تجفيف الماء[68] .

hétérogène – غير متجانس ، متغاير[69] ، hétérogène – غير متجانس[70] .
état métastable – حالة شبه استقرار[71] métastable – مؤقت الاستقرار ، شبه مستقر[72] ما وراء الثابت ، نصف مستقر.

ونلاحظ من جهة أخرى اختلاف تعريب نفس اللاحقة مثلاً في العلم الواحد مثلما هو الشأن في الكيمياء. تدل على ذلك اللاحقة (ique) .

acide phosphorique – حامض الفسفور[73] .
acide métaphosphorique – حامض الميتافوسفوريك[74] (لاحظ أيضًا الاختلاف في الرسم)[75] .

الملاحظة الخامسة :

استعمال صيغ مختلفة في نفس الكلمات المترجمة تختلف باختلاف العلوم. من ذلك .

تفعيل ، انفعال (تشويه ، انبعاج) لتأدية (déformation)[76] .
فعل (عيب شكلي) لتأدية (déformation)[77] .
فعل (نزع الماء) لتأدية (déhydration)[78] .

---

64) ف/108 .
65) ك/136 .
66) ف/109 .
67) ك/136 .
68) ف/109 .
69) ك/137 .
70) ف/205 .
71) ك/139 .
72) ف/283 .
73) ك/230 .
74) ك/12 .
75) ك/230 .
76) ف/108 .
77) ك/136 .
78) ف/109 .

افتعال (انتزاع الماء) لتأدية (déhydration)[79].
والأمثلة من هذا النوع كثيرة جدا لم نقدم منها إلا بعض العينات.

الملاحظة السادسة :

استعمال صدر عربي واحد أو لاحقة عربية واحدة للتعبير عن صدور ولواحق أوربّية مختلفة من ذلك.

آلى تعبر عن الصدرين – Auto – و– Re – في محول آلى (auto transor-mateur)[80] وفي مقوم آلي (redresseur)[81].

ذو/ذات تعبر عن – Bi – و – iso – و – mono – و – pent – و – uni – في الأمثلة التالية :

مرحل ذو معدنين/ذو فلزين (relai bimétal)[82].

ذو لون واحد (isochromatique)[83].

ذات الوتر الواحد (monochorde)[84].

ذو الخمس (corps pentavalent; pentara)[85].

الكترومتر، ذو الخيط المفرد (eléctromètre unifilaire)[86].

ونلاحظ في هذا الصدد أن الصدر «لا» قد أصبح يعبر عن صدور كثير منها – a – و– an – و– anti – و apo – و– asy – و– in – و– non – و– un – وهي ثمانية صدور.

فيمَا يتعلق باللواحق نلاحظ أن /آت/ تعبر عن – ate – و– ates – و– ides – و– ines – و–(ons) one – و– ones – و– oses – وهي ثمان أيضًا مما تدل على ذلك الأمثلة التالية :

ate كرومات الأمونيوم (chromate d'ammonium)[87].

---

79) ک/137.
80) ک/34.
81) ک/293.
82) ف/46.
83) ف/237.
84) ف/293.
85) ک/296.
86) ف/471.
87) ک/41.

ates منجنيات/منغنيات (manganates) [88].
ides اللانثانيدات (lanthanides) [89].
ines بروتينات (protéines) [90].
ons فلوريدات الكربون (fluorocarbons; fluor de carbone) [91].
ones هرمونات (hormones) [92].
oses هكسووات (hexoses) [93].

الملاحظة السابعة :

تعريب الصدر أو اللاحقة بطريقتين مختلفتين. من ذلك
ase عربت بـ «ايز» و«آز» في أناتيز (anatase) [94] ومولتاز في (maltase) [95].
ide عربت بـ «يد» و«ين» في اسيت آميد في (acétamide) [96] وجلسرين/غليسرين (glycéride) [97].

الملاحظة الثامنة :

ترجمة الصدر الواحد بطريقتين مختلفتين من ذلك.
تحت الأحمر (infra-rouge) [98].
دون الأحمر (spectre infra-rouge).

---

88) ك/225.
89) ك/214.
90) ك/280.
91) ك/179.
92) ك/194.
93) ك/193.
94) ك/44.
95) ك/244.
96) ك/5.
97) ك/186.
98) ف/244.

الملاحظة التاسعة :

اعتماد اللواحق الانكليزية في بعض الكلمات واللواحق الفرنسية في كلمات أخرى. من ذلك :

حامض الزرنيخوز (arsenius) acid وهو في الفرنسية (acide arsenieux)(99).

ألاندم (alundum) وهو في الفرنسية (alandon) (100).

البلاتين (platine) وهو في الانكليزية (platinum) (101).

تنتالم (tantalum) وهو في الفرنسية (tantale) (102).

فما هي أسباب كل المعربات والترجمات السابقة : أهي الفوضى وعدم التنسيق ؟ والملاحظ أن هذا لا يحمل على مكتب التنسيق الذي جمّع كل الطرق المستعملة عند العلماء العرب المحدثين. فنلاحظ مثلاً فيمَا جمّع من المصطلحات وجود نزعة إلى الأخذ بصدور ولواحق الانكليزية والفرنسية في بعض الحالات. من ذلك

كبريتيد/كبريتور للتعبير عن (sulphide) و (sulfure)(103).

على أننا نجد من الأمثلة ما يخالف لواحق اللغتين بتاتًا دون أن نعلم سبب هذه المخالفة. من ذلك : سيليكاوي للتعبير عن (siliciferous) و (silicifère)(104).

الملاحظة العاشرة :

اختصار بعض اللواحق دون غيرها وذلك لأسباب غير واضحة. من ذلك :

الومنيوم/الومنيا (aluminium) (105).

روبيد/روبيديوم (rubidium) (106).

سيلينيوم/سيلين (selenium) (107).

ومن شأن هذا الاختصار أن يخلط اللاحقة ium باللاحقة ine مثلاً وهمَا تختلفان في المعنى فينشأ عن ذلك الغموض والالتباس.

---

99) ک/9.

100) ف/36.

101) ک/271.

102) ک/328.

103) ک/331.

104) ک/310.

105) ک/34.

106) ک/301.

107) ک/307.

الملاحظة الحادية عشرة:

استعمال كلمات عجيبة اختلط فيها حابل الأعجمية بنابل العربية فأتانا ذلك بكلمات ومصطلحات أقل ما يقال فيها أنها تدل على الاضطراب وفساد الذوق. ونرى من المفيد أن تعرب بتمامها حتى لا يساهم هذا النوع من المصطلحات في تعقد المصطلح العلمي. ونحن نورد من تلك الكلمات مثالين هامين وهما غير موجودين بمعجم المكتب الدائم. لكن مثيليهما موجودان فيه. وهما:

حمض الايدرو حديدُ وسيانيك (acide hydroferricyanique) [108].

حمض الأيـــدروكسيلين ثنـــائي السيلفـونيك (acide hydroxylamine disulphonique) [109].

الملاحظة الثانية عشرة:

تتمثل في مصيبة الترادف التي نجدها في صيغ المترجمات من ذلك أن (anti) يعبر عنها بـ: المضاد، الضديد فيّ ضديد النيوترينو (anti-neutrino) [110] ومضاد الكلور (antichlore) [111]. فلقد تبدلت الصيغة من الفيزياء إلى الكيمياء: فهل وقع ذلك عن قصد؟ فإن كان كذلك فما هي علته؟ ويُعَبَّر عن – able – بـ: فاعل له، فعيل، فعول من ذلك أن (malléable) ترجمت بـ: قابل للطرق وطريق وطروق[112].

أما المترادفات المعنوية فهي غالبة تكاد تقضي على كل عمل منظم منسق وان كانت المترادفات الواردة في معجمي الفيزياء والكيمياء ليست مقصودة في حد ذاتها بل تعتبر عرضًا موضوعيًا لكل مصطلحات الهيئات العلمية والعلماء ممن شاركوا في وضع المصطلحات العلمية في الأقطار العربية. لكن هذا المظهر لا يمنعنا من أن

108) مجمع اللغة العربية: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، 9/4، 10.
109) نفس المرجع.
110) ف/21.
111) ك/46.
112) ك/224.

نلاحظ أن الهيئة الواحدة مثل مجمع اللغة العربية أو اتحاد المجامع أو المجمع العراقي لا تتحرج في وضع مترادفين أو ثلاثة مثلما تشهد على ذلك الأمثلة الكثيرة الواردة في مشاريع المعاجم التي اقترحها مكتب التنسيق على مؤتمر التعريب الثاني.

واعتبارا لما سبق يجدر بنا أن نستخلص بعض المناهج العلمية لمجابهة هذه القضية مجابهة تتجنب كل ما من شأنه أن يؤول إلى التفاخر بثراء العربية وتمجيده الأمر الذي لا طائل وراءه ما لم يركز على دراسات علمية تؤيد ذلك التفاخر وتؤكد ذلك التمجيد. وذلك فاننا نرى أولاً أن تؤخذ جميع الاجراءات والوسائل لتشجيع مكتب التنسيق الدائم بالرباط أن يستمر في عمله وأن يجمع المصطلحات حتى يوفر للباحثين وثائق عمل مفيدة للغاية تمكننا من إلقاء نظرة شاملة على الطرق والمناهج العلمية في الأقطار العربية فنستخلص منها قواعد عامة مشتركة على أساس الاطراد والشيوع.

وتكملة لذلك فإنه ينبغي أن توجه الجهود لحل هذه القضية إلى وجهتين:

أ) أن تستقرأ كل الصدور واللواحق العربية القديمة الموروثة عن اللغة السامية المشتركة وعن اللغات السامية المجاورة وعن اليونانية واللاتينية القديمتين حتى نتمكن من احصائها وتخصيصها عند الاقتضاء لتأدية الصدور واللواحق الاروبية.

ب) أما الوجهة الأخرى فهي تنحصر طبعًا في استقراء جميع الصدور واللواحق الاروبّية من لغاتها ومقارنتها بما يوجد في العربية قديمًا وحديثًا وذلك لوجود أو لوضع مقابلات عربية قديمة أو حديثة يتفق عليها. ان القيام بهذه الأعمال حسب هذا المنهج كفيل بأن يسمح لنا بالوصول إلى وضع قواعد قارة على ضوء دراسات علمية مقارنة. ولا بد أن نصل منها إلى استنباط معايير وقواعد آلية عامة تطبق بانتظام حتى نضمن السرعة في الترجمة.

وليس هذا العمل بعسير اذ في البلاد العربية حاليًا من مراكز البحث والإحصاء ومن الباحثين القادرين مما يساعد على الوصول إلى نتائج مفيدة. واقتراحنا مثلاً أن تكلف شعبة علم اللغة العام في تونس ومعهد اللسانيات في الجزائر ومكتب تنسيق التعريب في المغرب بالقيام بتجربة في هذا الميدان عسى أن تكون سابقة ناجعة بالنسبة لما ينتظرنا من أعمال كثيرة ومعقّدة في ميدان اللغة.

1 – الصدور*

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوربّي	المثال العربي
A (1)	لا –	ف/6	combinaison achromatique	اتحاد لا لوني – – تركيب لا لوني
	لا	ف/22	apériodique	لا دوري – لا نظامي
	لا	ف/22	aplanatique	لا زيغي
	غير	ف/23	apolaire	غير ممتدة
	معطّل	ف/26	suspension astatique	تعليق معطل
	أ	ف/27	système astatique	النظام الأستاتيكي
	لا/أ	ف/27	astigmatique	اللانقطية – الأستكماتزم
	لا	ك/15	acyclique	لا حلقي
	أ	ك/37	amicron	أميكرون
Allo (2)	متغيّر متشكل	ف/13	allochromatique	متغيّر اللون
	متأصل		allotropique	متشكل – ذو صور متعددة – متأصل
	متغير – متشكل متأصل – مختلف الشكل – تأصلي	ك/30	allotropique	مختلف الشكل – تأصلي – متشكل
An	0	ف/17	anechoic room — dead room chambre sourde	غرفة أو قاعة صمّاء
	0	ف/17	anelasticity — internal friction — friction interne	احتكاك باطني
	لا	ف/19	oscillateur anharmonique	مذبذب لا توافقي
	لا	ك/43	anaerobique	لا هوائي

*) ف = تفيد الفيزياء والطبيعة.
ك = تفيد الكيمياء.
0 = ترجمت الكاسعة أو اللاحقة ونعني بالترجمة كل ما لم يعبر عنه عامة باسم فاعل أو مفعول أو مقابل مضبوط.
(–) = إيجاز المصطلح الفنّي: مثال: برومين تصبح بروم.

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Ana	0	ف/16	objectif ou lentille anastigmatique	عدسة نمطية
Anti	التنافر	ف/20	anti-bonding orbital orbite à repulsion atomique	مدار الدفع – التنافر الذري
	المضادة	ف/20	anti-ferromagnétisme	المغنطيسية الحديدية المضادة
	ضدية	ف/21	anti-neutino	ضدية النيوترينو
	0	ف/21	antinode/antinoeud	بطن
	مضاد	ک/46	antichlore	مضاد الكلور
	مبيد	ک/46	antifungal agent (fongicide)	مبيد الفطر الطفيلية
	أنتيـ	ک/47	antimoniate	انتيمونيات
	لا	ک/47	théorie antiphlogistique	نظرية اللافلوجستية اللافلوجستية
apo/apro	لا – أبو – سدد	ف/22	objectif aprochromatique objectif aprochromatique	عدسة تامة اللا لونية – عدسة مسددة – عدسة أبوكروماتية
auto	ذاتي	ف/33	autocollimateur	كوليماتور ذاتي – مسدد ذاتي
	الي – ذاتي	ف/34	autotransformateur	محول آلي – محولة ذاتية
As	لا	ک/54	synthèse assymétrique	تخليق لا تماثلي
Bi	ثنائي	ف/45	cristal biaxial	بلورة ثنائية المحور
	0/ثنائي	ف/45	lentille biconcave	عدسة محدبة الوجهتين – ثنائية التحدّب
	ذو – مثنى – مزدوج	ف/46	relai bimétal	مرحل ذو معدنين – ذو فلزين – مزدوج الفلز
	مزدوجة	ف/46	bandes bimétalliques	صفائح مزدوجة معدنية
	ثاني	ک/70	bioxyde	ثاني أكسيد
	ثنائية	ک/70	bivalence	ثنائية التكافؤ
Bio	أحياء	ف/47	biodynamique	الديناميكا الإحيائية
Co	متحد	ف/72	bobines coaxiales	ملفات متحدة المحور
	مشتركة	ف/72	ligne coaxiale	المحور المشترك

الأغجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Co	تفاعل	ف/91	ensemble coopératif	تجمّع تعاوني
	إسهامية	ك/121	copolymérisation	التضاعف الإسهامي للأصل – بلمرة إسهامية
Dé	انفعال – تفعيل	ف/107	décomposition électronique	الانحلال الإلكتروني
		ف/108	déformation	تشويه – انبعاج
		ف/109	dégénération	انحطاط – انحلال
	نزع	ف/109	déhydration	نزع الماء
	زوال	ف/110	déionization	زوال التأين
	نزع	ك/135	déchloruration	نزع الكلور
	تفعيل – فعول – افعال	ك/135	decoloration	نصول – تنصيل – إنصال
	مزيل	ك/135	carbone décolorant	كربون مزيل الألوان
	عيب	ك/136	déformation	عيب شكلي
	0	ك/136	dégénération	فساد
	افعال – تفعيل	ك/137	déhydration	اخراج – انتزاع – تجفيف الماء
	0	ك/139	dépolymérisation	تفرد
Di	تفعل – انفعال	ك/139	dissociation	تفكّك – انحلال
Hemi=Semi	نصف	ف/205	hemicolloid	نصف غروي
Hemo=Hae	هيمو	ك/189	hemoglobine (Haémoglobine)	هيموكلوبين – يحمور – خضاب الدم
Hétéro	غير متجانس – متغاير	ف/205	hétérogène	غير متجانس – متغاير
	0	ف/206	hétéroion/complexe ion molécule	مركب أيون جزئي
	غير متجانس	ك/193	hétérogène	غير متجانس
Hexa	سداسي	ف/206	hexagonal compact	سداسي الأضلاع كثيف
	سداسي..	ك/111	hexagonal	سداسي الشكل
Homo	متجانس	ف/208	homogène	متجانس
	مشترك – متجانس	ف/209	homopolar band: covalent band; liaison covalente et	ترابط مشترك التكافؤ ترابط متجانس القطبية
	متجانس	ك/194	homopolaire	متجانس

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Homo	متشاكل – متماثل مماثل	ك/194	homogène homologue	متشاكل – متماثل – مماثل مماثل
Hydr	0 هيدر	ك/195	hydratation hydromagnésite	اماهة – حلمأ – تميه هيدروماغنيست
Hyper	مفرط فرط طول	ف/212 ف/212 ف/212	spectre hyper fin hypersonique hypermétropie	طيف مفرط الدقة فرط صوتي طول النظر
Hypo	تحت أقل – ناقص	ك/199 ك/201	hypoborate hypotonique	تحت بورات أقل اسموزيا – ناقص التوتر
In	لا غير... عدم 0 غير – لا عديمة – 0	ف/218 ف/218 ف/219 ف/219 ك/204 ك/204	incohérent fluide incompressible incompressibilité indépendant invariable inorganique sels insolubles	لا مترابط مائع غير قابل للانضغاط عدم القابلية للضغط المتغيّر المستقل غير ولا عضوي أملاح عديمة الذوبان أملاح عقيمة
Infra	تحت – 0 دون	ف/224 ف/224	infra-rouge spectre infra-rouge	تحت الأحمر – تحمّر طيف دون الأحمر
Inter Ir	0 0 0	ف/230 ف/235	interphase – couche limite entre deux phases espace interstellaire irradiation	طبقة فاصلة بين طوري طبقة الحدبين فضاء النجوم تشعيع – إشعاع – تشعّع
Iso	تساوي متشابه – ذو.. واحد متفاعل – متساوي تشاكل ثابت متعادل تشابه – تفاعلية	ف/236 ف/237 ف/237 ف/239 ف/240 ف/241 ك/208	ligne isobar isochromatique isochrone isomorphesme equilibre isothermique isotones isomérisme	خط تساوي متشابه اللون – ذو لون واحد متساوي الزمن – متواقت خاصية تشاكل الأجزاء توازن ثابت درجة الحرارة متعادلات البتوترونات التشابه – التجازئية

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Iso	متوازن	كـ/209	isotonique	متساوي الأسموزية ؛ متوازن التناضح
Kilo	كيلو	فـ/244	kilo calorie	كيلو سعر
Macro	0	فـ/266	macro molécule	الجزئي الأكبر
	المكرو – 0	فـ/226	macrophysique	المكروفيزياء (فيزياء الأجسام الكبيرة)
	0			
Mag	مغ	فـ/273	magnétron	مغنطرون
Méga	ميغا – 0	فـ/281	mégaphone	ميغافون – مضخم الصوت
Méta	شبه	فـ/283	etat métastable	حالة شبه استقرار
	ميتا	كـ/230	acide métaphosphérique	حامض الميتافوسفوريك
	مؤقت – شبه			
	ما وراء – نصف	كـ/230	métastable	مؤقت الاستقرار. شبه مستقر ما وراء الثابت – نصف مستقرّ
Micro	ميكرو	فـ/284	microfarad	ميكروفاراد أو ميكروفراد
	مضخم	فـ/284	microphotographe	صورة مضخّمة للصوت
	دقيق	فـ/284	microphotographie	تصوير دقيق
	0	فـ/285	microscope	مجهر
Milli-	مللي	فـ/285	milliammeter: (milliampermètre)	مللي أميتر؛ مللي امبيرمتر
Mono	ذات – .. الواحد	فـ/293	monochord/monocorde	ذات الوتر الواحد – أحادية أو أو وحيدة الوتر الواحد
	أحادي – وحيد			
	متفاعل – ذو	فـ/294	monochromatique (source lumineuse)	منبع ضوئي متلاون (دو لون واحد)
	بسيط	فـ/294	monomètre	مجموع جزئيات بسيط
	أحادي	كـ/234	monotrope	أحادي الصورة
	مونو – أحادية	كـ/235	monotropie	مونوتروبية – أحادية الصورة

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Mono = Proto	أول – أحادي	ك/235	monoxide/protoxyde	أول أكسيد – أكسيد أحادي
Multi	متعدد	ف/297	rayonnement multipolaire	إشعاع متعدد القطبية
	الكاثرة	ف/297	multivibrateur	المهزة الكاثرة
Non	عدم	ف/305	non linéarité de l'oreille	عدم خطية الأذن
	غير	ف/305	non éclairant	غير مضيء
	لا	ف/305	non métal	لا فلز
Pan	بان	ك/254	panachromatique	بانكروماتي
Pana	حساسة	ف/320	panachromatique	حساسة للألوان
Panta	بانتا	ك/254	pantachromisme	البنتاكروماتية
Para	متواز	ف/321	parallélogramme	متوازي أضلاع القوى
	البارا	ف/321	paramagnétisme	البارا مغنطيسية – المغناطيسية المساسة
	بارا – باروي	ك/255	para	بارا – باروي
		ك/255	paraldéhyde	بارد الدهيد
	متوازي – باراوي	ك/255	paramagnétique	مغناطيسي متوازي (باراوى) متوازي المغناطيسية
Patho	ممرض – مرضي	ك/258	pathogénique	ممرض – مرضي
Penta	خماسي	ك/259	pentad/groupe de cinq	خماسي
	ذو الخمس	ك/259	crops pentavalent	ذو الخمس
	خامس		acide pentathionique	حامض خامس البنتيونيك
	بن	ك/259	pentane	بنتان
Per	فوق	ك/260	acide perborique	حامض فوق البوريك
	بر – فوق	ك/260	perchlorate	بركلورات – فوق كلورات
Pléo	تعدد – تغيّر	ف/321	pléochromisme	تعدّد الألوان – تغيّر لوني
Poly	متعدد	ف/346	polychromatique	متعدد الألوان

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Poly	0	ف/ 346	polygone des forces	مضلع القوى
	كثير – عديد	ك/ 273	polyatomique	كثير الذرات – عديد الذرات
	عام	ك/ 274	polyclinique	مستشفى عام
	تركيب	ك/ 274	polymérisme	بلمرية شاكلية تركيبية
	بل	ك/ 274	polymères	بلمرات
poly	متعدد – شكلية	ك/ 274	polymorphe	مادة متعددة الشكل – مادة شكلية
Pro = Mono	0			
Ré	0	ف/ 395	reversibilité	المعكوسية – قابل للانعكاس
	استفعال	ك/ 292	récupération	– استرداد ، استعادة – استرجاع
	إعادة	ك/ 292	récristallisation	إعادة البلورة
	آلي	ك/ 293	redresseur	مقوم آلي
Super = sur	0	ف/ 441	super conducteur	نقل في حالة الموصلية
	فوق	ف/ 441	supersaturée (solution)	محلول فوق مشبع
	سوبر	ك/ 325	superphosphate	سوبر فسفات
	فوق	ك/ 336	supersaturation	فوق التشبّع
	تفاعل		supercompostion	تراكب
	زيادة	ف/ 319	surchauffage -over cooling)	زيادة التسخين
Syn	تفاعل	ف/ 445	synchronisme	تزامن
	تفعيل	ف/ 445	synthèse	تركيب
Tri	مثلث	ف/ 465		مثلث القوى
	ثلاثي	ف/ 466	coefficients trichromatiques	معادلات ثلاثية الألوان
			système trivariant	نظام ثلاثي التغيّر
Ultra	متطرف – دقيق	ف/ 469	ultra filtration	رشح متطرف – ترشيح دقيق
	فوق	ف/ 469	ultrasonique	فوق السمعي
			ultra-violet	فوق البنفسجي

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Un	لا – غير غير – عدم	ف/ 470 ك/ 338	unbalance/unbalanced unsaturation; unsaturable	لا توازن – غير متوازن غير قابل للتشبّع – عدم التشبّع
Uni	وحيد منتظم ذو.. المفرد أحادي	ف/ 470 ف/ 471 ف/ 471 ك/ 338	unidirectionnel effluent égal (uniform plow) electro-mètre unifilaire univalent	وحيد الاتّجاه انسياب منتظم الكترومتر ذو الخيط المفرد أحادي التكافؤ

2 – اللواحق

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوربّي	المثال العربي
Able	قابل – فعول – فعيل	ك/224	malléable	قابل للطرق – طريق – طروق
Ane	آن	ك/165 ك/83	ethane butane	ايثان بوتان
Ase	يز آز – 0	ك/44 ك/224	anatase maltase	أناتيز مولتاز – ملتاز فالق الشعير
Ate	آت	ك/41 ك/41	chromate d'ammonium chloroplombate	كرومات الأمونيوم كلور رصاصات الأمونيوم
Ates	آت	ك/225	maganates	منجنيات – مغنيات
Eme	يم	ك/287	racème	راسيم
Ene	ين ين – ول	ك/6 ك/67	Acétyléne benzène (benzol) benzine	استيلين بنزول – بنزين
Eur	فعالة – آلة فعال مفعّل مفعل	ف/385 ك/14 ك/3	refrigérateur activeur accumulateur	برادة ، آلة تبريد براد ، ثلاجة منشّط معجل – مسرع – دراسة ...
Eux	فعلي – ذو	ف/347	poreux	ذو مسام – مسامي نفيذ
Eux = Ous	وز	ك/9	acide arsénieux acid (arsenious)	حامض الزرنيخوز
Forme	فورم	ك/206	iodoform	يودوفورم
Gal = Ug	نابذ – مبعد – طارد	ك/97	centrifugal	مركز – نابذ – طارد مركزي مبعد عن المركز
Gel	جيل	ك/196	hydrogel	هيدروجيل
Gène	جين	ك/93 ك/197	hydrogène cascinogène	هيدروجين كازينوجين

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Gie	علم	ك/134	Cytologie	علم الخلية أو خلايا
Gramme	0 / رسم	ف/113	diagramme	منحن بياني – رسم بياني أو تخطيطي
Graphe	جراف– غراف	ف/39	barographe	بارو جراف – بارو غراف
	مقياس	ف/424	spectrographe de masse	مقياس طبق الكتلة
	راسم – مرسمة	ك/60	oscillographe des rayons cathodiques	راسم الأشعرة – مرسمة أشعة الكاتود للذبذبات المهبطية
	قياس	ف/345	polorographie	قياس شد الاستقطاب
	مفاعلة	ف/371	radiotélégraphie	المراسلـة اللاسلكيـة – برق سلكي
Hyde	هيد	ك/5	acétaldéhyde	اسيتالدهيد
Ia	– يا	ك/38	ammoniaque/ammonia	النوشادر – أمونيا
Ible	0	ف/102	cycle irréversible	دورة متغيرة الاتجاه
	قابل	ف/384	régrangible	قابل للانكسار
	يمكن	ف/391	résistible	يمكن مقاومته
	منفعل – قابل – فعول	ك/299	reversible	منعكس – قابل للانعكاس عكوس
Ide = Ure	يد	ك/5	acétamide	أسيت آميد
	يد – مركب	ك/51	arsénide (arseniure)	زرنخيد – مركب الزرنيخ
		ك/90	carbide; carbure	كربيد
	ين	ك/186	glycéride	جليسرين – غليسرين
	آت	ك/214	lanthanides	اللانثانيدات
	يد – ور	ك/331	sulphide × sulfure	كبريتيد * كبريتور
Ine	ين	ك/5	acétamine	استامين
	(–)	ك/80	bromine	بروم – برومين
Ine (s)	آت	ك/280	proteines	بروتينات
Ique = ic	يكا	ف/11	aérostatique	علم الاستاتيكا الهوائية
	يك	ف/113	diacaustique	دياكوستيك

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Ique = ic	ور	ك/12	acide phophorique	حامض الفسفور
	يك	ك/173	ferrique	حديديك
Ium	يوم	ف/54	cadmium	كادميوم
		ك/13	actinium	اكتنيوم
	يوم – يا	ك/34	aluminium	مومنيوم – مومنيا
	(–)	ك/301	rubidium	روبيدا – روبيديوم
	يوم – ين	ك/307	sélenium	سيلينيوم – سيلين
Isme	زم	ف/27	astigmatisme	الاستكماتزم
	يه	ف/27	antiferromagnétisme	المغنطيسية الحديدة المضادة
Ite	– يت	ك/34	aluminite	حجر الشب – الومينيت
	يت	ك/45	anthracite	انثراسيت
Ité	– ية	ف/19	anharmonicité	اللا توافقية
	ية – قابلية	ف/113	ductilité	المطاطية – مطوطية ؛ قابلية المط
	قابلية	ف/343	polarizabilité	قابلية الاستقطاب
Less = sans	لا	ف/490	wireless	لاسلكي
Lyse	تحليل	ك/156	electrolyse	تحليل بالكهرباء
Lyte	ليت	ك/155	gazélectrolytique	البخار الإلكتروليتي
Métre	ميزان – متر	ف/12	thermomètre	ميزان حرارة الهواء – ترمومتر هوائي
	متر	ف/14	ampermètre – ammeter	أميتر – أمبير متر
	مفعال	ف/25	aéromètre	مكشاف – مكشاف السوائل
	مقياس – عداد مفعال	ف/191	gazomètre	عداد الغاز – مقياس الغاز
			gomiomètre	مغواز
	مقياس – مفعل	ف/193	lactomètre	مقياس الزوايا – مثقل
	مفعال – مستفعل	ف/23	alcoholimètre	مقياس الكحول – مكحال
Métrie	قياس	ف/25	aéromètrie	قياس كثافة السوائل
	قياس – تفعيل	ف/55	calorimétrie	قياس الحرارة – تسعير

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Métrie	تفعيل – مفعالية	ك/23	alcoolémétrie	تقـــدير الكحـولات – مكحالية قياس الكحول
Oide	وي – اتي شب – شبه يد – اني – شبه ويد واني – شب ويد	ف/76 ك/22 ك/29 ك/96 ك/111 ك/197	solution colloidale albuminoide alkaloide celluloide colloide hydroide	محلول غروي – غرواني شبزال أو شبه زلالي القلويد – قلواني – شبه قلواني سلولويد غراواني – شبغري هيدرويد
Oine	0 – وان	ك/98	calcedoine/chalcedony	كلسدوان – عقيق أبيض
Ol	ول	ك/68	benzol	بنزول
One = Ons	ون ات آت	ك/6 ك/179 ك/194	acétone fluorocarbons fluor de carbone hormones	اسيتون – خلون فلوريدات الكربون هرمونات
Ose = Side	وز وز	ك/43 ك/96	amylose – polyglucoside cellulose	أميلوز سيلولوز – خلووز – خليوز
Oses	ات	ك/193	hexoses	هكسوزات
Ous = Eux	وز انظر (Eux)			
Ous = Eux	اوي	ك/310	sliliciferous; silicifère	سيليكاوي
Phone	فون – 0 فون	ف/281 ف/371	mègaphone radiophone	هيجافون – مضخم صوتي راديـوفـون – التليفـون اللاسلكي
Phonie	0	ف/371	radiotélphonie	التلفنة – محادثة لاسلكية
Scence	ية تفعل	ف/60 ف/110	cathodoluminescence deliquescence	الاضاءة الكاثودية التميّع

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الأوروبي	المثال العربي
Scope___	كاشف – كشاف مكشاف	ف/ 151	electroscope	كاشف أو كشاف أو مكشاف كهربائي
	سكوب – مفعال	ف/ 159	epidiascope	ابدياسكوب او مبصار خلالي
	مكشاف	ف/ 177	fluoroscope	مكشاف الفلورية
	سكوب – 0	ف/ 198	gyroscope	جايروسكوب – جيروسكوب (العجلة الدائرة)
	سكوب – 0		microscope électronique	ميكروسكوب الكتروني مجهر الكتروني
	مجسم –سكوب	ف/ 435	stéréoscope	مجسم الصور ستريوسكوب
Scopie	فحص	ک/ 127	cryoscopie	الفحص بالتبريد
Sphère	جو	فَ/ 457	thermosphère	جو حراري
Stat	مثبت – ستة	ف/ 457	thermostat	مثبت حراري – ترموستة
	موقف	ک/ 61	bactériostat	موقف بكتيري
Tron	ترون	ف/ 44	bétatron	بيتاترون
Um = On	م	ف/ 36	alundum; alundon	الأندم
	ين	ک/ 271	platinum; platine	بلاتين
	م	ک/ 328	tantalum; tantale	تنتانم
Yl	يل	ک/ 62	aryl (e)	أريل – عطريل

المحور الثالث

الفصاحة والتربية

تطبيق مبادئ علم اللسانيات على فصاحة العربية وتدريسها

إن هذه الآراء تهدف إلى وضع قضية تطبيق مبادئ علم اللسانيات. ونعني بالمبادئ النظريات اللغوية المعاصرة عامة وتطبيقاتها العلمية في ميادين متعددة، وذلك سعيًا وراء تحسّس تفاعل التفكير اللغوي العربي الفصيح المعاصر في الميدانين النظري والتطبيقي. وهذا يستوجب طبعًا وضع قضية المكتبة اللغوية العربية المعاصرة ومكانتها من نفسها ومن المكتبات اللغوية الأخرى التي نأخذ عنها اليوم علوم اللسانيات.

والملاحظ أن البحث عن ٱستقراء مادة تلك المكتبة اللغوية العربية كمًا ثم كيفًا حسب المستطاع يرمي إلى وضع كشف يهدف في النهاية إلى ٱستشفاف منزلة الثقافة العربية الإسلامية من علم اللسانيات كعلم قائم الذات وأثره في الميادين التطبيقية – ولا شك أننا لا ندّعي الحصر من هذا الكشف الوصفي الذي لم يوضع فيه، وفي علوم العربية القديمة – مؤلف إلى يومنا هذا. ورجاؤنا أن تساعدنا هذه المقاربة على سد الثغرات في هذا العرض ولا سيّمَا الثغرات الموجودة في المكتبة اللغوية العربية الحديثة وبالتالي في الثقافة اللغوية العربية المعاصرة.

إننا نرى أن هذا الكشف لن يكون مفيدًا ما لم يعتبر التفكير اللغوي المعاصر من أصوله إلى يومنا هذا لأن الحركة اللغوية المعاصرة حلقات متواصلة متماسكة، متوالدة وإن ٱختلفت جوهرًا وموضوعًا ووسائل. ولأن النظر إليها جملة يفيدنا في معرفة كيفية

مقاربتها لتلك الحركة ككل بقطع النظر عن مفهومي التبعية والذاتية. فعلم اللسانيات المقارن قد زوّد الدراسات اللغوية بحصيلة ثابتة ما ٱنفكّت تستعمل بالضرورة إلى يومنا هذا، وعلم الأصوات قد وفّر قواعد من أحسن القواعد ٱستقرارًا وثبوتًا في مستوى المناهج.

أعتقد أن مفهوم علم اللسانيات بمعنى linguistique أو linguistics وما له من شحنات لم يعرف بهذا السياق في العربية في القرن التاسع عشر. ولذلك لم يوضع له مصطلح جديد في ذلك العهد إن استثنينا مصطلح الألسنية الذي ٱعتمده الأب مرمرجي الدومينيكي في مقالة نشرها أولاً بمجلة مجمع دمشق ثم بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة[1].

وشاعت كلمات مثل **علم اللغة وعلم اللغات** ممّا نجده سائدًا عند أغلب المؤلفين في علم اللغة الحديث[2]. ولقد استعمل معنى الألسنية أولاً ليكون مقابلاً لمصطلح (dialectologie)[3]. فلم يظهر معنى **الألسنية أو اللِّسانيّات أو اللِّسْنِيات**[4] إلا حوالي السبعينات من القرن العشرين ليدلّ على هذا العلم الجديد فهمًا ومضمونًا نظريًّا وتطبيقيًّا. ولعلّ أول مؤلف يحمل هذا الاسم هو مؤلف ريمون الطحّان[5]. وهذا يعني ان مفهوم هذا العلم لم يدخل المعجم العربي الضمني إلا بعد قرن من نشأته بأوروبا، وإن كان هذا المصطلح قد عرف نوعًا من الاضطراب في اللغات الأوروبية نفسها[6]. وتعتبر تونس من أوّل الأقطار العربية التي كان فيها لهذا العلم وقع وردود فعل سلبية تبدو غريبة باعتبار ما كان له من أثر في الدوائر اللغوية ببلادنا (انظر خاصة =CERES actes du séminaire de linguistique Avril 1965). فما كان حظ المكتبة العربية من هذا العلم في مستواه النظري أولاً؟ لقد لاحظنا فيمَا يتعلّق بعلم اللغة التاريخي والمقارن، أن أهم المؤلفات قد ٱعتنت بتاريخه دون الخوض في أصوله ومبادئه. ونجد

1) الأب مرمرجي الدومنيكي: الثنائية في الألسنة السامية، مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق ج 27، ص 216؛ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 8، ص 374–383.

2) محمد رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية العربية الحديثة، حوليات الجامعة التونسية، ج 14، ص 128–129.

3) صالح القرمادي: دروس في الأصوات اللغوية ص 212.

4) الملاحظ أن الألسنية تطلق بتونس ولبنان واللسانيات بالجزائر، واللسنيات بالمغرب الأقصى.

5) ريمون الطحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1972.

6) B. Malmberg, *les nouvelles tendances de la linguistique*, Paris 1972, p. 12

ذلك بالترتيب الزمني عند عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، ناقلي مؤلف فندريس إلى العربية[7] ، وعبد الرحمن أيوب[8] ، وعبد القادر وافي[9] ، والحاج صالح[10] ، وعبد القادر المهيري[11] . والملاحظ في هذا الشأن أن جل هذه الأعمال لا تعتمد العربية في أمثلتها ونصوصها ولا تربط القضايا التاريخية بأصول العربية ممّا لا يجد فيه القارئ العربي زادًا يقربّه تقريبًا مطبقًا من هذا العلم ويربطه بثقافته.

ولقد سعى هذا المسعى جبر ضومط[12] وأنستاس ماري الكرملي[13] في هذا الميدان تأثرًا بالدروينية وما نشأ عنها من نظريات لغوية في النشوء والتطوّر والاكتهال في اللغات. وأردف هذان العملان بدراسات تفصيلية نذكر منها ما وضعه مرمرجي الدومنيكي في الثنائية[14] وعبد الرحمَان عزام ، وعبد القادر المغربي ، ورمسيس جرجس ، وعبد الرحمن جرمنوس ، ومصطفى الشهابي ، ومحمد الفاسي[15] ، وابراهيم السامرائي[16] وقد تناولت هذه الدراسات صلات العربية باليونانية والفارسية ، والساميات ، والفرعونية ، والمجرية والبربرية الخ... ولا يمكن أن ننسى في هذا المضمار بعض المقاربات التي تستحيل إلى مفاضلة بين اللغات ونخصّ بالذكر منها مغامرات عبد الحق فاضل[17] . إلا أن كل هذه الأعمال لم تزوّدنا بدراسة مطبقة من نوع دراسة

---

7) فندريس : اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، القاهرة 1950.

8) عبد الرحمن أيوب : اللغة والتطور ، القاهرة 1960.

9) عبد الواحد وافي : علم اللغة. القاهرة 1967.

10) عبد الرحمن بلحاج صالح : مدخل إلى علم اللسان الحديث ، اللسانيات ، المجلد الأول (1971) ، ص 23 – 71.

11) عبد القادر المهيري : خواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة ، حوليات الجامعة التونسية 5/7 – 16.

12) جبر ضومط : فلسفة اللغة العربية وتطورها ، القاهرة 1929.

13) أنستاس الكرملي : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، المقتطف 94 (1939) ، ص 124 – 176 ، 369 – 372.

14) أنظر حاشية عدد 1.

15) R. Hamzaoui, *l'academie de langue arabe du Caire,* Tunis 1975, p. 369

16) إبراهيم السامرائي : دراسات في اللغة ، بغداد 1961.

17) عبد الحق فاضل : مغامرات لغوية ، بيروت (بدون تاريخ).

بروكلمان[18] التي خصّصها منذ سنة 1906 لمقارنة اللغات السامية في أصواتها خاصة. ويبدو أنه لم يترجم إلى العربية إلا حوالي 1975.

أما فيمَا يتعلق بالدراسات العميقة أو العمودية في النحو والصرف، والمعجم فإننا لا نجد أثرًا في المكتبة العربية من نوع مؤلف مرسيل كوهين[19] المتعلق بمفهوم زمن الفعل في الساميات ومنها العربية. ولقد اعتنى مجمع اللغة العربية بمظهر آخر من علم اللغة المقارن لما سعى إلى وضع مصطلحات تهم الفصائل اللغوية اقتداء بمؤلف Millet و Cohen المتعلق بلغات العالم[20]. ولم يحظ علم الأصوات الوظائفي والنحو الهيكلي بدراسة نظرية في الميدان العربي تشابه دراسة موسكاتي[21].

فنستخلص من هذا أن علم اللغة المقارن قد حظي بعناية الدارسين إلا أنه لم يزوّد المكتبة العربية بأعمال متواصلة، ومتكاملة تعكس ذلك التواصل والتكامل اللذين كانا سائدين في الدراسات الأوروبية. ولذلك نعتبر أن هذه النظرية قد وصلتنا منقوصة مشلولة وعلى هذا الأساس ستظل ثقافتنا اللغوية منقوصة مثلما هو الشأن في الأدب وغيره من العلوم.

ولقد سعى المؤلفون العرب إلى تحسّس علم اللغة الاجتماعي؛ وتغلبت هنا أيضًا الدراسات التاريخية والوصفية عادة إن اعتبرنا ما وضعه في هذا الشأن عبد الواحد وافي[22] ومحمود السعران[23] وحسّان تمام[24] – أما علم اللغة الجغرافي فلقد ساعده الحظ إذ خصصت له دراسات تنتسب إلى النظريات وإلى التطبيق في نفس الوقت. وذلك ما يبدو من أعمال إبراهيم أنيس[25]، وتلميذيه عبد العزيز مطر[26] ورمضان

18) Brocklemann, *Precis de linguistique semitique*, Paris 1910

19) M. Cohen, *Le système verbal semitique et l'expression du temps*, Paris 1924

20) مجمع اللغة العربية، الفصائل اللغوية، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، ج 7/85–100؛ 8/35–47

21) Sabatini Moscati, *An Introduction to The Comparative Grammar of The Semitic Language*, Wiesbaden, 1964.

22) عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، القاهرة 1950.

23) حسان تمام: اللغة والمجتمع، ترجمة م. م. لويس، القاهرة 1950.

24) محمود السعران: اللغة والمجتمع، القاهرة 1963.

25) ابراهيم انيس: في اللهجات العربية، القاهرة 1965.

26) عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة 1966.

عبد التوّاب[27] وإن كان عمل الأول منهما أجود بكثير– ويلاحظ في هذا الشأن أن العملين قد ركّزا النظر على أعمال لغوية عربية من التراث ومن العصور الحديثة.

أما النظريات اللغوية الحديثة جدًا من علم اللغة فلقد دعا إليها وروّجها حسّان تمام في أعماله المختلفة من ذلك «مناهج البحث» و«العربية معناها ومبناها»* ، وإن كان الأول ناسخًا لها والثاني ألصق بالعربية وأمثلتها. ولقد تناول في هذا الأخير أهم مظاهر البحث اللغوي البنيوي الحديث وأنظمته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وكذلك المعجم. ولا بد أن نلحق بهذا السعي سعيًا آخر محمودًا مركّزًا على التعميم والتبسيط لأنه وجه لأول مرة إلى القارئ العربي العادي ، وهو عمل نايف خرما[28] الذي يعتبر آخر ما أنتجه الفكر اللغوي المعاصر والذي اجتهد لحصر كل القضايا اللغوية الحديثة. ولقد وفّر لنا الطيب البكوش[29] دراسة صوتية صرفية أعتمدت ما جادت به البنيوية في هذا المضمار. ولقد جمع هذا المؤلف المدرسي بين الاتجاهين النظري والتطبيقي.

أما السيمية أو علم الدلالة ، فلقد زوّدنا إبراهيم أنيس[30] بمؤلف لا أعرف له ثانيًا من نوعه. وهو يمتاز بمطهريه النظري والتطبيقي ويبدو أن تطوّر هذا العلم قد تجاوز ما جاء فيه من آراء ونظريّات. ومن طلائع الدراسات العربية في الأسلوبية لا بدّ أن نشير إلى العمل المجمل الذي قدمه في هذا الشأن عبد السلام المسدي[31]. وهو وإن كانت تغلب عليه النظريات فلقد أشار إلى ما سبقه في الميدان العربي من محاولات نظرية وتطبيقية تستحق الاعتبار. بقيت الدراسات المعجيمة. وهنا لا بدّ أن نشير إلى عمل محمد أحمد أبو الفرج[32] النظري التطبيقي نوعًا ما وإن كانت تغلبت عليه النظرة

27) رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوي ، القاهرة 1967.

*) تمام حسان : أ) مناهج البحث في اللغة ، القاهرة الـ 1955.
ب) العربية معناها ومبناها ، القاهرة 1973.

28) نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت 1978.

29) الطيب البكوش : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، تونس 1973.

30) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، القاهرة 1972 يعتمد فيه على Ulmann Oosgood.

31) عبد السلام المسدي : الأسلوب والأسلوبية ، تونس 1977.

32) محمد أحمد أبو الفرج : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة ، القاهرة 1966.

التقليدية في نهاية الأمر – ولقد اهتم رشاد الحمزاوي(33) في هذا الميدان بالمعجم العربي وقضاياه قديمًا وحديثًا* وبالمصطلحات اللغوية فسعى إلى وضع قضايا منهجية تتعلّق خاصة بوضع المعجم الاصطلاحي اللغوي العربي المعاصر. ولقد نحا هذا النحو حمادي صمود(34) مطبقًا ذلك على الأدب ودراسة التراث.

إن هذه الحصيلة – وهي قاصرة لأنها كانت على قدر معلوماتي في هذه الميادين – قد اعتمدت المؤلفات والكتب المدوّنة بالعربية ولم تأخذ بعين الاعتبار المؤلفات التي وضعها العرب باللغات الأجنبية وهي على غاية من الطرافة. ولقد تركنا المجال لفرصة أخرى للاعتناء بها وإلحاقها بالمكتبة العربية الحديثة آملاً في أن تترجم إلى العربية. أما المؤلفات المستكشفة سابقًا فإنّها تتميّز بمَا يلي:

1– قلة وفرتها بالنسبة لما توفّر منها في اللغات الأجنبية خاصة.

2 – عدم تعبيرها عن جميع مراحل علم اللسانيات ونظرياته المختلفة في تعاقبها وتداخلها وتطوّرها.

3– ميلها في جلّها إلى الوصف والتاريخ والتنظير وفيها أحيانًا تعميم وسطحيات وهانات.

4– انعدام الاهتمام عمومًا بتطبيق النظريات على العربية حتى في المستوى النظري. وذلك ما يعتبر دليلاً على أننا ما زلنا في مرحلة النسخ ولم نبلغ مرحلة الهضم ثم التلقين والتبليغ.

5– القطيعة القائمة بين هؤلاء المؤلفين ومؤلفاتهم وجمهور القرّاء من أدباء ومربّين وطلاّب الخ.

6– قلة حظّها من التدريس بالجامعات العربية لغرابتها وشذوذها، على أن هذه السلبيات لا تمنعنا من أن نقرّ الجهد الذي يبذله اللسانيون العرب لتجديد تفكيرهم اللغوي وبالتالي جعل العربية وافية بضرورات العلوم لمواكبة حضارة العصر. ولست أعتقد أني أغفلت الكثير من الأعمال تجاهلاً بل قصورًا منّي على الحصول عليها للتعريف بها وتنزيلها منزلتها من هذا الكشف المؤقت.

---

33) محمد رشاد الحمزاوي: أنظر حاشية عدد 2 من هذا المقال. كذلك: من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا، تونس 1983.

34) حمادي صمود: معجم لمصطلحات النقد الحديث: حوليات الجامعة التونسية، ج 125/15.

لكن ما هو حظ التطبيق من هذه النظريات اللغوية في العربية وما يتصل بها من تعليم وعلاج ، وأدب الخ؟

في هذا القسم الثاني لا بدّ أن نشير إلى أنّ أحسن ما تركته النظرية التاريخية في الميدان التعليمي هو قواعد علم الأصوات الذي توجد فيه مؤلفات عديدة نذكر منها ما وضعه ابراهيم انيس[35] وصالح القرمادي[36] وكمال بشر[37] والطيّب البكوش[38] إلا أننا لا نجد أثرًا لهذه القواعد وتطبيقاتها في كتب الصرف والنحو البيداغوجية. كما لا نجد منفعة نفعية في استعمال قواعد علم الأصوات لوضع نظام خاص لنقل أصوات اللغات الأجنبية بالعربية نقلاً صوتيًا علميًا مثلما هو الشأن بالنسبة لنظام نقل الأصوات العالمي. ولقد بذل مجمع اللغة العربية[39] جهودًا كثيرة دون الوصول إلى نتيجة علمية. ويبدو الأمر صعبًا جدًا إن تعلّقنا بوضع نظام عربي فونولوجي لتدريس الفونولوجيا تدريسًا علميًّا غير قاصر – وما أحوجنا إلى النظامين السابقين للتمثيل لقضايا الصرف العربي ومشاكله من قلب وإدغام الخ. ولست في حاجة إلى أن أذكّر أننا ما زلنا ننتظر طريقة لغوية حديثة لنقل لهجاتنا العربية بالعربية رغم ما بذله في هذا الشأن خليل عساكر[40].

لقد أكّد علم اللغة الحديث على مبدأ مهم وهو أسبقية المقول بالنسبة للمكتوب. وذلك ما لم يطبّقه الألسنيون ولا المربّون العرب إذ أنهم قد حصروا كل شيء في اللغة الأدبية المكتوبة وبالأحرى اللغة الأدبية الكلاسيكية دون اعتبار ما جاءت به الصحف من فصيح جديد. وحتى في هذا النطاق الضيّق قل أن نجد اهتمامًا على الأقل بالمنطوق تفضيلاً له على المكتوب. فعلم التربية العربي ما زال يعلّم الطفل الكتابة قبل أن يعلّمه النطق والحديث بالعربية. وكان من المنتظر أن تلي الكتابة التدرب الشفاهي على اللغة. ولا نجد لهذا أثرًا إلا في مستوى تعليم العربية للأجانب وذلك في بعض المؤسسات

35) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ، القاهرة 1961.

36) صالح القرمادي: دروس في أصوات العربية ، تونس 1966.

37) كمال بشر: علم اللغة العام ، القسم الثاني : الأصوات ، القاهرة 1971.

38) الطيب البكوش: أنظر الحاشية عدد 29.

39) R. Hamzaoui, *L'academie du Caire*, pp. 211 – 246; 585 – 590

40) نفس المرجع ، ص 305.

المختّصة – وهي ليست كثيرة – مثل معهد بورقيبة للغات الحية في تونس وفي هذا المجال تعتبر العربية لغة ثانوية وليست لغة أساسية.

من المبادئ اللغوية التي نشرها علم اللغة الحديث بروز دور علم الأصوات الوظائفي أو الفونولوجيا في تركيز معنى النظام اللغوي وما يعتمد عليه من تشابه وتخالف يعتبران بدورهما أساسًا للوظيفة التمييزية بين الوحدات اللغوية. ولقد اغتنم المربّون الأوروبيون هذه الظاهرة، فصنّفوا مراتب الصواتم أو الفونيمَات في لغاتهم باعتبار اطرادها في نصوص متنوعة مكتوبة ومقولة. من ذلك أن أكثر الأصوات ترددًا في الفرنسية تبرّر كما يلي: «a»ا بنسبة 8,1٪، يليه الراء (6,9٪) واللاّم (6,8٪) والسين (5,8٪)... والميم (2,21٪) والباء (1,2٪). وعلى هذه النسب بنوا الدرس اللغوي وشكّلوا نصوص القراءة باعتبار هذا التواتر الذي تعكسه لغة محيط المتكلم الفرنسي عامة. ذلك ما لم يعتمده أي كتاب ابتدائي مدرسي عربي. والملاحظ أن مفسّري القرآن قد قاموا بشبه هذا الاحصاء، بالنسبة للقرآن إلا أن ذلك لم يستغل استغلالاً تربويًا. ومن الممكن أن يطبق ذلك على الرصيد اللغوي[41] الوظيفي الذي وضعته أقطار المغرب العربي.

ولقد استغلّت مبادئ علم الأصوات وعلم الأصوات الوظائفي في الحالات المرضية من ذلك تصويب النطق، وتدريب المعوقين من أمثال الصمّ والبكم – ويوجد بالأقطار العربية مدارس لهذا الصنف من الأطفال. إلا أنه لا توجد مؤلفات في العربية غايتها التعليم والتلقين لا سيّمَا وأنه يوجد بتونس مثلاً ما يقرب من 25000 من الصمّ البكم.

إن مبدأ البنية المشهور الذي يعتمد بدوره التقابل والتشابه قد اعتبر لإدراك بنية اللغات وذلك بالتعويل على تمارين بنيوية تستند إلى **التعويض والتحويل اللذين لهما وجوه منها التعويض البسيط**، **والتعويض بالتوسّع أو الإيجاز**، **وبالمصاحبة**، **والتعويض في الأزمنة**، **وأنواع الجمل**، **والصدور والكواسع الخ**. ولقد راجت هذه الطريقة لكنها لم تنتشر في العالم العربي ولا يوجد فيها مؤلف بالعربية. فيكون معهد بورقيبة

41) الرصيد اللغوي الوظيفي: تونس 1976 وقد وضعته اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي التابعة للهيئة الاستشارية للمغرب العربي في التربية والتعليم.

للّغات الحيّة المعهد الوحيد الذي يطبّقها على العربية عندما تلقن للأجانب[42] وهي تشمل جميع مستويات اللغة : المعجم والأصوات والصرف والنحو. فيا ليتها تطبّق على الكتب المدرسية المخصّصة للأطفال والتلاميذ وطلبة العربية ، فيعلم النحو قراءة ولا يعلم قواعد. ولست أنكر جميع الجهود التي بذلها المربّون العرب لمواكبة النظريات اللغوية لتيسير العربية وجعلها لغة تطلب فتدرك. ولقد ابتدأت تلك الجهود مع رفعت رفاعة الطهطاوي[43] . فنصادف من العناوين ما يكون برّاقًا لكنّه محافظ ونجد منها ما يكون خافتًا لكنه مفيد. في الصنف الأول يدخل عمل عبد العليم إبراهيم[44] وحسن عون[45] وفي الصنف الثاني نذكر عمل يوسف السودا[46] وعبد القادر المهيري[47] وجماعته.

في ميدان المعجم العام أو المختص لا أعرف ، باستثناء معجمي محمد رشاد الحمزاوي المذكورين سابقًا ، عملاً أو معجمًا عربيًّا قد اعتمد النظرية البنيوية في صياغة المداخل وخاصة تعريفاتها مثلما هو الشأن في معجم الفرنسية المعاصرة dictionnaire du français contemporain . فالمعجم الوسيط[47] مثلاً لا يفي بالحاجة (انظر قضية المترادف مثلاً). ويمكن لنا أن نعتبر ، في مجال ضيّق ، **الرصيد اللغوي الوظيفي** تطبيقًا خاصًا من تطبيقات المعجمية المعاصرة في اللغة العربية وذلك باعتبار مناهج استقراءاته واختياراته.

ولقد اعتمدت الألسنية لوضع أُسس التحليل الوثائقي[48] ، والتحليل الأدبي[49] وما يعتمده من طرائف تعتمد المحاور ، والمحتوى ، والإحصاء والحقول السيمية ،

---

42) معهد بورقيبة للغات الحية : العربية المعاصرة ، تونس 1978.

43) رفاعة الطهطاوي : التحفة المكتبية في تقريب العربية ، القاهرة 1286هـ – 1869م على غرار التحفة السنية في علم العربية التي وضعها المستشرق الفرنسي De Sassy سنة 1829.

44) عبد العليم إبراهيم : النحو الوظيفي ، القاهرة 1969.

45) حسن عون : تطور الدرس النحوي ، القاهرة 1970.

46) السودا : الأحرفية ، بيروت 1969.

47) عبد القادر المهيري : النحو العربي من خلال النصوص ، تونس 1963.

48) Maurice Goyand, *linguistique et documentation,* Paris 1972

49) Regine Robin: *histoire et linguistique,* Paris 1973

والتحويل الخ. وفي هذا الميدان توجد مبادرات لم تخرج من قاعات التدريس ولم يصدر فيها إلا بعض المحاولات العربية التي تحتاج إلى تعزيز ونقد الخ...

ولا أريد أن أنسى في هذا العرض السريع حظنا من اعتماد جميع المساعدات الآلية لاكتساب اللغة من الوسائل السمعية البصرية والحاسبات الإلكترونية. وليس لنا هنا أي تأليف في العربية يجمع شملها ويبيّن استعمالها في التعليم والتدريس. وفي النهاية لست أعلم ما هو حظنا من المساهمة في الهيئات والمؤسسات المختّصة في البحث عن أحسن الطرق لتطبيق النظريات بغية تعليم اللغات. ففي فرنسا تختص هيئة **CREDIF** التابعة لدار المعلمين العليا بهذه القضية، وفي بلجيكا توجد منظمة **AIMAV** العالمية لنشر الطرق السمعية البصرية وقد عقدت مؤتمرها السادس بتونس سنة 1974 في نطاق معهد بورقيبة للغات الحية وشاركت فيها بعض الوفود العربية لكن بدون مواصلة.

هذا في عجالة تصوري لقضية تطبيق مبادئ النظريات اللغوية الحديثة على العربية وتدريسها. ولعلّ في هذا الكشف زلات أرجو تصويبها. على أني أود أن أختمه بالاقتراحات التالية:

وجوب بعث هيئة عربية دائمة للاعتناء بقضايا اللغة ونظرياتها الحديثة وتطبيقاتها وما لذلك من فروع واختصاصات.

- إصدار مجلة عربية في اللسانيّات والمعجميات*.
- إقرار مؤتمرات مختصة نظرية وتطبيقية لإثراء المكتبة العربية.
- تدعيم حظ النظريات وتطبيقاتها في التدريس والمؤلفات والكتب المدرسية بالأقطار العربية.

الآيات القرآنية الكريمة

الأحاديث الشريفة

الشعر

فهرس الأعلام ومؤلفاتهم* باللغة العربية

حرف الألف

ابراهيم (عبد العليم) : النحو الوظيفي ، القاهرة 1969 .
ابن جني : الخصائص (جزءان) ، القاهرة 1957 .
أبو حيّان الأندلسي : البحر المحيط ، 8 أجزاء ، بدون تاريخ .
أبو عبيدة معمر بن مثني : مجاز القرآن ، القاهرة ، ط . أولى .
ابن فارس : الصاحبي في اللغة ، القاهرة 1910 .
أبو الفرج (محمد أحمد) : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة ، القاهرة 1966 .
ابن قتيبة : تأويل مسلك القرآن ، القاهرة 1954 .
أنيس (ابراهيم) : في اللهجات العربية ، القاهرة 1965 .
أنيس (ابراهيم) : دلالة الألفاظ ، القاهرة 1972 .
أنيس (ابراهيم) : الأصوات اللغوية ، القاهرة 1961 .
ابن منظور: لسان العرب المحيط ، ط . المرعشلي – بيروت ، ط . صادر ، ج . بيروت .
أيوب (عبد الرحمن) : اللغة والتطوّر ، القاهرة 1960 .

حرف الباء

الباقلاني (أبو بكر) : إعجاز القرآن ، القاهرة 1904 .
بشر (كمال) : علم اللغة العام ، القسم الثاني : الأصوات ، القاهرة 1971 .
البكوش (الطيب) : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، تونس 1972 .

*) لم نورد في هذا الفهرس إلا الأعلام الذين لهم كتب ومؤلفات جامعة وتركنا الأعلام الذين اقتصروا على مقالات وبحوث قصيرة صدرت بمختلف المجلات .

حرف التاء

تمام (حسان) : مناهج البحث في اللغة ، القاهرة 1955 .

تمام (حسان) : اللغة والمجتمع ، ترجمة كتاب م.م. ليوس ، القاهرة 1950.

تمام (حسان) : العربية معناها ومبناها ، القاهرة 1973.

حرف الجيم

مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، جزءان ، القاهرة 1960 — 1961 .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، القاهرة 1959 — 1968 .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة القرارات العلمية والفنية ، القاهرة 1963.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة : البحوث والمحاضرات ، القاهرة 1959 — 1962 .

الجزائري (الشيخ الطاهر) : التقريب في أصول التعريب (بدون تاريخ) .

الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ، القاهرة 1959 .

الجوهري : صحاح اللغة ، 4 أجزاء ، القاهرة 1956.

جريدة الأهرام : 31 أكتوبر 1932.

حرف الحاء

حمزة (عبد اللطيف) : الصحافة والأدب في مصر ، القاهرة 1955 .

الحمزاوي (محمد رشاد) : المصطلحات اللغوية الحديثة : اللغة العربية ، حوليات الجامعة التونسية عدد خاص ، ص 1977/14.

الحمزاوي (محمد رشاد) : الفصاحة فصاحات ، ط . أولى ، تونس 1982.

الحمزاوي (محمد رشاد) : من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا ، ط . أولى ، تونس 1983.

حواتما (نايف) : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت 1978.

حرف الخاء

الخفاجي (شهاب الدين) : شفاء الغليل فيمَا في كلام العرب من دخيل ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .

الخليل بن أحمد : كتاب العين ، بغداد 1967.

حرف الدال

داغر (أسعد خليل) : تذكرة الكاتب ، القاهرة 1933.

حرف الراء

الرماني (أبو الحسن) : النكت في إعجاز القرآن واردة في كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، (بدون تاريخ).

حرف الزاي

الزركلي : الأعلام ، ط . ثالثة .
الزعبلاوي (صلاح الدين سعدي) : أخطاؤنا في الصحف والدواوين ، دمشق 1939.
زيدان (جرجي) : تاريخ الآداب العربية ، 4 أجزاء ، القاهرة 1936.

حرف السين

السامرائي (ابراهيم) : دراسات في اللغة ، بغداد 1961.
المسدي (عبد السلام) : الأسلوب والأسلوبية ، تونس 1977.
السعران (محمود) : اللغة والمجتمع ، القاهرة 1958.
السودا (يوسف) : الأحرفية ، بيروت 1960.
سيبويه : الكتاب (جزءان) ، القاهرة 1316هـ.
السيوطي (جلال الدين) : الاتقان في علوم القرآن ، ط . ثالثة ، القاهرة 1951.
السيوطي (جلال الدين) : المزهر في علوم اللغة ، القاهرة (بدون تاريخ).
السيوطي (جلال الدين) : المهذّب فيمَا وقع في القرآن من المعرب ، بغداد 1971.

حرف الشين

الشافعي (الإمام) : الرسالة ، القاهرة 1358هـ.
الشهابي (مصطفى) : المصطلحات العلمية في اللغة العربية قديمًا وحديثًا ، ط . ثانية ، دمشق 1965.
الشيّال (جمَال الدين) : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، القاهرة 1958.

حرف الصاء

صابات (خليل) : الصحافة رسالة واستعداد ، القاهرة 1967 .
صعب (حسن) : تحديث العقل العربي ، بيروت 1969 .
الصالح (صبحي) : مبادئ في علوم القرآن ، ط . ثانية ، بيروت 1965 .
صمود (حمادي) : معجم لمصطلحات النقد الحديث ، حوليات الجامعة التونسية ، ح 15 .

حرف الضاء

جبر ضموط : فلسفة اللغة العربية وتطوّرها ، القاهرة 1929 .

حرف الطاء

الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، ط . ثانية ، القاهرة 1954 .
الطحان (ريمون) : الألسنية العربية ، بيروت 1972 .
الطهطاوي (رفعت رفاعة) : قلائد المفاخر في أخلاق بلاد أوروبا ، القاهرة 1834 .
الطهطاوي (رفعت رفاعة) : التحفة المكتبية في تقريب العربية ، القاهرة 1869 .

حرف العين

عبد التواب (رمضان) : لحن العامة والتطور اللغوي ، القاهرة 1962 .
عبد العال سالم مكرم : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، القاهرة 1968 .
علام (مهدي) : المجمعيون ، القاهرة 1966 .
معهد بورقيبة للغات الحية : العربية المعاصرة ، تونس 1978 .
عون (حسن) : تطوّر الدرس النحوي ، القاهرة 1970 .

حرف الغين

المغربي (الشيخ عبد القادر) : الاشتقاق والتعريب ، ط . ثانية ، القاهرة 1957 .

حرف الفاء

فاضل (عبد الحق) : مغامرات لغوية ، بيروت (بدون تاريخ) .
فندريس : اللغة (ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص) ، القاهرة 1950 .

فهمي (حسن حسين) : المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، القاهرة 1958 .
فهمي (عبد العزيز) : تيسيرًا لكتابة اللغة العربية ، القاهرة 1946 .

حرف القاف

القرمادي (صالح) : دروس في أصوات اللغة ، تونس 1977 .

حرف الكاف

المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربي : مشاريع معاجم الكيميا والفيزيا والحيوان الخ ... ، الرباط 1973 .
الكرملي (أنستاس ماري) : نشوء اللغة العربية ونموّها واكتمالها ، المقتطف 94 (1939) .

حرف اللام

اللجنة الاستشارية المغربية الدائمة : الرصيد اللغوي الوظيفي ، تونس 1976 .

حرف الميم

مروة (أديب) : الصحافة العربية — نشأتها وتطوّرها ، بيروت 1961 .
مطر (عبد العزيز) : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت 1978 .
المنجد في اللغة والآداب والعلوم ، بيروت 1956 .
المنذر (الشيخ ابراهيم) : كتاب المنذر ، بيروت 1921 ، 1927 .
المهيري (عبد القادر) : النحو العربي من خلال النصوص ، تونس 1963 .

حرف الواو

وزارة التعليم بمصر : حروف التاج والترقيم ، القاهرة 1961 .
وافي (عبد الواحد) : علم اللغة ، القاهرة 1967 .

حرف الياء

اليازجي (ابراهيم) : لغة الجرائد ، القاهرة (بدون تاريخ) .

Ouvrages et références en langues étrangères

Atia Abou an-Naga: *Recherche sur les termes de théatre et leur traduction*, Alger 1973.

Berque, Jacques et J.P. Charnay: *L'ambivalence dans la langue arabe*, Paris 1962.

Blachère (Régis): *Le Coran*, Paris 1956.

Brockelmann (Karl): *Précis de Linguistique Sémitique*, Paris 1910.

Cohen (Marcel): *Le système verbal sémitique et l'expression du temps*, Paris 1924.

Dubois (Jean) et autres: *Dictionnaire de linguistiques*, Paris 1937.

El ich (Sadok): *La conversion des Berbères à l'Islam*, Tunis 1956.

Goyaud (Maurice): *Linguistique et documentation*, Paris 1972.

Hamzaoui (Mohamad Rachad): *L'Académie de langue arabe du Caire: Histoire et œuvre*, Tunis 1975.

Jeffrey: *The Foreign Vocabulary in the Coran*, Padova 1948.

Laoust (Henri): *Les schimes dans l'Islam*, Paris 1956.

Malmberg (B.): *Les nouvelles tendances de la linguistique*, Paris 1972.

Marouzeau (Jean): *Lexique de la terminologie linguistique*, 3e éd., Paris 1961.

Martinet (André): *Éléments de linguistique générale*, Paris 1950.

Matoré (Georges): *La méthode au lexicologie, Domaine français*, Paris 1953.

Moscati (Sabatini): *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Langages*, Wiesbaden 1964.

Nida (Eugene): *Towards a Science of Translation*, Leiden 1964.

Oettinger (Anthony G.): *Automatic Langage Translation and Technical Aspect*, Massachussets 1960.

John Murray: *Report of the Joint Committee on Grammatical Terminology*, London 1911.

Robin (Regine): *Histoire et linguistique*, Paris 1973.

Shawkat (M.) and Amin (Nagib): *The Art of Translation* (sans date).

Vinay (J.A.) et Darbelet (J.): *Stylistique comparée du Français et de l'Anglais*, Paris 1958.

المحتوى